خلاصة المتون

فى أبناء ونبلاء اليمن الميمون

للسيد العلامة المؤرخ الشهير

محمد بن محمد بن يحيى زبارة

الجزء الثالث

إنقراض الدولة الرسولية وإبتداء الدولة الطاهرية
إلى سنة ١٠٠٠هـ

الطبعة الاولى
١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠م





مركز التراث
والبحوث اليمني

ص.ب ١٣١ ريتشموند ، ساري . بريطانيا
P.O. Box 131 Richmond, Surrey TW9 2LG, Great Britain

نسخه وحققه وأضاف إليه

مفتي الجمهورية اليمنية

أحمد بن محمد زبارة

نجل المؤلف

أشرف على طباعة هذا الجزء

زيد بن علي الوزير

طُبع على نفقة الأستاذ

حمدي نجيب


المجلس
الأعلى
الإسلامي

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا هو الجزء الثالث

من « خلاصة المتون في أنباء ونبلاء اليمن الميمون »

للسيد العلامة المؤرخ محمد بن محمد زبارة رضي الله عنه

من مصادره :

«أنباء الزمن» و"المستطاب" للسيد يحيى بن الحسين بن القاسم

و"مطلع البدور" للقاضي أحمد بن صالح أبي الرجال

و"طبقات الزيديه" للسيد صارم الدين إبراهيم بن القاسم بن المؤيد بن القاسم

و"قرة العيون".. "وبغية المريد» للقاضي عبد الرحمن الديبع الزبيدي

و"الزحيف شرح البسامة" للقاضي محمد بن علي الزحيف

و"الترجمان شرح البيان" للقاضي ابن مظفر و"البدر السافر في رجال القرن العاشر"

وسير لبعض الأئمة منها : "سيرة الإمام شرف الدين"

و"البرق اليماني" لقطب الدين الحنفي و"الجامع الوجيز" للمولى أحمد بن عبد الله الجنداري

و"المواهب السنية" للسيد الحسن بن عبد الرحمن شرف الدين

و"روح الروح" للسيد عيسى بن لطف الله .. وذيله ، ونبذة تاريخية للسيد أحمد بن أحمد المطاع

الشهيد بحجة سنة ١٣٦٧ هـ (الف وثلاثمائة وسبع وستين) .

وغير ذلك ...

بقلم ابن المؤلف

أحمد بن محمد زبارة



المجلس
الأزهري
الإسلامي

بسم الله الرحمن الرحيم

كتب المؤلف البحاثة المخلص العلامة " محمد بن محمد زبارة " رحمه الله فى أول بعض مؤلفاته هذه الأبيات مؤرخاً سنة ١٣٧٦ هـ (الف وثلاثمائة وسبع وستين) .

جُبِلتُ على الصراحة في التواصي
بحق والنصيحة لا أباهي
وتنكيري لأولادي ونَفسي
وأخواني بنيّات التناهي
وعزوي كل أبحاث حوتها
مجاميعي إلى الراوين ما هي
على أسلوب أسلافٍ حراص
على الأسناد تجتنب المناهي
وأوجبت الحمية طبع باقى
مجاميعي وأبحاثي كما هي
وأرجو خالقي تحقيق سؤلي
وسؤلي العام (يغفر لى إلهي)
١٣٧٦ هـ

وصحيح أن كتابته بأمانة وبراءة بدون غرض أو سياسة . ينقل عبارة المؤرخين كما هي، فكتبه مادة خام صحيحة على أسلوب الأوائل الثقات. ويمكن أن يصيغها عصريون بأسلوبهم بقدر فهمهم واطلاعهم ، لكن يمكن أن يخالفهم فى الفهم والاطلاع غيرهم ، فيختلف التاريخ ويضطرب، لأن لكل كاتب فهماً واتجاهاً كمايقال: (الأخبار شفوف) فإبقاء عبارة الأولين أضمن لصحة التاريخ على حقيقته ، فليس التاريخ مثل سائر الفنون كعلوم العربية والأدب والفقه وغيرها التى يمكن أن تكون صياغتها بعبارة عصرية أحسن وأوضح (كالنحو الواضح) مثلاً فالأضمن لصحة التاريخ بقاء وقائعه كما هي، لا سيما الواقعة قبل قرون مخالفة لمقياس العصر .

أحمد محمد زبارة


المجلس
الإسلامي

إنقراض الدولة الرسولية

وابتداء الدولة الطاهرية


المجلس
الإسلامي

بسم الله الرحمن الرحيم

أنباء سنة ٨٥٨ هـ

(ثمانمائة وثمان وخمسين)

وما بعدها الى عام ٨٦٤هـ (ثمانمائة وأربع و ستين)

في سنة ٨٥٨ هـ (ثمانمائة وثمان وخمسين) إنقرض ملك بني رسول وزال من الوجود بعد أن ملكوا معظم البلاد اليمنية مئتين واثنتين وثلاثين سنة وامتد ظل ملكهم على جبال اليمن وتجاوز إلى الحجاز إبان مجده كما سبق فى الجزء الذي قبل هذا. ثم شاخ ملكهم وأصيب بالداء العضال، فتداعى بنيانه وأصبح في خبر كان، وما ذاك إلا للبطر واتباع الأهواء والاسترسال في الغفلة والملذات والجور والعدوان وتفرق الكلمة للضغائن والحسد ومحبة الاستثناء وسقوط الأخلاق الفاضلة فسبحان من لا يزول ملكه ولا يحول، وكان قد سار فى هذه السنة ٨٥٨ هـ (ثمانمائة وثمان وخمسين) المؤيد الرسولي فاراً من زبيد إلى عدن ولاية بني طاهر عمّال بني رسول على مناطق عدن ، فقصده بنو طاهر وأخذوا ما بيده، ثم سار المسعود الرسولي إلى عدن، فضايقه بنو طاهر، حتى خلع نفسه في ٦ جمادى الآخرة سنة ٨٥٨ هـ (ثمانمائة وثمان وخمسين)

ابتداء الدولة الطاهرية

كان من أكابر أمراء دولة بني رسول آل طاهر بن معوضه بن محمد بن سعيد بن عامر بن مسعود بن وهب ، وبعد أن اشتعلت نيران الخلاف والتنازع بين بني رسول كما سبق هبّ آل طاهر من مكانهم لإذكاء جمرها لمناصرة هذا والإخلاص لذاك على ذاك ، حتى أزالوا كل عقَبة وكانت الرئاسة في آل طاهر للأخوين "علي" و"عامر" ابني "طاهر بن معوضه" . ثم تلقب علي (الأكبر) بالملك المجاهد ، وعامر (الأصغر) بالملك الظافر ويرجح بعض المؤرخين أن نسبهم إلى بني أمية القرشيين .

وسار الملك الظافر عامر بن طاهر إلى تعز ثم موزع ثم إلى زبيد فدخلها دخولاً معظماً وخُطب له على منبرها فى ١٢ ذى الحجة سنة ٨٥٩ هـ (ثمانمائة وتسع وخمسين) واستمرت له الخطبة مع أنه أصغر من أخيه الملك المجاهد علي وسار المجاهد إلى عدن . ولما كان الناس فى عناء من الفوضى وتنازع بنى رسول ومن عبث المماليك وتغلب القوي على الضعيف فما سمعوا بنبأ نهضة آل طاهر إلاّ واشرأبت لها أعناقهم وعظم فيها رجاؤهم . . وكان بزبيد الأمير جياش السنبلي قد تزلّف إلى الملك

المجاهد والملك الظافر، فجعل يفتك بالعبيد بزبيد ويستأصلهم كما هو الشأن في الإقبال والأدبار . ولما استراح الملك الظافر عامر من شرور العبيد بعث إلى المعازبه بوادي رمع يحذّرهم الفساد وقطع الطرق، فـاستمروا في غيهم وكانوا عـتاةً . وكان قد وصل الملك المجاهد (علي) إلى أخيه بزبيد من عدن فنهض المجـاهد من زبيد إلى المعازبه فاستعدوا لقتالـه ولما استعر الـقتال فشل جند المـجاهد ونكص على عقبـه وهلك بعض رجاله، فركب جواده إلى زبيد وأقام الأخوان بها . ثم في سنة ٨٦١ هـ (ثمانمائة وواحد وستين) غزا المجاهد المعازبةَ فأخضعهم .

وفي سنة ٨٦١ هـ (ثمانمائة وواحد وستين) غزا الأمـير أبو "دجانه محمد بن أسعد بن فارس" أمير الشّحـر بعدة مراكب بحرية إلى عدن ، فلما قرب منها عـصفت بمراكبه الريح ، فتـحطم اثنانَ منها وحاول النجـاة بنفسه، فـتحطّم مركـبه وقذفتـه الأمواج إلى الساحل، فجيء به أسيراً على جمل إلى الملك الظافر عامر وكان قد خفّ إلى عدن عند أن بلغه غزوها، فجاءَه النصر من حـيث لا يحتسب وهكذا اقبال الدولة في أولها ، وفي سنة ٨٦٢ هـ (ثمانمائة وإثنين وستين) قبض المجاهد على جماعة من قبيلة القرشيين بتهامة وبعث بهم إلى المقرانة في بلاد رداع بعـد أن صادرهم بعشرين ألف دينار ، وفيها سار الإمام "الناصر بن محمد بن الناصـر بن أحمد بن الإمام المطهر المظلّل بالغمام بن يحيى" ، وأمه هي الشريفة "مريم بنت الإمام علي بن صلاح الدين " كما سبق . . سار إلى بلاد بني طاهر من صعدة فالتقاه الملك الظافر ووقع الصلح بينهما .

وفي سنة ٨٦٤ (ثمـانمائة وأربع وستـين) خُطب للملك المجـاهد " علي" على منابر تعز وزبيد وغيرهما وضُربت السكة باسمه بأمر أخـيه الظافر عامر إيثاراً لأخيه الأكبر وهكذا القبول قبل الدبور .

وفيات ٨٦٣ هـ

(ثمانمائة وثلاث وستين)

"المطهر بن كثير الجمل"

فيها توفى بصنعاء العـلامة الكبير" المطهر بن كثير الجـمل" قال القاضي "أحمد بن صالح أبو الرجال "فـي «مطلع البدور» : إنه العالم الكبيـر والفاضل الشهيـر، متفنن في جميع العلوم . وهو مُصنّف « المعراج » ومُـتمم «جامع الخلاف» ومُحقق "المنطق " حتى بالغ بقوله : أن دجاجَه يعرفن المنطق من كثرة تحقيقه له .

ولما وصل الدماميني الشافعيِ إلى صنعاء وهو يدرس فى العلوم قال:

إنى رأيت عــــجـيـــبــةً فـي ذا الزمن
شـــاهدتهـــا في وسط صنعـــاء الـيـــمن
أن تســـــألونـي مــــا رأيت فــــإنه
جـــمل بـهـــا يُقــري الورى فـي كل فن

وقرأ عليه جلة من الســادات منهم السيد "صارم الدين إبراهيم بن محمــد الوزير" والسيد "عماد الدين يحيى بن صلاح "وغيرهما وله رسائل فى الوسوسة ومن فضائله أن قَبر المنعَ في حدة وكان المهاتير من القبائل يضعون ريحاناً بينهم ويرقصون عليه مع النساء وينتقلون فى البلاد ويفعلون منكرات كباراً، فلما وصلوا إلى حدة وهو بها، أنكر عليهم ودفن ريحانهم فى التراب فسُمِي أهلُ حده قبّارة المنع .

قال "عبد الله بن الإمام شرف الدين" : وسمعت كتـابه الأصول على سيدنا الفقيه "بشر بن أحمد بن عبد الله بن أحمد الطُّرُبي" .

"يحيى بن أحمد مرغم"

وفيها توفى القاضي العلامة "يحيى بن أحمد بن على مرغم" شارح «البحر الزخار».

أنباء سنة ٨٦٥ هـ

(ثمانمائة وخمس وستين) وما بعدها

فيهــا نهض الإمام "الناصر بن محـمد" من ذمار إلى رداع ، فالتحم القـتال بينه وبين بني طاهر، فصبر جند الناصر وانهزم جند بني طاهر، ورجع جند الناصر إلى ذمار بالنصر والغنيمة، ثم نهض الملك المجاهد علي بن طاهر بجـيوش واسعة لمقاتلة الناصر بذمار، فـضرب قبابه خارج ذمـار، فلم يستطع الناصـر مقابلتـه وخرج من ذمار إلـى هران وخرج أعيـان ذمار إلى المجـاهد فأمّنهم ودخل المدينة بدون قـتال وأخذ ما بهــا من أموال بيت المال وهدم القـصر وبعض الدور ولم ينل أحـداً من الناس مكروه ، ثم رجع إلى بلاده واستخـلف على ذمار ابن أخيه علي بن تاج الدين وأما الناصر فغادر هران بـأهله وأولاده إلى صنعاء وأعطى القبائل شيئاً من النقود والثياب .

وفى سنة ٨٦٦ هـ (ثمـانمائة وست وسـتين) تجـهز الملك الظـافر عامـر إلى الشـحر وبلادها، فقرر أمورها- وكان تجهزه إليـها من عدن على طريق الساحل- وشحن المراكب في البحر بالعتاد والذخيرة فأتفق أن المراكب تعوقت فكاد الظافر وجنوده أن يهلكوا عطشا وانقطعوا عن السير حتى أغـاثهم الله بسيل من بعيد، فشربوا منه وحـملوا منه وساروا إلى الشحر بدون

قتال واستخلف عليها وسار إلى ظفار الحبوضي وكانت الجنود قد سبقته إليه بقيادة الشيخ عبد الملك بن داود، فعاثوا وأفسدوا، فلما وصل الظافر أمنهم وكف أيدى العابثين واستخلف على ظفار من قبله وجعل لصاحب ظفار حق الإشراف على عامله وقفل راجعاً إلى عدن.

ولما كان الناصر في طريقه من ذمار إلى صنعاء فاراً من الظافر إستقبله أهل عرقب وأظهروا له الاستبشار به وأضافوه فأنزلوه حصنهم وفرقوا أصحابه فى القرى، فلما صار في قبضتهم، جعلوا ضيافته الوثاق مع بعض أصحابه وكتبوا إلى الإمام المطهر بن محمد بن سليمان بن محمد وهو عدوه المعارض له يبشرونه بقبضه، فأسرع في طائفة من جنده فاستلمه وسار به نحو صنعاء، فأراد جند الناصر استنقاذه ، فلما علمت الشريفة «فاطمة بنت الحسن بن صلاح الدين» وهى عدوة الناصر وسجينته بدارها بصنعاء بعد أن أسرها من صعدة ، خافت أن يخلص الناصر من الأسر، فأوحت إلى خدمها أن يصيحوا باسم الإمام المطهر من سطح دارها فارتاع جند الناصر وظنوا أن المطهر قد احتل صنعاء ، ثم عادوا وهاجموا دار الشريفة فاطمة لينهبوها وكان «محمد بن الناصر» نائب والده الناصر بصنعاء فكفهم عن النهب وزجرهم وكان شهماً حازماً صبوراً فقدر على الثبات في أحرج الأوقات وسار المطهر بالناصر إلى كوكبان ثم حصن العروس، حيث مات به سنة ٨٦٨ (ثمانمائة وثمانى وستين) وكان كريماً ماجداً ممن مدحه الأديب ابن العطّاب الإبي بقصيدة عامرة منها:

إلى من للخلافة منه زهو	**نميس به ولا زهو العروس**
أمير المؤمنين ومن يُرجّى	**لدفع شدائد الدهر العبوس**
فمدح الناصر بن محمد لي	**شعاري وهو ملبوسى لبؤسي**

..إلخ

فأجازه بجملة من الذهب والملبوس النفيس -وقد أورد الزحيف فى «شرح البسامة» نبذة من مدائحه وأطال الثناء عليه - وأما والدته الشريفة "مريم بنت علي بن صلاح الدين" فتوفيت بصنعاء فى صفر سنة ٨٧٢ هـ (ثمانمائة وإثنين وسبعين) وقبرها فى قبة والدها وجدها جوار مسجد صلاح الدين غرباً -أما قبر ابنها الناصر فإنها نقلته من العروس على أعناق الرجال ودفنته بالقبة .

ولما قبض أهل عرقب على الناصر وأرادوا إرساله إلى السلطان عامر مقابل فلوس صاح فيهم فقيه هدوي لا تهدموا المذهب بتسليمه إلى عامر ولكن سلموه إلى الإمام المطهر، ففعلوا وقد سبقت سيرة الناصر ومعارضيه .

"الإمام المؤيد محمد بن الناصر"

هو محـــمد بن الناصر بن محـــمد بن الناصر بن أحمـــد بن الإمام المتـــوكل المطهر المظلل بالغمام بن يحيى بن المرتضى بن المطهر بن القاسم بن المطهر بن محمد بن المطهر بن علي بن الناصر أحـــمد ابن الإمام الهـــادي يحيى بن الحـــسين بن القاسم الرسي . .إلخ الـمولود في سنة ثمانمـــائة وثلاث وخمـــسين وقيـــامه فى سنة ثمـــانمائة وثمـــانى وستين ووفـــاته فى سنة ٩٠٨ هـ (تسعمائة وثمان) والذى تربى فى حجر الخلافة بصنعاء وأحرز شريف الخصال.

قال صاحب البسامة:

وقُلّدَ الأمـــر مـلكٌ مِن بنـى حـــسَنٍ ... مـــاضٍ عـزائمـه مـن خيـرة الخيـر

مــــؤيَّـدَ أيِدّ الـدينُ الحنـــيـف بـه ... لواؤه خـــافق بـالنصـــر والظفـــر

سل عنه أخـــبـر به أنظر إليـــه تـجـد ... مــــلءَ المسـامعِ والأفـواه والبـصـر

قال الزحيف في شـرحه للبسامة : هـو الخليفة الأفضل طراز العزة المكلـل العالم العامل العادل المؤيد بالعزيز القاهر محمد بن الناصر بن محمد بن الناصر، وقال صاحب «أنباء الزمن» إنه لما كان أسـر والده الناصر خاف على صنعاء من الإمام المطهـر وهمدان فكتب إلى الملك الظافر عامـر وبذل له تسليم صنعاء إلى مقابل خـمسين ألف دينار فأجابـه الظافر إلى ما طلب فسلم القصر إلى رسول الظافر وانتقل إلى الدار التى كانت بها الشريفة «فاطمة بنت الحسن» ثم وصل الأمير "عبـد الوهاب بن داود بن طاهر" عاملاً لعمه الظافر على صـنعاء وجعل للإمام "محمـد بن الناصر" قُرى حول صنعاء . وعظم ملك آل طاهر واسـتولوا على بعدان وبعض الجبال وخُطب لهم على منبر صنعاء . وتملك صـعدة فى هذه الأيام الأمير "الحسين بن على بن قاسم الحمزي" ، ثم فى سنة ٨٦٧ هـ (ثمانمائة وثمـانى وستين) وصل الملك الظافر عامر إلى صنعاء في ألف فارس وعسكر كثير، فتلقاه أهل صنعاء وقبائل همدان ودخل صنعاء دخولاً معظماً وأقام بها مـدة ، وأمر طائفة من جنده بحرب أهل ذهبان شمالي صنعـاء وقبض جماعة منهم . وأمر بقطع أشجار قرية حدة وأخراب بيوتها لامتناعهم عن تسليم ما عليهم ثم صالحهم على مال وأكـرم الشيخ "على حسن الهـمداني" وأمره بالحرب على ذي مـرمر وفيه الأمـير" محمد بن عـيسى شارب الأسدي" من أصحاب الإمام الناصر ودامت الحـرب سجالا ثم سار الظافر إلى بلاد بعدان فدوخها، وفيها استعمل المجاهد «علي» أخاه عبد الملك بن طاهر على

زبيد فنُقل إلى المجاهد أن عبد الملك تسامح فى أمر الملاهي التى كانت فاشية فغضب المجاهد وكان رجلاً ورعاً وتقياً وعزل عبد الملك فسار إلى الظافر شاكياً من المجاهد فغضب المجاهد وخرج من زبيد على جمل مستخفياً يريد العزم إلى مكة فخرج علماء زبيد وتشفعوا إليه بالقرآن الكريم أن يرجع فرجع برهةً قصيرة ثم ركب البحر إلى الحديدة فاستقبله عاملها ورجاه العود في البحر إلى زبيد فلم ينزل بها واتجه نحو الهند فعصفت الريح بمركبه إلى عدن فبادر العامل إلى استنقاذه إلى عدن فهرع إليه أخوه الملك الظافر وبذل كل مجهود فى استرضائه حتى طابت نفسه .

وفى سنة ٨٦٩ هـ (ثمانمائة وتسع وستين) خاف الظافر من وثوب "محمد بن الناصر" على صنعاء فكتب إلى عامله بصنعاء "محمد البعداني" في إرساله إليه، وعلم "محمد بن الناصر" أن الظافر سيحبسه إلى الممات فاستغاث "محمد بن الناصر" بأميره "محمد بن عيسى شارب" فتحمس مع أهل صنعاء وانتهوا إلى دار العامل البعداني واحتشدوا أمام دار "محمد بن الناصر" وخرج راكبا على جواد فاحتل القصر وصنعاء وانتهب أصحابه دار العامل ودار يحيى الكواز من أعاظم رجال بني طاهر وأخذوا منهما أموالاً جليلة جداً وطلب من بالقصر الأمان وبعضهم فروا فتجمهر الظافر بجنود كانت حول صنعاء فجنح محمد بن الناصر إلى الصلح وعاد الظافر راجعاً إلى بلاده وكان جنود الظافر قد دمروا ما حول صنعاء من الدور والحدائق الجامعة لأنواع الأشجار وطمسوا الآبار والأنهار واتصل إفسادهم بناحية ذي مرمر وهدموا فيها شبام سخيم الذى قال فيه الهمداني فى الأكليل أنه من المصانع الحجرية والعبرة لمن اعتبر، وفي أثناء حصار الظافر لصنعاء التمس منه جنده الإذن بمسيرهم إلى بلادهم لعيد الأضحى فأذن لهم ورجع إلى المقرانة برداع على نية العود فأعان أهل صنعاء "محمدَ بنَ الناصر" بأربعة آلاف أوقية فضة وحبوب وجنود للجهاد، وفي أول سنة ٨٧٠ هـ (ثمانمائة وسبعين) زحف الظافر بقوة وجنود كثيفة نزل حول صنعاء يقطع الأشجار ويدمر البنيان ويطم الآبار والأنهار وشاركه «محمد بن المطهر بن محمد» بمن عنده من عسكر كوكبان، فمن الأنهار التى طمها «مجارى غيلي آلاف » و«البرمكي» وكانا يفيضان بالخير على صنعاء وما حولها وبينما "محمد بن المطهر" معه في عملها إذ انتهز "محمد صلاح الضريوه" خلو كوكبان فوثب عليه وحاول أسر الإمام "المطهر بن محمد من كوكبان" ولكن قبائل همدان والاهجر والعروس نجدوا الإمام وقتلوا من أهل ثلا وأسروا رئيسهم الضريوه فسجنه الإمام بكوكبان، ولما علم "محمد بن الامام المطهر" استغاث بالظافر فجهزه على ثلا فقتل من أهلها وخرب جانباً منها وسار إلى والده بكوكبان ثم عاد برؤس القتلى إلى الملك الظافر، ثم اتجه الظافر إلى مأرب ثم إلي رداع ثم عدن .

تجهز الظافر على صنعاء أخيراً وقتله حولها

بينما الملك الظافـر بعدن وصلته كتب من صنعـاء بأن يبادر فخفتـه الأحلام الكاذبة ونهض مسرعاً وكان كما قيل :

وَلَكم مـن سـعى لـيـصـطاد فـاصـطُيـد ولم يلق غـيـر خُـفي حنـين

فحاصـر صنعاء فأغلق "محمد بن الناصر" أبوابها واستعـجل حضور "محمـد بن عيسى شارب" فأقـبل بطائفة من ثلاثين فارساً فقط وكـان يرتب قرن عنتر ظفار وغيـره من الحصون ورأى من جنود الظافر ما يدهش الألباب ولكنه غامر ودخل صنعاء فثارت حماسته وطائفته مع أهل صنعاء ففتحـوا الابواب وانقضوا على جنود الظافر فكانت معركة حاميـه قُتِل فيها الملك الظافر وفـر جنوده لايلوون على شيء فامتـلأت أيدي أهل صنعاء ومن معـهم من الغنائم وتم لمحمد بن الناصر مُلك صـنعاء ومخاليفها وسالمتـه الأيام ودان له الخاص والعام وأحبه الناس وشكروا عدله حتى أنه مرض فنذر الناس بالصوم فلما برىء قال شاعراً ومستشهداً :

نذر الناس يوم برئك صومـاً غير أني نذرت وحدي فطراً

عالما أن يوم برئك عيـد لاأرى صومه وإن كان نـذراً

ودام ملكه لصنعاء أربعين سنة إلى وفاته سنة تسعمائة وثمان لم يحدث إلا أن الأمير الهادي بن الحسين بن الـقاسم الحمزي بعد أن سـمع قتل الظافر زحف من صعـدة بقوة إلى همدان وعضده الأمام المطمر بن محمد بن سليمـان وابن الأنف صاحب طيبة وتقدم الجميع لحرب صنعاء، فقـابلهم المؤيد "محمد بن الناصر" وأصـدقهم القتال بقوة وثبات، فـعادوا أدراجهم وقتل الهادي بن الحسين فى الجوف وسار" محمد بن الناصر" إلى الجوف وكاد يتغلب على أشراف الزاهر لولا مؤامرة وممالأة حصلت فعاد إلى صنعاء وخفّف الجند بها ونشر العدل .

حالة بني طاهر بعد قتل الظافر

لما طار خبـر مقتل الظافر اضطربت على أخيـه الملك المجاهد البلاد وثار الخلاف فـيها فانقطع طمعـه في ذمار وصنعاء واشتغـل بإصلاح تهامة واليمن الأسـفل ، وملَّك ذمار الإمام المطهر بن محمد إلى وفاته سنة ٨٧٩ هـ (ثمانمائة وتسع وسبعين)

أنباء ٨٧١ هـ (ثمانمائة وواحد وسبعين)

فيها نهض الملك المـجاهد من عدن إلى المقرانة ثم جبلة ولمـا بلغه اضطراب المعازبة هرع إلى زبيد ثم بيـت الفقيه ابـن عجيل وشن عليـهم الغارات قتـلا وأسراً حتى أثخن فـيهم وخضعوا إلى سنة ٨٧٣ هـ (ثمانمـائة وثلاثة وسبعين) فتحركت قبيلة الرمـاة فقصدهم عامله

على زبيد أبو سفيان فقتل منهم مائة رجل وأسر خمسين من أعيانهم ونهب كثيراً من ماشيتهم واتجه إلى بيت الفقيه الزيدية فأخضعها وقتل رئيسهما ابن حفيظ ورجع إلى زبيد،

وفى سنة ٨٧٤ هـ (ثمانمائة واربعة وسبعين) عادت المعازبة إلى الشغب فخرج أبو سفيان بعسكر عظيم فنهبوا أموالهم وقتلوا منهم جماعةً . ثم سار عنهم إلى بيت الفقيه الزيدية وكانوا بعاملهم ابن السنبلى فبرزوا لقتاله ودارت رحى الحرب، فقتلوا أبا سفيان ومئتين من أصحابه بعد أن قُتل منهم كثير. وفيها تمردت قبيلة الرماة فخرج إليهم المجاهد بنفسه وقتل منهم ونهب مواشيهم حتى صالحوه على خمسة وثلاثين فرساً ثم نهض إلى بلاد بني حفيظ فصالحوه ورجع إلى زبيد فقلد أمورها القاضي شرف الدين محمد بن الأحمر وسار إلى عدن فعادت قبائل تهامة للشقاق واضطروه للرجوع لمنازلتهم ،فاستمرت الحرب بينهم سجالا .

وفي الزحيف وغيره أن قتل الملك الظافر حول صنعاء شبيه بقتل علي بن محمد الصليحي في المهجم في قوته الجبارة وقيل فيه أشعار منها قول محمد بن عبد الله الوزير والد صارم الدين :

ديار الحسي من كنفي أزال سألتك
كيف قتل العامرية
غداة أتوا على صنعاء بجيشٍ
أجش وبالظبى والسمهريه
غزانا عامر وبنو أبيه
كماة بالطُلَى والسابرية
غزانا من ربى عدنٍ ولحج
ومن مخلاف جعفر بالعنية
أحاطوا بالمدينة حين جاءوا
إحاطة هالة الشمس المضيئة
وكادوا يفلسون الدرب لما
رأوا من أهل صنعا ضعف نيه
فجاءت غارة الباري علينا
وغاره ربنا ليست بطيه
وسر تلاوة القرآن لما
تولى عند الصباح وفي العشية
وسر محمد المختار فينا
وعترته المباركة الزكية
ألم تر عامرا في يوم صنعا
تلى كبره والعنجهية
وأخرب دورنا وجنى علينا
جناية مستخف بالرزية

فـــعـــوجل بـالعـــقـــوبة واســـتـــبـيـــحت

نـفـــــائـــــه مـع الـنفـس الأيـــــة

وسيــأتى فى سنة ٩٢٣هـ (تسعمــائة وثلاثة وعشرين) قــتل الملك "عامر عــبد الوهاب الطاهرى" في أكمــة الزبيب حول صنعــاء مشابهة لــهذه، وفى سنة ٨٧٤ هـ (ثمانمــائة واربعة وسبــعين) سار عز الديــن بن حفيظ وجمــاعة من أقاربه إلى الملك المــجاهد علي فأكــرمهم وأعطاهم أثني عشر ألف دينار يتآلفــون بها قبائل تهامة ولما وصلوا بها إلى قــبائل الرماة وثبوا عليهم وانتهبوا جميع مامعهم من مال وخــيل، فخرج المجاهد من زبيد غازيا للرماة فقتل منهم ثمانين رجلاً ونهب مواشيهم ثم غزاهم غزوة أخرى .

وفيــها ظهر كنز عظيم أكثــره من الذهب الأشرفي الرسولي في قــرية واسط من قرى وادي زبيد، فشدت إليه الرحال وأباح المجاهد للناس ماوجدوه .

وفي سنة ٨٧٥ هـ (ثمانمائة وخمسة وسبعين) عادت المعازبة بتهامة إلى سيرتها من الفساد فنهض لحربهم عامل بيت الفقيه الحبشي وكرر الغارات عليهم والإيقاع بهم .

وفيات

"أبو العطايا عبد الله بن يحيى"

في سنة ٨٧٣ هـ (ثمانمــائة وثلاثة وسبعين) توفى الســيد الإمام عبــد الله بن يحيى بن المهدي بن القاسم بن المطهر الحسيني الزبيدي نســباً ومذهباً عن ٦٣ سنة وترجمته فى طبقات الزيدية طويلة. وفى مطلع البــدر قال: وكان إمــام علماء العــترة الكرام في زمــانه ومفــسرها ومحدثها وملحق الأصاغر بالأكابر، تخرج عليــه العلماء وانتفعوا به ، ولا تفي عبارة بأوصافه وكراماته ومما قيل فيه :

أبــا العــطــايــا ياصـــــــلاح الــهُـــــــدَى
لا زلــت في خـــــيـــــــر من الــبــــــاري
مـــــتـــــــوَّجًـــــا تاج الــتــــقَـى والنــهى
وعـــــــــاريًا مــن حُــلــة العـــــــار

ومن تلاميذه السيد «محمد بن عبد الله الوزير» وابنه صارم الدين قرأ عليه فى مسجد نُصير من ساحات القطيع بصنعاء وهو مسجد أبي العطايا وقــال فيه الامام "عز الدين بن الحسن" : العالم الشهير الفاضل الكبير، درّس بعد فناء سنة ثمانمائة واربعين ثلاثاً وثلاثين سنة وقبل الفناء عشرين سنة وكان مجتهد زمانه. ورثاه السيد صارم الدين "إبراهيم بن محمد الوزير" بقصيدة منها :

يا شـيـبــة الحـمـد من أبناء فـاطمـة
ويا بـقـيـة أخـيـار وأحـبـار
عـلامـة العـصـر فـرد الدهـر واحـده
فـلا يجـاريـه ذو علم بـمـضـمـار

مـحـقق فـي فنون العـلم مـجـتـهـد
وأوحـد في المـعـالي قـارئ قـاري

"يحيى بن أحمد مظفر" «مؤلف البيان»

وفي سنة ٨٧٥ هـ (ثمانمـائة وخمسـة وسبعين) توفى في رجـب القاضي العلامة الكبـير الشهير الفروعي" يحيى بن أحمد بن على بن مُظَفَّر" صاحب «التصانيف النافعة» منها «بيان ابن مظفر» في مجلدين كـبيرين في الفُروع جمع فيه المـذهب الزيدي باتقان واستيفاء وهو مـعتمد الأعلام في صنعاء وصعده وحوث وذمار وغيرها وهو مـقبور بهجرة حمدة من عيال سريح . ثم دفن بجنبه حفيده القاضي العلامة الفروعي المؤرخ محمد بن أحمد بن يحيى مظفر الحمدي صاحب «البستان شرح البيان» لجده وصـاحب «الترجمان شرح بسامة الوزير» في التاريخ وهو مثل «الزحيف» وهو من أهل القرن العاشر.

"عبد الله بن مفتاح" «شارح الأزهار»

وفي يوم السبت سـبعة ربيع الأول سنة ٨٧٧ هـ (ثمانمـائة وسبع وسبعـين) توفى بصنعاء الفقيه العـلامة الفروعي "عبد الله بن القاسم بـن مفتاح" مؤلف «المنتزع المختـار من الغيث المدرار شرح الأزهار». وكان عالماً فـقيهاً محققاً زاهد عابدا، سكن قرية غضـران وعمر فيها مسجدها وقد عم الانتفاع بشـرحه للأزهار مئات السنين أجيالاً ونُسخ منه آلاف النسخ ثم طبع مراراً ولا تكاد تُحصر نُسَخه وقبره جنوبي صنعاء مشهـور مزور إلى الآن ، وقد شُرِح الأزهار بنحو خمسين شرحاً لم يكن لأيها حظ شرح "بن مـفتاح" مع أنها أبلغ منه في التحقيق، وقد رأى في منامه مؤلفَ الأزهـار يعمل بمسحاة في أرض ثم سلمـها لابن مفتـاح وعمل بها في تلك الأرض وعمل مثل عمله . رثاه المؤرخ "محمد بن علي الزحيف" :

سـقى جـدثا أضـحى بـصنعـاء ثـاويا
مـن الدلـو والجـوزاء غـادٍ ورائحُ
كـأن لـم يمـت حيٌ سـواك ولـم تقـم
عـلـى أحـد إلا عـلـيـك الـنـوائـح

ليبك ابن مفتاح فقيرُ ومُعوِلَ
ومختبط مما تُطيح الطوائح
وتذكرةٌ ثم الزهور ونجلهم
وما الكتب غير البحر إلا ضحاضح

وممن رثاه أيضاً العلامة "يحيى بن محمد صالح حنش" :

أمـا عليك فقلبي دائم الفزع
وكيف أسلو ووجدي غير منقطع
ولي فؤاد بنار الغم محترق
ومقلة كحلت بالسهد والوجع
كيف البقاءُ وأرضُ الله مظلمةٌ
من بعد سيدنا العلامة الورع
الأوحد القدوة المفضال أفضل من
يمشي على الأرض في سهل ومرتفع
الصائم القائم البر التقي له
طرائق حمدت في الضيق والوسَع
ترِب العبادة يحكي في تعبده
وفضله الحسن البصريِ والنَخعي
وفى الزهادة عَمرو بن العبيد فلا
يرنو بطرف إلى شيء من الطمع
وفي الحلوم كقيس المنقري فلا
يطيش إن طارت الألباب بالفزع
على طرائق أتباع النبي مضى
كأنه منهم من خير مُتّبع
واحسرتاه ولي قلب ندامته
عليه يقصر عنها حسرةُ الكُسَعى
قد كان في الأرض نوراً يستضاء به
فعمت الظلمات الأرض حين نُعي
وكان في العلم كالروض الأنيق لنا
إليه متجَعُ من كل منتجع
إذ كان في حلق التدريس بهجتها
كالبدر في هالة الأنوار منصدع
ثُلت عروش الهدى من بعد غيبته
وأصبح الدين نهباً غير ممتنع

وفي ذى القعدة سنة ٨٧٧ هـ (ثمانمائة وسبع وسبعين) توفى بقرية «القابل» القاضي الإمام "عبد الله بن محمد بن أبي القاسم بن على بن ثامر بن فضل بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الزيدي العبسي بن عبس حجة النجري" نسبة إلى «نجرة» ببلاد «حجة» عن ٥٢ سنةً من مولده ، نشأ بهجرة «حوث» وقرأ على الإمام "المطهر بن محمد بن سليمان" وعلى أخيه "علي بن محمد النجري " في الأصولين والفقه وعلَى "علي بن موسى الدواري" و"محيي بن أحمد مظفر" وكان مع الخالدي والبكري من أنصار الإمام المطهر بن محمد ورحل إلى مصر وترجمه عالم مصري ترجمة منها: ورد فى الربيعين سنة ٨٢٥ هـ (ثمانمائة وخمس وعشرين) من «حوث» اليمن وقرأ على والده بحوث وأخيه علي في «النحو والفقه والأصولين» ثم حج سنة ٨٤٨ هـ (ثمانمائة وثمان وأربعين) ثم دخل البحر ودخل القاهرة فوصل إليها في ربيع الأول فبحث بها في «النحو والصرف» على ابن قديد وفي «المعانى والبيان» على "الشمسي "وفي «المنطق» على "التقَي الحصيني" وحضر في «الهندسة» عند أبي الفضل المغربي وكان يطالع بذلك وما أشكل راجع به وطالع «شرح الشريف» على الجرجاني و«التبصرة» لابن أفلح وفي «العضد» على الصيرفي وتقدم في هذه العلوم واشتهر فضله وامتد صيته لاسيما في العربية وكتَب في سنة ٨٥٣هـ (ثمانمائة وثلاث وخمسين) قوله في وطنه «حوث» :

بشاطىء حوث من ديار بني حرب
لقلبي أشجان معنبة قلبي
فهل لي إلى تلك المنازل عودة
لتفرج عن همي وتفرج عن كربي

ومن مؤلفاته «مختصرات الثمرات شَرح آيات الأحكام» و «شرح المِرقاة في علم الكلام وشرح المرقاة إلى الغايات» للإمام المهدي وكتاب في «النحو» وكتاب في «المنطق» و «شرح مقدمة التسهيل» لابن مالك و«المعيار في الأحكام» كتاب جليل يؤخذ منه قواعد المذهب و«الاشباه والنظائر والنظام» و «شرح القلائد» للمهدي ألَّفه فى سفَره قافلا من مصر وهو من الكتب المدروسة في أصول الدين والطبيعة ، وهو أول من قدم «بمغني اللبيب» من مصر إلى اليمن . وكتب من مصر إلى والده :

فراقك غصتي ولقاك روحي
وقربك لي شفاءً من قروحي
وما إن أذكر الأوطان إلاّ
يضيق به من الأحزان سوحي

وما فيـها أحس سـواك شـوقـاً
إليـه فـأنت يا مـولاي روحـي

فـعـفـوك والـدي عنـي وإلاّ
فنُوحـي يـا عـيـون عـلـيَّ نوحـي

"الإمام المطهر بن سليمان"

هو الإمام " المتوكل المطهر بن محمد بن سليمان بن محمد بن سليمان بن يحيى بن الحسين بن حمزة بن علي بن محمد بن الإمام حمزة بن أبي هاشم الحسن بن عبد الرحمن بن يحيى بن عبد الله بن الحسين بن القاسم الرسي بن إبراهيم" .. إلخ.. مولده كان سنة ٨٠١ هـ (ثمانمائة وواحـد) ودعوته كانت في ثمانمائة واربعون وفـاته كانت بذمار سنة ٨٧٩ هـ (ثمانمائة وتسع وسـبعين) أخذ عن الإمام المـهدي أحمد بن يحيى وتزوج بابنتـه وعن السيد "الهادي بن يحيى المرتضى" والفقيه "محمد بن يحيى المذحجي" والفقيه "يوسف بن أحمد بن عثمان" وغـيرهم وكان علامه حافظاً. من مؤلفاته «الارشـاد» و « رسالة في أحوال الأئمة» ورسائله بليغة من الأهجر والمغاربة ودعا بعد موت الإمام المهدي أحمد بن يحيى و"المنصور علي بن صلاح الدين" سـنة ثمانمائة واربعـون وعارضه "الناصـر بن محمـد بن الناصر" . و"صلاح بن علي بن محمد بن أبي القاسم" . فعضده الفتى "قاسم بن عبد الله سنقر" مولى المنصور "علي بن صلاح الدين" ، فـحبس "صلاح بن علي" وفر "الناصر بن مـحمد" إلى جهة «ذمار» فتـقدم عليه المطهر والفتى قاسم وكانت معركـة بينهم في «قُرَيس جهران» انجلت عن قتل الفتى قاسم وأسـر المطهر وحبسه في حصن الربعة غربي ذمـار نحو سنة فأخرجه ابن السجان جزاء لتعليمه إياه القرآن وسـارا ليلاً إلى «آنس» ثم «الحيمة» ثم« الأهجر» ثم «السودة» فأكرمه "المعافي بن عمر" صاحب «السودة» . وكان المطهر قد نظم في السجن قصيده سماها «انقضاء الوطر بمدح سيد البشر». ذكر منها الزحيف وغيره مائة وسبعة وثلاثين بيتاً وقد خمسها وشرحها كثيرون ولما وصلت إلى "مـحمد بن إبراهيم " وزير " الناصر بن محمد " الحابس له ، قال الوزير انظروا فـبركة هذا الشعر قد خرج منشـده من السجن فكان كذلك ويروى عنه أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في المسـجد وبجنبه عائشة فكان يغض الطرف عنها حياءً، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : إنها أمك وكانت تدق شيئاً فأعطته منه وسَفَّهُ وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم له : هذا دواء حل القيد وأمره أن يعارض قصيدة الحلية فقال قصيدته التي أولها:

مـاذا أقـول ومـا آتي ومـا أذر
في مـدح من ضـمـنت في مـدحـه السـورُ

إلى آخر ١٣٧ بيتاً ثم استقر بكوكبان ثم إنتقل إلى ذمار سنة ثمانمائة وواحد وسبعين إلى وفاته بها وقام بعده محتسباً بذمار ابنه عبد الله إلى أن أخرجه عنها بنو طاهر كما سيأتي .

"الإمام إدريس وهاس الظفري"

وفي مرض الإمام المطهر دعا بحصن «ظُفُر ذيبين» الإمام المهدي "إدريس بن عبد الله بن محمد بن علي بن وهّاس بن أبي هاشم بن محمد بن الحسين ابن الإمام حمزة بن أبى هاشم الحسن بن عبد الرحمن الظفري" دعا قبل دعوة الإمام محمد بن يوسف بن صلاح لكن الدنيا انزوت عنه . وكان كريماً سليم الصدر وكان جامعاً للشروط المعتبرة في الإمام ووفاته بظفر وقَبْرُهُ بجانب جده الحسن بن وهّاس بن أبي هاشم . وقلت في تحفة المسترشدين :

وقد دعا من حصنه بالظاهر — إدريس وهاس بلا موازر
ولُقّب المهدي في الثمان — من قبلها السبعون والثمانِ
وكان أهلاً للقيام قالوا — لكنهم عنه نسوا ومالوا
وبعد حينٍ قد ثرى بلحده — وقبره في ظُفُرٍ لَجده

ومن ذريته الأعلام السادة بيت الظفري .

منهم السيد العلامة عبد الله بن محمد بن القاسم بن محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن الحسن بن محمد بن ناصر بن شمس الدين بن اسماعيل بن يحى بن اسماعيل بن عبدالله بن الامام ادريس بن عبدالله . إلخ. الظفريِ المتوفى في رجب سنة ١٣٦٨هـ (الف وثلاثمائة وثمانية وستون) وترجمته بنزهة النظر .

الإمام "الناصر محمد بن يوسف"

دعوته سنة ٨٧٩ هـ (ثمانمائة وتسع وسبعين)
وفاته سنة ٨٩٣ هـ (ثمانمائة وثلاث وتسعين)

هو الإمام الناصر "محمد بن يوسف بن صلاح بن المرتضى بن الحسن بن علي بن يحيى بن منصور بن المفضل الهادويِ والذي كانت دعوته سنة ثمانمائة وتسع وسبعين ووفاته سنة ثمانمائة وثلاثة وتسعون .

قال تلميذه الزحيف : كان متبحرا في العلوم ، ولما وصل إليه خبر وفاة الإمام المطهر بن

محمد خرج من صنعاء إلى ثلا وبث دعوته وأجـابه الأشراف الحمزات بصعدة وخطبوا له إلى وفاته ولم يملك من البلاد شيئاً وإنما خطبوا له للخلاف بينهم وبين الإمام الأنهض "الهادي عز الدين بن الحسن المؤيـدي" وقد أشار السيد "عبـد الله بن علي الوزير" فى «تتمته للبـسامة» بذكر الداعي "إدريس بن عـبد الله وهاس" والداعي "محمد بـن يوسف بن صلاح "والإمام "الهادي عز الدين بن الحسن بن علي المؤيدي اليحيوي" بقوله وهو أول تتمته للبسامة:

وفـي ابـن وهاس الـداعـي وقـــــائـمـنـا
واليـــــحـــيـــوي إمـــام الثـــار والأثر

قـــضت بـنصـــر وخـــذلان ولا عـــجب
فـالمـلك مـا يـن مـخـذول ومنتـصـر

أفـضـت إلى القــائـم الهـاديِ وقــد درجت
أقـــراتـه فـأفـــاض العـدل فـي البـشـر

وأظفــــرت يوم نــسـريـن الأمــيــر عـلى
جنـد الإمـــام وكـــان الرأي فـي الحـــذر

وكان قد درّس بمسجد الأبهر بصنعاء ثم استـدعاه بعض شيعته إلى ثلا فخرج من صنعاء ودعا بثلا ولم ينل حظاً إلى وفاته بثلا ودفن في قبته .

الإمام "الهادي عز الدين بن الحسن"

هو الإمام الأعظم الهاديِ "عـز الدين بن الحسن بن الإمام عليِ بن المـؤيد بن جبريل بن المؤيد بن أحمد بن يحيى بن أحمد بن يحيى بن يحيى" . . إلخ .

مولـده فى هجرة فلله فى شـوال سنة ٨٤٥ هـ (ثمانمـائة وخمس وأربـعين) وأخذ بـها وبصعـده عن القاضي علي بن مـوسى الدواري وغيره ثم رحل إلى تهـامه فأخـذ بحرض عن الشيخ المحـدث يحيى بن أبي بكر العامريِ مـؤلف «بهجة المحافل» وغـيرها وبرع في العلوم وصنف وهو في دون العشرين ومن أجّل مؤلفاته «شرح منهـاج القرشي» في مجلدين ضخمين في الأصول ، و«شرح البحر الزخار إلى كتـاب الحج» في مجلدين سلك فيه طريقة الأنصاف يدل على تبحـره فى العلوم . و«كنز الرشاد» . وكتاب «مـختصر في علم النجـوم والحساب» وكتاب «العناية التامة بتحـقيق مسألة الإمامة» خالف فيها المذهب الزيدي وله فـتاوى مجموعة في مجلد ضـخم مفيدة جـداً ،وله ديوان شعر، وكانت دعـوته بفلله في شوال سنة ٨٧٩ هـ (ثمانمائة وتسع وسبعين) ودخلت تحت طاعته بلاد السـودة وكحلان والشرفين والبلاد الشامية والعلماء من سائر الجهات وهو من أكابر الأئمة .

قال الشوكاني: إن له شغفاً بالعلم عظيم وله من الإنصاف وأتباع الدليل ما لم يكن بغيره حتى حرر بحثاً فى عدم انحصار الإمامة في بطن من بطون قريش وتكلم بالصواب مع كونه إذ ذاك إماماً واستمرت إمامته إلى وفاته فى رجب سنة ٩٠٠ هـ (تسعمائة) بفلله ودُفن حولَ قَبْر جِدّه الإمام علي بن المؤيد بن جبريل .

ويروى أنه سمع نعيه بصنعاء يوم وفاته قبل وصول الخبر بأيام وأشار إلى ذكر الإمام "يحيى شرف الدين" فى مرثاته له بقوله :

هل الوجد إلاَّ دونَ ما أنت واجده
وما الخلق إلا دون من أنت فاقده
نعاه إلينا قبل يوم وصوله
بسبع إلهُ الخلق والسمع شاهده

وبعد أن استجابت لدعوة الإمام "الهادي عز الدين" بلاد تهامة وبلاد الزيدية بما فيها الشام إلا الحَمزات بمدينة صعدة انتقل الإمام إلى الأهنوم ثم السودة وعمر بها مسجداً عظيماً ووصل إليه العلماء من نواح شتى ولازموا حضرته أكثر من مئتي عالم ، فمن وجوه صنعاء القاضي "محمد بن أحمد مرغم" والفقيه "علي بن زيد" والفقيه "علي بن محمد البكري" والفقيه "يحيى بن صالح العلفي" والفقيه "أحمد بن محمد الخالدي" والفقيهان أحمد ومحمد ابنا "الفهد الكحلاني" ومن فقهاء ذمار والحيمة والشاحذية وأنس وهجرة عرة ثومان وكان أمير صنعاء المؤيد "محمد بن الناصر" قد أذن لعلماء صنعاء بالذهاب إلى الإمام لمبايعته فهو عدل عاقل ولم يكن معانداً مثل أمير صعدة "محمد بن الحسين الحمزيِ" ثم أذن الإمام بعودة أكثرهم إلى بلادهم بعد أن ولاّهم ولايات عامة وخاصة .

وفى سنة ٨٨٠ هـ (ثمانمائة وثمانون) نهض الإمام الهادي "عز الدين" إلى بلاد مسور المنتاب ثم ضلع كوكبان ثم انحدر إلى الطويلة وبلاد الشاحذية واستقر فى هجرة روحان ثلاثة أيام اجتمع بالعلماء ثم الحيمة ووصل إليه أعيان حراز ثم آنس أياماً ثم رجع إلى هجرة فلله بالشام فاجتمع لديه من خولان وغيرها نحو خمسة عشر ألف رجل ومائة فارس فحثوه على دخول صعدة وفيها الأمير محمد بن الحسين الحمزي والحمزات فتقدموا بخيلهم على جند الإمام فى (نسرين) بغتة، فما كان بأسرع من هزيمة أصحاب الإمام خولان ومن إليهم وقتل منهم نحو سبعين ولم يقتل من الحمزات أحد وعاد الإمام إلى هجرة فلله .

وفيات

" أحمد بن محمد الخالدي"

وممن استشهد يوم «نسرين» من علماء الإمام الفقيه العلامة "أحمد بن محمد بن داود الخالدي" ، نادرة زمانه وأوحدهم لا سيما في الفرائض ومن مؤلفاته كتاب «إيضاح الغامض من علم الفرائض» وشرح على كافية بن الحاجب سماه «تحفة الراغب» وله شرح على المفصل للزمخشري فى النحو و«الجوهر الشفاف ذي النكت اللطاف» في المنطق . وله في الفروع «شرح التذكرة» جمع فيها بين تعليق الفقيه يوسف وابن مفتاح فى مجلدين وكان من خواص الإمام المطهر بن محمد ثم الإمام عز الدين بن الحسن واستشهد بين يديه .

"على بن موسى الدواري"

وفى سنة ثمانمائة وواحد وثمانون توفى بصعدة القاضي المحقق علي بن موسى الدواري، أخذ عن السيد علي بن محمد بن أبي القاسم وغيره . وعنه الإمام عز الدين بن الحسن والسيد صارم الدين "إبراهيم بن محمد الوزير" والقاضي "عبد الله بن محمد النجري" وغيرهم ،، وفيه يقول السيد صارم الدين :

إلى ابن موسى الذى طابت أرومته
بحر العلوم وواعيها ودارسها
شيخ العلوم ومحييها بصعدته
رمز به تنجلي عنها حنادسها

وفى سنة ٨٨٢ هـ (ثمانمائة واثنين وثمانين) تعكّر الجو بين أمير جازان الشريف "أحمد بن دريب بن خالد الحَسَنِي" وبين أمير مكة الشريف "محمد بن بركات بن حسن بن عجلان الحَسَني" ، فتجهز أمير مكة بجيوش عظيمة قال صاحب أنباء الزمن ولما وصل إلى قريب جازان ترددت الرسل بينه وبين أمير جازان الشريف أحمد فلم يتم الصلح ووقعت حرب شديدة انهزم فيها أمير جازان وقتل من أصحابه عدة واستولى أمير مكة على جازان وانتهكت المحارم ولم يسلم من الهتك حتى حريم أمير جازان وأخذ أمير مكة جميع الخزائن والذخائر والكتب الكثيرة وهُدمت الدور والسور وفر ابن أمير جازان إلى زبيد فأكرمه الشيخ "يوسف بن عامر بن طاهر" غاية الإكرام وبعث به إلى عمه الملك المجاهد "علي بن طاهر" فأعطاه عطاءً واسعا .

"على الشظبي"

وفي ربيع الثانى سنة ٨٨٢ هـ (ثمانمائة واثنين وثمانين) توفى بصنعاء الفقيه العلامة "علي بن زيد بن الحسن الشظبي القريمي الصنعاني الزيدِي" . كان عالماً محققاً ، ارتحل إلى مكة لطلب العلم، فأخذ بها ثم أراد الارتحال إلى مصر لطلب العلم أيضاً

فرأى بمكة فى منامه (ترتحل وفى صنعاء أبو العطايا) فعاد إلى صنعاء وأخذ عنه وعن القاضى " يحيى بن أحمد مظفر "وغيرهما وله حواش على التذكرة وكف بصره آخر عمره واستوطن صنعاء إلى أن مات بها ودفن بجربة الروض ومن تلاميذه العلامة "علي بن مكابر الشطبي" شيخ الإمام شرف الدين . وتزوج بابنة الفقيه "علي بن زيد" .

ومن تلاميذه أيضاً السيد العلامة "الناصر بن يحيى بن محمد بن المهدي بن علي بن المرتضى " .ومدح شيخه أبا العطايا بأبيات منها :

بشراي هذا أوان الفوز بالظفر
ما كنت أبغي كموسى فار بالخضر
ظفرت بالغاية القصوى أطالبها
فمن يَنَلْها يكن من أسعد البشر

وله شرح على التكملة وتعليق وأماليِ وفوائد .

"علي بن محمد البكري"

وفي رمضان سنة ٨٨٢ هـ (ثمانمائة واثنين وثمانين) توفى العلامة المحقق علي بن محمد بن أحمد بن على بن يحيى البكريِ الزيدي ، أحد أكابر العلماء المحققين المدققين ، له مؤلفات منها «السراج الوهاج شرح المنهاج» للقرشي في مجلدين وشرح على «مقدمة الأزهار» وشرح على «بيان إبن مظفر» ولما ألف الإمام عز الدين بن الحسن رسالته المخالفة للمذهب الزيدي في الإمامة رد عليه صاحب الترجمة برسالة وله شرح على «قواعد المعتزلة» وله «اعراب اذكار الصلاة» ،وللإمام عز الدين قبل دعوته قصيدة جواب إلى البكرِي من فللهِ إلى صنعاء منها :

دع ذكر ما بالحمى والبان والطلل
وعد عن معهدِ بالابرقين خليِ
وقدم الخوض في المقصود مبتدئاً
اعجِل فقد خلق الإنسان من عجل
إن الأهم بتقديم الأحق فلا
تَعباً بعادة أهل الشعر والغزل
وافَى نظام بديع اللفظ محكمه
محبَّر صِينَ عن هزلٍ وعن خطل
أشهى وأشقى وأحلى في مذاقته
من بارد الماء بل من خالص العسل
ودونه زهر روضٍ جاده مطر
جَودٌ وعاوده علٌ على نَهَل

ولاح لـيِ منـه عنـوان يبـشرني
بمـا حـوى مـن تفـاصـيل ومـن جُـمَل
فـارقت مـا كنت قـد لاقـيت من كُـرب
أضـمَتْ ولاقَـيت مـا فـارقتُ من جَـذَل
وقلت لـمـا فـضـضت الخـتم عـن ملَحٍ
اللـه أكـبـر هـذا منتـهى أمـلي
أهلاً وسـهـلاً بطِرسٍ جـاءَ مـن نَدُسٍ
علـى البـراعـة والآداب مـشـتـملِ
وسـجـع نثـر كـشَـذْرٍ راق منظُره
منَقح لـفظـه مـا فـيـه من خـلل
وذلك الـسـحـر إلا أنه حـسَـن
مـا فـيـه من حـرج يُخـشى ولازلل
وكـيـف لا والـذي خطـت أنـاملـهُ
سـطـورَه رجـل نـاهـيـك مـن رجـل
أمـام علـم له فـضل ومكرمـة
من دونـه علمـاء الـسـهـل والجَـبَل
جـمـال ديـن الهـدى السـامي بهـمتـه
وقـدره إلا رفع الـسـامـيِ علـى زحل
إمَّـا تورَّطتَ فـي شكٍ وفي شُـبَـهـة
أعـيت على ذي الذكـاء والفـهـم والجَـدَل
فـاقـصـد عليـا ولا تعـبـأ بمـشكلةٍ
إذا ادرعتَ فـلا تـخـشى مـن الأسَل
سل عـنه واسـمع به وانـظر إليـه تجـد
مـلأ المـسـامع والأفـواه والمُـقَل
أسنـى وأبهج فـيِ الآفـاق مـن قـمـرٍ
بدرٍ وأسـيـر فـي الأقطار مـن مَـثَل
حـوى المـحـامـد من ديـن ومن ورع
ومن عـفـافٍ ومن عـلم ومن عـمـل
يا من تـصنع مـخـتـالاً ليـشـبـهـه
ليـس التكـحل في الـعـينين كـالكَـحَلِ
بل أيـهـا الـعـاذلي فـيـمـا أبـوح به
مـن وده كف عـن لومـي وعـن عَـذَلـي
إنى رضـيت به خِـلاً ومـعـتـمـدا
واخـتـرته من جـمـيع النـاس عن كـمل

وما رضيت سواه عنه لي عوضاً
حاشاه عن عوضٍ منه وعن بدل
ولا أزال مشوقاً كل آونة
إلى ازال ووجد الشوق لم يزل
يامانحي صفوه وداً بلا كدر
ومرتضي كل أحوالي بلا علل
لولاك ماهاجني شوقٌ إلى يمنٍ
لاناقتي في ربى صنعا ولا جملي
فليت شعري أبعدَ البُعد تجمعنا
دارٌ ويسعد دهري بالتقارب لي
لا تأس من رَوح رب الروح أن له
عطفاً على كل دعَّاءٍ ومبتهل
يارب فاجعل رجائي غير منعكس
لديك يا منشئ الأمزان والسَّبَلِ
وامنن بتعمير ذي الفضل الشهير ومن
أحيا بتدريسه العلمَ الشريف "علي"
لا زال في تُحَفٍ تترى وفي شرف
يعلو على الجدي والجوزاء والحَمَل

ثم بعد دعوة الإمام عز الدين كان صاحب الترجمة من أعظم أعوانه.

"الملك المجاهد الطاهري"

في ربيع الأول سنة ٨٨٣ هـ (ثمانمائة وثلاث وثمانين) توفى بجُبَن رداع ودفن بها الملك المجاهد "علي بن طاهر بن معوضه" عن ٢٥ سنة من ملكه مع أخيه عامر، منها ١٣ سنة بعد وفاة أخيه، كان المجاهد علَى جانب عظيم من التقوى، محباً للفقراء، محسنا إليهم وكان لهم ولليتامى والأرامل نصيب مستمر من خزانته يكفيهم ويسد نفقاتهم، وكان ميّالاً إلى الرفق، أزال المكس عن كثير من المجلوبات إلى عدن. ولما شكا إليه أهلُ زبيد من أميرهم "أبي القاسم الحوالي" عَزَله وكلّفه إرجاع ما أخذه من أموالهم وسَلَّم للمظلومين خمسة آلاف دينار من بيت المال استرضاءً لهم وأخذاً بخواطرهم وجبراً لما كان قد نابهم وكان له شغف بدراسة كتب الحديث والتفسير. وله من الآثار مدرسة في جَبَن ومدرسة في تعز ومدرسة في حيس وغرس كثيراً من قَصَب السكّر في وادى زبيد وفي وادي لحج والحائط خارج عدن وفي مواضع شتى، ذكر ذلك الديبع في تاريخه.

"المنصور عبد الوهاب بن داود"

لما مات الملك المجاهد نهض بأمر الملك بن أخيه عبد الوهاب بن داود بن طاهر بن معوضه وتلقب بالمنصور، وهرع إلى عدن قبل انتشار خبر موت المجاهد، واستمال قلوب الجند، وأنعم عليهم، ثم انتقل إلى تعز فوافته الأنباء أن ابن عمه يوسف بن عامر بن طاهر ثار بزبيد ودعا الناس إلى نصرته واستعد لمكافحة المنصور، فكاتبه المنصور وألانَ له القول ووعده بتمكينه من كل ما طلب فلم يذعن فتجهز المنصور إلى زبيد .وكان أهل زبيد يخاتلون يوسف ويظهرون له الإخلاص، فلما دنا المنصور ورابط خارج زبيد خذلوا يوسف وسار بعضهم إلى المنصور فاغتاظ يوسف وخرج في إثرهم ليرجعهم ، فلما صار خارج المدينة بادر أهلها بإغلاق الأبواب وصارحُوه بالبراءَة منه ومن حركته ، فسقط في يده ولم يجد حيلة إلا أن يقصد ابن عمه الملك المنصور إلى خيمته ، فلما مثل بين يديه عاتبه عتاباً لطيفاً، ولم ينله بسوء ودخل المنصور زبيد وسكن كل شيء، وما برحت أضغان يوسف تغلى فاستأذن المنصور في الارتحال إلى الحجاز فتلطف له المنصور في القول وخيّره في البقاء ويُمكّنه مما يريد أو الارتحال فاختار الارتحال إلى الحجاز فنزل لدن أمير مكة الشريف محمد بن بركات فبالغ فى إكرامه وزوّجه بابنته.

ولما طاب له المقام فى جوار الشريف طالب منه النصر ليعود إلى اليمن غازياً فماطَلَه الشريفُ ولما لم يجد من الشريف إسعاداً تحرّك إلى تهامة عازماً على الحرب ، فلما وصل إلى جازان أكرمه شريفها أبو الغوائر مكافأة لما أسداه إلى ولده عند فراره من شريف مكة إلى زبيد كما سبق القول، ثم سار يوسف إلى بني حفيظ بتهامة .

وفى سنة ٨٨٤هـ (ثمانمائة واأربع وثمانين) سار المنصور عبد الوهاب إلى بني حفيظ وباشرهم بالحرب فدخلوا في طاعته وأسر يوسف وسار به إلى زبيد ثم تعز وأودعه السجن بجبن حتى مات

انتهى من تاريخ الربيع ومن أنباء الزمن مع زياده من الأنباء: وهى أنه لمَّا وصل يوسف بن عامر إلى بنى حفيظ أكرمه أحمد بن أبي الغيث وزوّجه بابنه ولم يزل عنده حتى قدم المنصور فكانت معركة مع بني حفيظ قتل فيها أحمد بن عامر بن طاهر أخو يوسف ففشل يوسف ولاذ بالمنصور فأودعه السجن

وفى سنة ٨٨٥ هـ (ثمانمائة وخمس وثمانين) سار المنصور إلى بني حفيظ وأراد الهجوم على قبيلة الرماة ففروا فأحرق بلدهم ونهبه ورجع إلى زبيد .

إحتراق المسجد النبوى

قال صاحب «أنباء الزمن» أنه فى يوم ٢٣ رمضان سنة ٨٨٦ هـ (ثمانمائة وست وثمانين) احترق المسجد النبوى احتراقاً عظيماً بسبب صاعقة عقيب مطر أصابت هلال المنارة ورمت به إلى بعض الأزقة وهو يشتعل ناراً ومات المؤذن لوقته ، ثم خرقت الصاعقة السقف المقابل للضريح الشريف فاحترق المسجد ووقعت ضجة عظيمة وأقبل الناس وراموا إطفاءَ النار فغلبتهم وتفاقم الأمر وجل الخطب وجعلت النار تسري كالسيل حتى صار المسجد يضطرم كالتنور من كل جهة وللنار دويِ كدويِ الرعد وكانت ترمي بشررٍ كالصخور وخرجت لها ألسنة وأخذ الدخان منافس الحاضرين فتراكموا ورمى بعضهم فوق بعض وضجوا بالبكاء ولم يهتد إلى أبواب المسجد إلا البعض لشدة الظلمة ومنهم من رمى بنفسه من سطحه إلى الخارج متدلياً بالحبال ومنهم من هلك بسبب تقطع الحبال ومنهم من سلم الأمر وجلس داخل المسجد إلى اليوم الثانيِ فخرج سالماً بعد أن كاد يهلك ومنهم من فُقِد واستمر الحريق إلى أن طلعت الشمس ثم خمد وسقط سقف المسجد ومات نحوَ عشرة أنفس منهم ثابت الخازندار واحترق جميع ما فى المسجد من الفراش والألات العظيمة والمصاحف والكتب الفقهيه ولم يسلم إلا القبة المحيطة بالضريح الشريف .

السيل العظيم بمكه

وفي سنة ٨٨٧ هـ (ثمانمائة وسبع وثمانين) نزل السيل العظيم إلى مكة المكرمة فاجتحف كثيراً من دورها وبلغ إلى قفل باب الكعبة وحمل منبر المسجد الحرام وهلك منه عدد كثير من الناس .

وفي سنة ٨٨٩ هـ (ثمانمائة وتسع وثمانين) انقضّ الملك المنصور عبد الوهاب بن داود بن طاهر على ذمار فاستولى عليها قهراً بالسيف وفرَّ أميرها السيد عبد الله بن الإمام المطهر بن محمد بن سليمان بأهله وأولاده إلى صنعاء فقابله أمير صنعاء محمد بن الناصر بن محمد بالإحسان، ولم يقابله بما فعله أبوه المطهر مع أبيه الناصر بن محمد ولم يزل بصنعاء حتى قبضه الملك عامر عبد الوهاب وأنزله إلى تعز مع غيره من السادة بصنعاء فكانت مدة تملُّك المطهر وولده عبد الله لذمار ست عشرة سنةً .

اضطرابات فى تهامه

وفي سنة ٨٩١هـ (ثمانمائة وواحد وتسعين) فيها توجه الأمير قاسم وهبان عاملٍ المنصور على «زبيد» إلى بلاد الزيدية بتهامة فشدد وطأته عليهم وحملهم على التمرد

بقسوته فقتلوه عند منقلبه من مَوْر إلــى الزيدية ، فجهز الملك المنصور من رداع الأمير عمر بن عبد العزيز الحبيــشي في جيش عظيم إلى الزيدية فأذعن أهلها بالطاعة وسلموا الخراج وسار الأمير الحبيشي إلى زبيد .

وفي سنة ٨٩٢ هـ (ثمــانمــائة واثنين وتســعين) ســار الملك المنصــور من «رداع» إلى «تهامة» وتقدم إلى الزيدية فى ألف فارس ، فلم يقم لحــربه قائم ، فأحرق تلك الجهة وأناط المنصور ولاية تهــامة "بعمر بن عــبد العزيز الحبــيشي" فجعل فى بيت الفــقيه كاتبين هما الجلال بن محمد والفقــيه علي بن راجح فأفحشا فى الظلم والعسف وجارا فى الحكم فقتــلهما أهل تهامة وحــاربوا الأمير الحبيــشي وأخرجوه من البلاد فــتحرك المنصور لحربهم فخضعوا وتجوَّل في كثير من البلاد وعاد إلى وطنه رداع .

عنبرة في شاطىء أبين

وفيها ألقى البحر إلى ساحل أبين دابة سمك تعرف بالعنبرة ، طولها تسعة وعشرون ذراعاً وعرض جبهتها ستة أذرع فسبحان الخالق الرازق .

وفيها ظهرت نار فى قرية من ناحية جازان فأحرقتها وأهلها وفيها نحو أربعة وعشرين شخصاً ومواشيِ كثيرة .

وفيات

"يحيى بن صالح العلفي"

في شعبان سنة ٨٨٨ هـ (ثمانمائة ثمان وثمــانين) مات بصنعاء القاضى العلامه "يحيى بن صالح العلفي الــصعدي الزيدي" وهو مــمن خرج من صنعاء لتلقي الإمــام الهادي "عِزَّ الدين بن الحسن" إلى «السودة» وبايعه وناصره .

"الحسن والد الإمام عز الدين"

وفي محرم سنة ٨٩١ هـ توفى بهجرة «فلله» بجهات صــعدة السيد العلامه "الحسن بن الإمام الهادي علي بن المــؤيد بن جبريل بن المؤيد بن أحمــد بنِ يحيى بن يحيى" عن ٨٧ سنةً من مــولده وكان عــالماً فاضــلاً له مؤلفــات ورثاه ولدهُ الإمامُ عــزّ الدين بقصيدة طويلة منها :

مصابك هدّ الشامخات الرواسيا | وسيّر طرف الفخر والمجد باكياً
لقد عشت ميمون النقيبة ناصحاً | لرب السما في مكسب الحمد ساعياً
كريماً جواداً مانحاً متفضلاً | كسوبا ومتلافاً مُضيفاً وكاسيا
ومازلت لله المهيمن خائفاً | تُرَى لبَهيمات الليالي معانياً
تصلي على ضعف صلاةً طويلةً | فلا فاتراً عنها ولا متواتيا
وأسَّستَ يا خير الأنام مَدارسًا | أفدت بها من كان فيهن قارياً
ووالدك الهادي إلى دين ربه | وصار ابنك الداعي إلى الحق هاديا
وعُمِرّتَ سبعا مع ثمانين حجة | حميداً سعيداً ظاهرَ الصيت عاليا

... إلخ

"يحيى العامري التهامي"

وفي جمادى الآخرة سنة ٨٩٣هـ (ثمانمائة وثلاث وتسعين) توفى بحرَض تهامة الشيخ الإمام الحافظ المُحدّث "يحيى بن أبي بكر بن محمد بن يحيى بن محمد بن حسين العامري الحرَضي التهامي الشافعي" عن ٦٧ سَنَةً وأشهر من مولده ، وهو شيخ السنة وإمام المحدثين في عصره باليمن ، سمع بتهامة ومكة وهاجر إليه إلى حرض أعلام من «صعدة» وغيرها ، منهم الإمام "عز الدين بن الحسن "فتأثر به وله مؤلفات عديدة منها «بهجة المحافل وبغية الأماثل» في السيرة النبوية وكتاب «الرياض المستطابة في تراجم من روى في الصحيحين من الصحابة» . و «العدَد فيما لا يستغنى عنه أحد» في أعمال اليوم والليلة و«غربال الزمان فى التاريخ» وغيرها وتكلم في بعض كتبه عن بعض أئمة الزيدية وعلمائهم فقدّرهم وأنصفهم .

"شمس الحور بنت الهادى بن إبراهيم الوزير"

في يوم الاثنين ١٥ رجب سنة ٨٩٤هـ (ثمانمائة وأربع وتسعين) توفيت الشريفة العالمة "شمس الحور بنت الهادي بن إبراهيم الوزير" عن ٨٨ سنة ودفنت بمقبرة أهلها بصنعاء ومولدها بصعدة ودرست على أبيها وذويها حتى بلغت درجةً عالية ولها مطالعات ومراجعات حسنة وحفظ للأنساب والأخبار والأشعار وكتابتها عالية على مقتضى الأحوال وهى كريمة أنفقت أموالاً جزيلة في الأيتام والضعفاء والوفّاد من كل جهة تنفق سراً وجهراً وهى مستورة طول حياتها وتزوّجت بابن عمها أحمد بن صلاح بن إبراهيم وكان قد خطبها كثيرون كالإمام المطهر بن محمد وأحمد بن عبد الله بن أبي القاسم

ولها أشعار منها مرثاة في عمها محمد بن إبراهيم أولها :

رحم الله أعظماً دفنوها
بالرويّات عن يمين المصلى

وقبرها بمسيك ولها إلى ابن أخيها "محمد بن عبد الله" قصيدة منها:

محمد أفديك من وارث
لا بائك السادة المُجَّدِ
ورثت البلاغة يا سيدي
مع العلم والحلم والسؤدد
فلله درك من مقتف
لآثارهم وبهم مقتدي
ولكنني يا حبيب الفؤاد
خشيت عليك من الحُسَّد
لاني وقفت على أسطر
أتت منك تروي الفؤاد الصدي
فرائد درِ أتى بعضها
جواباً وفي بعضها مبتدى

... إلخ .

"بدرة بنت محمد بن علي بن الإمام صلاح الدين"

في ذي الحجة سنة ٨٩٣ هـ (ثمانمائة ثلاث وتسعين) توفيت بصنعاء الشريفة "بدرة بنت الأمير محمد بن الإمام المنصور عليِ بن الإمام صلاح الدين محمد بن الإمام المهدى على بن محمد" وبموتها انقطع عقب والدها وجدها . وكان قد تزوجها الإمام "الناصر بن محمد بن الناصر" بصعدة سنة ٨٤٨ هـ ثم كان فسخ نكاحها منه وتزوجها الإمام "المطهر بن محمد بن سليمان" عند قدومه إلى «صعدة» سنة ٨٤٩ هـ وهى أم ولده "عبد الله بن المطهر" .

والدتها "فاطمة بنت الحسن بن صلاح الدين"

هى الأميرة الكاملة "فاطمة بنت الحسن بن الإمام صلاح الدين محمد بن الإمام المهدي علي بن محمد "

توفى والدها في مدينة ذمار . وأمها هي الحرة كردية بنت الأسَد الكردي فتزوجها ابن عمها الأمير" محمد بن عليِ بن صلاح الدين" ومات عنها سنة ٨٤٠ هـ (ثمانمائة

وأربعين) فتزوجها الإمام "صلاح بن عليٍ بن محمد بن القاسم " وبعد سجنه بصنعاء استطاعت أن تسعى لدن الأمير «قاسم سنقر» في إطلاق زوجها وسارت وهو وبنتها بدرة معها إلى صعدة .

وفي سنة ٨٤٦ هـ (ثمانمائة وأربع ستين) خرج زوجها صلاح من صعدة إلى جهات صنعاء واستخلفها في حكم صعدة فأسِر في «حمرا علب» وسجن بصنعاء ودامت هيِ في إدارة حكم صعدة وحصونها حتى انتزعها منها الإمام "الناصر بن محمد بن الناصر" سنة ٨٥٧ هـ (ثمانمائة وسبع وخمسين) وقد حكمت صعدة إحدى عشرة سنة ونقلها الناصر مع وزرائها إلى صنعاء فأقامت بدار زوجها الكبيرة فوق مسجد الأبزر من شرق غربيِ القصر وقد تحاصرت الدنيا عليها بالنسبة إلى ما كانت فيه أعوام إمارتها . وكانت غير مطمئنة إلى "الناصر بن محمد" ولما مر به الإمام "المطهر بن محمد" أسيراً من حول صنعاء سنة ٨٦٦ هـ (ثمانمائة وست ستين) وأراد عسكره الذين بصنعاء مع ابنه "محمد بن الناصر" تخليصه من الأسر ، فقلقت لتخليصه لأنه عدوها ، فأمرت خدمها وحراسها أن يصيحوا من سطح دارها باسم الإمام المطهر ففشل عسكر الناصر ولم يخرجوا لتخليصه الذى كان ممكناً وسار به المطهر أسيراً سجيناً بكوكبان ثم بعد ذلك ثار عليها عسكر الناصر فأحرقوا باب دارها وشرعوا في النهب فأسرع الأمير العادل "محمد بن الناصر" لإنقاذها وأوقف العسكر ووقف بنفسه بباب دارها حارساً لها وكان سيداً ماجداً وقوراً كريماً حكيماً فاضلاً ثم نقلها رعايةً لها ومبالغةً فى صونها من ثورة العسكر إلى دار بقصر صنعاء ولم يقصّر فى رعايتها حتى ماتت بصنعاء ودفنت جوار قبر ابنتها بدرة وقبر جدها الإمام صلاح في القبة بمسجد صلاح الدين ورثاها بعض الادباء بقصيدة طويلة منها :

بلقيس هذا العصر يا من علت	**قدراً على بلقيس فى عصرها**
ومتعت فى ملكها مدةً	**في نهيها الماضى وفي أمرها**
بنت بهاليلٍ هم ما هم	**هم خير من يشرب من قَطرها**
وهي كما الزهراء فى حلمها	**أو مريم العذراء في صبرها**
فكلهم يطنب في شكرها	**معروفها لمعروف عم الورى**
أمنع من عنقاء في وكرها	**فاغتالها الموت على أنها**
وما رعَى قدراً لمن قدرها	**أعلى من الجوزاء في قَدرِها**

ومنها:

يا بنت مولانا صلاح الهدى	**وسيد السادات بل صدرها**
مخيف ذي بغيٍ وذي ريبةٍ	**ومؤمن السكّان فيِ فقرها**
وفاتح الشام بأسيافه	**واليمن الأعلى إلى شحرها**
ومنفذ الأحكام في برها	**ونافذ الأقلام في بحرها**
مجاهد الكفار في أرضها	**وقاتل الفساق في عقرها**
يا درةَ من بعدهم قد مضت	**أربت على الشمس مع بدرها**

بنت ثمان بهجة بعدما	جاوزت التسعين من عمرها
تهابها الآساد فى غابها	وهي كما العذراء في خدرها
معروفها المعروف عمّ الورى	فكلهم يطنب فى شكرها
وكل داع نال من جودها	وكل قاصٍ نال من برها
يانـاعيِ الصفوة ثم فنعها	واحك الذي قد كان من أمرها
ولستَ بالمعرب عن وصفها	لو كنتَ كالخنساء فى شِعرها

إلخ . . . وهى طويلة .

وتولت لها كتابة الإنشاء في ولايتها السيدة البليغة المنشئة الشاعرة المجيدة عين زمانها :

"فاطمة بنت عبد الله بن الهادي بن يحيى بن حمزة"

والدها مصنف «الجوهر الشفّاف» في التفسير في مجلد و«العقد الفريد المنتزع من شرح ابن أبى الحديد للنهج» وكتاب «أخبار صفين» وغيرها وكانت هذه الشريفة من المفاخر، ومن الحجج للسابقين على الأواخر وتزوجها السيد "محمد بن علي بن عبد الله بن محمد بن الإمام يحيى بن حمزة الحُسَيني" . . وفى مطلع البدور أيضاً أن الشريفة "فاطمة بنت الحسن بن صلاح الدين" لما سجن زوجها "صلاح بن عليٍ" ثم توفى ملكت ممالك أهلها من المدائن والحصون من صعدة وصنعاء وذمار وما بينها وكان لها همة وقوة وشدة بأس ثم تقاصرت عليها البلاد حتى استقرت بصعدة مدة طويلة فوق ثلاثين سنة ثم استولى عليها الناصر بن محمد وأخذ صعدة ونقلها إلى صنعاء كما سبق وللدلالة على أنه كان للنساء فى تلك العصور ثقافة ننقل من مطلع البدور وغيره ما يلى :

"فاطمة بنت المهدي علي بن محمد"

هي الشريفة العالمة الكاملة الفاضلة "فاطمة بنت الإمام المهدي علي بن محمد بن علي بن يحيى بن منصور بن المفضل بن الحجاج عبد الله بن علي بن يحيى بن القاسم بن يوسف بن يحيى بن الناصر أحمد بن الإمام الهادي يحيى بن الحسين" وهي

أخت الإمام "صلاح الدين بن المهدي علي" ذات العلم والكمال والتقى والفضل حتى على كثير من الرجال .

كملت كمال الأئمة المعتبرين في المعرفة والدين والتدبير والنظر في أحوال الخاصة والعامة وأقامت ببيت أبيها في أيام أخيها صلاح الدين وهي منظمة للأمور يستمد منها النظر السديد إلى كل الجهات ، ولها من المعرفة وحسن السياسة ما ليس عليه مزيد، ولها من الدين والخشية والإقبال على أعمال الخير ما لا يصفه الواصفون ، ومن ورعها أنها كانت مزوجه على ابن عمها السيد "إبراهيم بن يحيى" أمير صعدة فلما اتهم بُسمّ بعض الحمزات فحلف بطلاقها فقطعت ما بينهما من الزواج ولم تطلب نفسها بالبقاء معه بعد حلفه بطلاقها. وكان أخوها الإمام صلاح الدين قد أوصى إليها فماتت قبله فاشتد أسفه عليها وقال بعضهم فيها من أبيات :

أمير المؤمنين أخوكِ فينا وأنتِ أميرة للمؤمنات

وأمها بنت الإمام "المؤيد يحيى بن حمزة" عالمة فاضلة كاملة .

وقبرت صاحبة الترجمة بالقبة جنب قبر أبيها بصعدة . وأما أم أخيها الإمام صلاح الدين فهي الشريفة "دهما بنت إدريس بن حمزة" من آل المختار الساكنين بمفحق ونواحيها، وهي أول من قبر بقبر ولدها صلاح الدين بصنعاء ثم ابنه علي ثم أمه "فاطمة بنت الأسد بن إبراهيم بن الأسد من آل أبي الهيجاء" ثم من ذريتهم . وسبق فى الجزء قبل هذا فى سنة ٧٧١ هـ الشريفة العالمة "صفية بنت المرتضى" وغيرها وسيأتي أخريات .

"الملك المنصور عبد الوهاب"

وفي سنة ٨٩٤ هـ (ثمانمائة وأربع وتسعين) توفى بِجُبَن من بلاد رداع الملك المنصور "عبد الوهاب بن داود بن طاهر بن معوضة" ومدة ملكه إحدى عشرة سنةً وأشهر،وكان ميالاً إلى العدل ، محباً لرجال الدين ، عطوفاً على الفقراء والمساكين ، شجاعاً رابط الجأش سمحاً ، فقد تسامح مع ابن عمه يوسف بن عامر بن طاهر ومكنه من مغادرة البلاد مع احتمال إضماره الشر له ووثوبه عليه ونصب الشباك له ، فلم يستخفه حب الانتقام حتى أبدى يوسف صفحته أخيراً ، فظفر به وحبسه كما سبق ، ومن مآثر المنصور مدرسة بناها بزبيد ومدرسة بالمقرانة برداع ومقدم جامع ذى عدينة "تعز" ومسجد فى آب وبنَى عدة صهاريج فى مواضع شتى .

"الملك عامر بن عبد الوهاب"

ثم قام بعده ابنه الملك الظافر "عامر بن عبد الوهاب بن داود بن طاهر بن معوضة" وكان والده فى آخر حياته قد أسند إليه الأمور ، فلما توفى نهض "عامر" بالملك وتلقب بالظافر وانتقل من جبن إلى المقرانة ثم تعز واستمال الرؤساء وأحسن إليهم ، ثم بلغه أن أولاد الملك "عامر بن طاهر" المقتول حول صنعاء قد ثاروا واستبدوا يرون أنهم الأحق بالملك وانتهبوا جُبَن والدار التى بناها أبوه "المنصور" في جبن، وأخربوا بعضها وكانت مشتملة على ثلاثمائة مقصورة وأخربوا بيوت بعض التجار واستولوا على الحصن فنهض من تعز في عشرين ألف مقاتل فحاصرهم بالحصن وحدثت معارك حامية الوطيس، ثم وقع الصلح على أن يعطيهم أربعين ألف دينار من خراج عدن فى كل عام ويتنازل لهم عن جبل حرير والشُعَيب ثم اتجه نحو رداع . فثار بتعز الشيخ "محمد بن عامر" وانقض على تعز فصمد له عاملها ، وسار إلى عدن "عبد الباقي بن محمد بن طاهر" واعتزم احتلالها فقابله عاملها الشيخ "محمد بن عبد الملك" فهزمه وعاد "عبد الباقي" من حيث أتى .

وفي سنة ٨٩٥ هـ (ثمانمائة وخمس وتسعين) اشتدت المعارك بين السلطان "عامر عبد الوهاب " والثوّار من قرابته فطاردهم وحبسهم وكانت تهامة وغيرها فى اضطراب لانحلال الدولة بتناحر آل طاهر، فلما فرغ عامر عبد الوهاب من شرورهم بحبسهم التفت إلى اصلاح البلاد فجهَّز إلى تهامة ابن عمه محمد بن عبدالملك فأخمد نيرانها وطلع السلطان عامر إلى ذمار وكان أهلها قد سوّروها فحاصرها وحاربه أهلها محاربةً شديدة قتل فيها من الذماريين جماعة منهم الشريف محمد الجوفي ثم طلبوا منه الأمان فأمنهم وأمرهم بهدم السور فهدموه واستخلف عليها وعاد بلاده .

وأما صنعاء فكان أميرها "المؤيد محمد بن الناصر" بها وأصحابه يحثونه على الوثوب على «ذمار» في حالة اختلاف بني طاهر، فلم يساعدهم وجنح إلى المسالمة والسكون وكان يرجح "عامر عبد الوهاب" على أولاد "عامر بن طاهر" الذى قتله "محمد بن الناصر" حول صنعاء كما سبق سنة ٨٧٠ هـ (ثمانمائة وسبعين) خوفا من أخذهم بالثأر، ولهذا بالغ في كف الأذى عن "عامر عبد الوهاب" ولم يستجب المؤيد لأهل ذمار باحتلالها فأرسل إليها من ينظر في شئونها ثم استدعاه وأمره بالتخلى عنها لعامر وكان عامر يبالغ فى الثناء على "محمد بن الناصر" ويعترف له بجميل ما أسداه إليه ويعد بمجازاته والوفاء له وكان عامر يسلم له جزية اليهود القاطنين فى بلاده على

اتساعها وهى كثيرة باعتبار أنها للهاشميين عوضاً لهم عن الزكاة المحرَّمة عليهم وكانا يتبادلان الهدايا والاحترام .

وفي سنة ٨٩٦ هـ (ثمانمائة وست وتسعين) أوقع السلطان عامر بالمعازبة ورجع إلى تعز واستخلف عليهم الشيخ "عبد الباقي العجمي" عامل «زبيد» ، فما زال يغير عليهم حتى كمنوا له عند عودته إلى زبيد فقتلوه وولده وجماعة من أصحابه فجهز عليهم اخاه "عبد الملك بن عبد الوهاب" وأقام فيهم وأعاد عامر الكرَّة عليهم سنة ٨٩٧ هـ (ثمانمائة وسبع وتسعين) حتى أذعنوا بالطاعة وسلموا أربعين فرَسًا (ولعل المعازبة هم الزرانيق)

وفي سنة ٨٩٨ هـ (ثمانمائة وثمان وتسعين) تجهز السلطان عامر لحرب قبائل «بيضا» صباحاً وأهل «يافع» بالمشرق وشدَّد الحصار على حصنهم «شرجب» حتى تسلمه وغيره من الحصون كحصن «مفلحة» وحصن «الكلب» وحصن «ذراع الحرامل» وحصن «المعافري» ودانت له جهات المشرق .وأما صنعاء فكان فيها وجهائها . .

وفي سنة ٨٩٩ هـ (ثمانمائة وتسع وتسعين) سار "عامر عبد الوهاب" إلى تهامة وغزا المعازبة فقتل منهم جَمْعًا كثيرا ونهب أموالهم ثم تقدم الى تهامة الشامية ففعل كذلك ورجع إلى زبيد .

وفيها ولدت امرأة من قرية المنصورية بتهامة مولوداً ، عيناه فى أعلى جبهته وحاجباه من تحتهما وله فم مثل فم الكلب ويداه كأيدى السبع عليهما شعر أسود وكفاه ككفي القرد وليس له فرج ولم يعش غير ساعة ثم مات ، فسبحان الخالق .

وفيات

"محمد بن عبد الله الوزير"

في شعبان سنة ٨٩٧ هـ (ثمانمائة وسبع وتسعين) توفى بحدة بنى شهاب وقبر بمقابر بيت الوزير بصنعاء فى ١٥ شعبان السيد العلامة "محمد بن عبد الله بن الهادي بن إبراهيم بن علي بن المرتضى الوزير" عن ٨٧ سنة من مولده بصعدة فى شعبان سنة ٨١٠ هـ (ثمانمائة وعشرة) ونشأ بصعدة ودرس بمسجد الهادى ثم بصنعاء وكان علامة كبيراً بليغا إماما فى علم الأنساب، وكان له خط

كسلاسل الذهب ودرّس الطلبة بصنعاء كثيراً فى عدة كتب منها : "أصول الأحكام وشفاء الأورام "و "الأماليات" وكتب "ابن تيمية" و "ابن حجر" و "القاضي عياض" وفى التفاسير وغيرها وأقعد فى بيته ثماني سنين لمرض عرض له فزاد من العبادة والطاعة وكان مرجوعا إليه ، له وجاهة وجلالة لدن الأقارب والأباعد ونفس كريمة وفعل المعروف ولو بمشقة، يرعى الحقوق وصلة الأرحام على طريقة أهله وأسلافه ، حسن الهيئة ، طويل القامة. وهو والد السيد صارم الدين" إبراهيم بن محمد " .

"مريم بنت الناصر بن محمد بن الناصر"

وفي محرم سنة ٨٩٨ هـ (ثمانمائة وثمان وتسعين) توفيت الشريفة الفاضلة "مريم بنت الناصر بن محمد بن الناصر بن أحمد بن الإمام المطهر المظلل بالغمام بن يحيى" ودفنت فى قبة صلاح الدين بصنعاء جنب أبيها .

"عز الدين بن الحسن"

في سنة ٨٤٥ هـ (ثمانمائة وخمس وأربعين) ولد الإمام الهادي "عز الدين بن الحسن بن الإمام علي بن المؤيد بن جبريل" .. إلخ. في فللة وتوفى سنة ٩٠٠ هـ (تسعمائة) في رجب بهجرة فللة ومن مآثره جامع مدينة السودة وغيره وقلت فى تحفة المسترشدين:

وهو الإمام الجهبذ الكبير	**الحافظ العلامة الشهير**
الهادي الأواه عز الدين	**كرم به من عالم رصين**
وسائح للأخذ في الآثار	**وشارح لبحرنا الزخار**
مولده ويا له فى خير له	**فى هجرة معروفة بفللَه**
٨٤٥	
وقد دعا في تاسع السبعينا	**بفلل فكن بذا فطينا**
ثم ثوى فى فلل دفينا	**لعام تسع مائة سنينا**

وبعد وفاته دعا ولده الإمام الناصر الحسن بن عز الدين . ثم الإمام المنصور محمد بن على السراجى الوشلى كما سيأتى . .

وبحوادث سنة ٩٠٠ هـ(تسعمائة) أكمل الحافظ المؤرخ عبد الرحمن الربيع كتابه (بغية المستفيد فى أخبار زبيد)

"الناصر الحسن بن عز الدين"

مولده ٨٦٢ هـ (ثمانمائة وإثنين وستين)

دعوته ٩٠٠ هـ (تسعمائة)

وفاته سنة ٩٢٩ هـ (ثتسعمائة وتسع وعشرين)

هو الإمام "الناصر الحسن بن عز الدين بن الحسن" نشأ «بفللة» وحقق العلوم حتى صار مجتهداً ومن مؤلفاته «القسطاس المقبول شرح معيار العقول» منقح محقق وفيه مناقشات على «المعيار» للقاضى عبد الله النجري . وله رسائل ومسائل وأبحاث، وكان حين وفاة والده غائباً بحصن كحلان تاج الدين فدعا منه وبث دعوته فى اليمن وحين وصلتْ إلى صعدة تلقاها الأمير محمد بن الحسين الحمزى بالقبول وأمر بذكره في الخطبة والدعاء له عكس ما كان مع والده . وامتنع عن مبايعته عمّه صلاح بن الحسن بن على بن المؤيد وابنه على بن صلاح والقاضى محمد بن أحمد مظفر الحمدي وغيرهم ،ومالوا إلى الإمام "محمد بن علي السراجي الوشلي" ، ثم كان اجتماع الإمامين فى الشرف فلم يسلم أحدهما للآخر ، ثم مال" الحسن بن عز الدين" للعبادة والعلم . .

وقال "داود بن الهادي المؤيدي" في ذيله للبسامة :

وسبطه الناصر الداعيِ الذى اجتمعت	فيه المحامد قبل الشيب والكبر
وكان في وقته ما كان من عجب	من العناد له والدهر ذو غير
من بعض أسرته اختاروا عداوته	وقوّموا الداعيِ المنصور في الأثر
وابن المظفر ناداه وخالقه	لكنه لم ينل في ذاك بالظفر

وقلت فى تحفة المسترشدين :

وبعده سليله البر الحسن	الناصر البحر الإمام المؤتن
فقام في كحلان تاج الدين	بتلكمُ التسع من المئين
وموته في تاسع العشرينا	بفلل أكرم به دفينا

وقام بعده ولده مجد الدين كما سيأتي.

" المنصور محمد بن على الوشلى السراجى"

مولده ٨٤٥ هـ (ثمانمائة وخمس وأربعين)

دعوته ٨٧٠هـ (ثمانمائة وسبعين)

وفاته سنة ٩١٠ هـ (تسعمائة وعشرة)

الإمام المنصور "محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن علي بن أحمد بن الإمام يحيى بن محمد السراجي بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن الحسن سراج الدين بن محمد بن عبد الله بن الحسين بن علي بن محمد بن جعفر بن عبد الرحمن بن القاسم بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب" .

أخذ عن الإمام "عز الدين بن الحسن" و الإمام "المطهر بن محمد" والسيد "إبراهيم بن محمد الوزير" ، والفقيه "أحمد بن محمد الخالدي" وغيرهم حتى برّز في جميع العلوم وصنف في أصول الدين ، وكان آية زمانه في الكرم والعفّة والزهد ، لم يعمر دارا ولا اقتنى عقّارا، وكان شاعراً وله غيرة على انتهاك المحارم وظلم الضعفاء ، ورغبة فى الجهاد وشجاعة ،ودعوته من قرية القابل في ٦ ذى القعدة سنة ٩٠٠ هـ (تسعمائة) .

وفي صفر سنة ٩٠١ هـ (تسعمائة وواحد) قدم بعض التجار بفتح الباري لابن حجر إلى زبيد.

وفيها ثار أهل ملص فقتل منهم على بن محمد البعداني نحو المائة وجاء بثلة منهم أسرى إلى عامر فأطلقهم

وفي سنة ٩٠٢ هـ (تسعمائة وإثنين) ظهر أمر الإمام "محمد بن علي الوشلي" وأجابه أهل «ثلا» وغيرهم ولما اطلع السلطان عامر على بعضَ رسائله انطوى له على الشر ونهض الإمام إلى ذمار فقصدته قوات عامر فعاد الإمام عنها .

وفيها أمر السلطان" عامر". بالقبض على رئيس الإسماعيلية بتعز الشيخ "إسماعيل بن حسن " لأنه كان يتحدث بالمغيبات التى لا يعلمها إلا الله .

وفيها وفد على السلطان "عامر" مبعوث من مصر بهدايا وتحف فاحتفى به ، وكان بمصر خليفة عباسي يُخطب له ، ليس له من الأمر شيء تحت رحمة السلاطين

الحاكمين المماليك إلى أن أزالهم السلطان "سليم بن بايزيد العثماني" .

وفي سنة ٩٠٣ هـ (تسعمائة وثلاث) حدثت من يافع أحداث فجهز عليهم السلطان "عامر" وأوغل في النكاية بهم وتشريدهم واستولى على حصونهم وأمَّن من طلب الأمان منهم .

وفيها وقع مطر عظيم وبَرَد بوصاب طول الكبار نحو ثمانية أذرع. وفي سنة ٩٠٤هـ (تسعمائة وأربع) أغار الإمام محمد بن علي الوشلي إلى حصن هَداد فكانت بينه وبين الأمير علي بن محمد البعداني معركة وسَلَكَ نحو ألف مقاتل من جنود عامر طريقاً أخرى وهجموا على محطة الامام من خلفهم فانتهبوها وقتلوا جماعةً ورجع الإمام إلى قرية القابل ثم ثلا وقبض على قاطع طريق من حَجر سعيد فقتله مع رجل آخر مثله وسار إلى الشرف ثم رجع إلى ثلا .

وفيات

"صلاح بن يوسف"

في شوال سنة ٩٠٢ هـ (تسعمائة وإثنين) توفى بثلا السيد العلامة "صلاح بن يوسف بن صلاح المرتضى" صنو الداعي "محمد" السابق وكان عالماً فاضلاً متكملاً ملازماً لأخيه ومتابعاً له ، بعد وفاة أخيه لزم مكانه حتى مات ودفن بجنبه .

"شمس الدين بن المهدي أحمد بن يحيى"

وفي سنة ٩٠٤ هـ (تسعمائة وأربع) وقيل في سنة ٨٩٤ قبلها ، توفى بالظفير السيد العلامة المجتهد "شمس الدين بن الإمام المهدي أحمد بن يحيى بن المرتضى" . إلخ عن نحو ٦٤ سنة ، تربى في حجر والده الإمام المهدي عشر سنين ومات والده وقد حفظ القرآن ومتن الفرائض وغيرهما، وبعد موت والده نسخ متن الأزهار وتغيبه ونسخ «التاج» لوالده و«تلخيص المفتاح» للقزويني و«الكافية والشافية» وغيرها وتغيبها وحافظ على غيبها إلى وفاته وكان فصيحاً خطيباً يَرْتجل الخطب على حسب الحال . كتب إليه المفضل عبد الله بن الإمام المطهر بن محمد قصيدة أولها :

سرى البرق من هران وهناً فزادني جوىً واشتياقاً ذلك البرق إذ شرى

ومن جوابه عليه :

بنفـــسي من أهدى كـتـــاباً مـحـبَّـرا ودر قـصـيـد فـاق حـسناً ومنظراً
فـلـلـه من طـرس تَضَـــوَّعَ نشـــره سـحـيـقـاً وريّاه عـبـيـراً وعنبـراً
حـبـانا بـه الملك المـفـضّل بعـد أن تبـحـر في علم البـديـع وحـبـرا

ومن تلامذته ولده الإمام "شرف الدين" ، وقبره بقبة والده المهدي بالظفير .

وفي سنة ٩٠٥ هـ (تسعمائة وخمس) ظهر يهودي في بيحان مموّها ثرياً والتف حوله أوباش الناس وأصبح مأوى لمن أحدث ، فسار إليه السلطان "عامرٌ" فاختفى وكان قد تكبر وتجبر وركب الخيل بالسروج المفضضة وأيده اليهود ونمى إلى السلطان بمحل اختفائه فبعث إليه من طارده حتى قبضوه وأولاده ومن انضم إليه وجاءوا به ذليلاً إليه فقتله وسار إلى بني أرض بالمشرق فأخذ حصنهم ورجع .

وفي ربيع الأول منها انقض كوكب عظيم شمالي بيت الفقيه فخر على قريه بيت الأكسع وتقطع كالجمر الكبار ووقعت من قطعة على بيت فأحرقته .

"قاسم شريف "(عامر مسجد القاسمي)

وفي سنة ٩٠٤ هـ (تسعمائة وأربع) توفى السيد الفاضل "قاسم شريف بن محمد بن منصور بن يحيى بن علي بن يحيى بن منصور بن مفضل بن الحجاج بن علي بن يحيى بن القاسم بن يوسف الداعي بن يحيى بن الناصر أحمد بن الإمام الهادي يحيى بن الحسين" وكان مشهوراً بالفضل والزهد والعبادة ومسجد القاسمي بصنعاء منسوب إليه وقبره بجواره وبجنبه قبر الامام "محمد بن الناصر بن محمد بن الناصر بن أحمد بن الإمام المطهر بن يحى المظل بالغمام بن المرتضى بن المطهر بن القاسم بن المطهر بن محمد بن المطهر بن علي بن الناصر أحمد بن الإمام الهادي يحيى" المتوفي سنة ٩٠٨هـ (تسعمائة وثمان) كما سيأتي .

وقبر السيد "إبراهيم بن يحيى بن صلاح بن أبي الفضائل بن محمد بن علي بن منصور بن يحيى بن منصور بن مفضل بن الحجاج عبد الله" ، المتوفى ٩٢٠ هـ (تسعمائة وعشرين) .

وفي محرم سنة ٩٠٧ هـ (تسعمائة وسبع) . حصل حريق بزبيد من سوق السواد إلى الشبارق وتلفت بيوت وأموال كثيرة .

نهوض "عامر عبدالوهاب" إلى صنعاء

في سنه ٩٠٧ هـ (تسعمائة وسبع) نهض السلطان "عامر" في جيوش كثيرة إلى «ذمار» ثم في شعبان حاصر صنعاء ورماها بالمنجانيقات ونقض مسالمته وعهوده مع المؤيد "محمد بن الناصر" وكان من شهداء المنجانيقات في ذي القعدة سنة ٩٠٧ هـ (تسعمائة وسبع) السيد العلامة "محمد بن صارم الدين محمد بن إبراهيم الوزير" وقُبر في صرح جامع نصير ومن مرثاة والدة :

ووقانا الإله من شر حرب لفحت بعد فترة من خيال
قتل ابني بها على غير جرم كان منه وقتله كان غالي
رحم الله أعظماً دفنوها صابرا للقضاء على كل حال
ماله ملجأ سوى الله والصبر وفي الصبر حيله المحتال
قائلا في صباحه وعشاياه ووقت الضحى وفي الآصال
ربما تكره النفوس من الأمر له فرجة كحل العقال

وقال الإمام محمد بن علي الوشلي في تحريض الناس على الجهاد :

أمثلي من يطيب له المنام ويهناه الشراب أو الطعام
وصنعاء المدينة في بلاء احاط بسورها قوم لئام
ذوو الجبر الذين لهم مقال تلازمه الشناعة والملام
إلى الباري أضافوا كل فعل قبيح لا حياء ولا احتشام
وإن رئيسهم رجل غشوم على صنعاء نيته انتقام
وأقسم أنه لاقام عنه بغير الفتح أويرد الحمام
كعامر الذي هو جد هذا بَغَى قدما فعاجله الصرام
ولسنا تاركي صنعاء ولكن نجيءُ بما به يشفَى الادام
بجيش يطحن الأعداءَ طحنا شبيه السيل يقدمه الإمام

ثم استعان المؤيد "محمد بن الناصر" وأهل صنعاء بالإمام "محمد بن علي الوشلي" وأمير صعدة "محمد بن حسين الجوفي الحمزي" على دفع عدوان "عامر" على صنعاء فبعث "عامر" "عليَّ بنَ محمد البعداني" فاحتربوا بالبون فانهزم "البعدانيِ" وأقبل الإمام "الوشلي" وأمير صعدة فأحاطوا بمحطة السلطان من كل جهة حول الآكام جنوبي صنعاء فاضطر للصلح واحتمل شروطاً كثيرة وعاد بعسكره إلى اليمن الأسفل خائباً مغبونا ودخل الإمام وأمير صعدة صنعاء دخولاً معظماً وتلقاهما أميرها المؤيد "محمد بن الناصر" أكرمَ تلَقٍ وخطب للإمام الوشلي وأقام بصنعاء أياما ثم سار إلى الجوف ثم صعدة .

وفيات

"محمد بن الناصر"

في سنة ٨٥٣ هـ (ثمانمائة وثلاث وخمسين) توفى بصنعاء إمامها وأميرها المؤيد "محمد بن الناصر بن محمد بن الناصر بن أحمد بن الإمام المطهر المظلل بالغمام" عن ٥٥ سنة من مولده وأربعين سنة من قيامه وتملكه ودفن بقبة "السيد قاسم" حول مسجد القاسمي ، أجمع المؤرخون أنه من حسنات الدهر وأهل العلم الغزير والاطلاع الكبير والكرم الجم والعدل والسماحة وله مؤلف في الفضائل يدل على علم واسع ومعرفة كبيرة . أكثر النقل فيه من كتب الحديث المشهورة المتفق عليها ، ومن مآثره «الدار الحمراء بالقصر المشهورة» وغيرها ،ولما مات ارتجت صنعاء بالبكاء عليه وحزن عليه القريب والبعيد وكان الدرس له فى المُدُن والقرى وكان يُضرب بعدله ورفقه المثل وقلت في تحفة المسترشدين :

وقد دعا إلى القوي القادر	محمد بن المؤيد بن الناصر
مولده في الجيم والخمسينا	من قبلها الثمان في المئينا ٨٥٣
وسالم الأعداءَ في ذاك الزمن	حينا فأمّوه إلى صنعا اليمن
فقتلت أجنادُه لعامر	وقائد الأعداء نجل طاهر
وعامر الثاني بعد العهد	قد جاءه محاصراً بالجند
فأنشد الحال له صديقاً	وما أظن عامراً رفيقاً
ومات في الثمان بعد التسع	وقت الحصار فهو وقت النزع
وقبره فى القاسمى بصنعا	وقد بكاه الخلق فيها جمعا

وقام بعد أخوه المنتصر "أحمد بن الناصر بن محمد" .

وفي سنة ٩٠٨ هـ (تسعمائة وثمان) عبرت مراكب البرتغاليين البحر الأحمر نحو الهند فعاثوا وحطموا مراكب في البحر وقتلوا أهلها ولم يتعرضوا لسواحل اليمن . فتجهز من مصر الأمير "حسين الكردي" فى خمسين غرابا وسار إلى جدة وغيرها وخرج أمير مكة الشريف "بركات بن محمد" إلى ساحل القنفذة فاراً من أخيه الأمير "أحمد الجازاني" فقبض عليهما الأمير المصري وسار بهما إلى مصر .

"علي بن أحمد بن مكابر الشظبي"

في ربيع الثاني سنة ٩٠٩ هـ (تسعمائة وتسعة) توفى بصنعاء القاضي الحافظ الكبير "علي بن أحمد بن علي بن محمد بن علي بن مكابر الشظبي المسوري الخولاني ثم الصنعاني" ، كان من أكابر أعلام عصره وأخذ عن القاضي "علي بن زيد" وغيره وسكن «هجرة البياض وادي مسور خولان» فأقبلت أليه قبائل خولان بالواجبات، ورحل إليه الإمام شرف الدين إلى خولان فأخذ عنه ثم انتقل إلى صنعاء ومن مؤلفاته «شرح على عمدة المقدسى في الحديث» انتزعه من «شرح ابن دقيق العيد» وزاد فيه أقوال الإمام الهادي وجده "القاسم الرسي" وغيرهما من أئمة أهل البيت . قال "المولى يحيى بن الحسين بن القاسم" في المستطاب : رأيتُ فى شرحه على العمدة فى حديث جابر أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال : أعطيت خمسا ثم عدّهن وقال آخرهن. . وأعطيت الشفاعة ، فقال صاحب الترجمة فى شرحه قوله: وأعطيت الشفاعة . . أي التى يختص بها النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهى الشفاعة في إراحه الناس من طول المقام بتعجيل الحساب ولاخلاف في هذه الشفاعة . ثانيها الشفاعة في إدخال قوم الجنة بغير حساب ، وثالثها قوم استوجبوا النار فيشفع لهم في عدم دخولها، ورابعها قوم دخلوا النار فيشفع لهم في خروجهم منها . قال الشطبى المذكور. وفي ثبوتها خلاف بين العلماء ، الصحيح عند من أنصف ثبوتها وكثرتها عقلاً ونقلاً والله أعلم .

وفي سنة ٩١٠هـ (تسعمائة وعشر) تحرك السلطان عامر عبد الوهاب لحرب صنعاء ، فنهض إلى رداع بجيوش ملأت البقاع يقال أنها زادت على مائة وسبعين ألفا ، فيها ثلاثة آلاف فرس ، فحط أولاً فى ضبر حدًين جنوبي صنعاء ثم زحف عليها وحصرها وأميرها "المنتصر أحمد بن الناصر" ورَمَى صنعاء بالعرّادات والمنجنيقات، وأقبل الإمام "الوشلي" وأمير صعدة "الحمزي" مغيرين وقال "الوشلي :

عشقت وما للبيض والسمر أعشق" ولو كن كالشمس المنيرة تشرق
ولكن عشقت السمر خطيه القنا بيض المواضي لمعها يتألق
هجرت الغواني والمغاني كبأنني سمعت نداء الدين لو كان ينطق
يقول تداركني هلكت فأحيني فإنك داع للهدى ومصدق
فقلت له لبيك أبشر فإنني سأسعَى بجهدي فى الجهاد وأُعنِقُ

ثم انتهت المعارك بأسر "عامر" للإمام الوشلي وولده و"يحيى بن محمد بن حسين الحمزي" وانتهاب ما في محطتهم بعد طول الحصار ستة أشهر حتى عمرت دكاكين للبيع والشراء بمحطة "عامر". وكان جماعة من أهل صنعاء يخرجون ليلاً فيغيرون

على أطراف محطة "عامر" فأمر أن تبنى أسوار على أبواب صنعاء تمنع الداخل والخارج ، فانقطعت عنها المواد وضاق بهم الحال ولم يجدوا بدًا من الخروج إلى عامر ، فخرج إليه "أحمد بن الناصر "و"عبد الله بن الإمام المطهر" والأمير "محمد بن عيسى الأسديِ" شارب حاملاً للمصحف ولكفنه خوفاً لأنه هو الذى قتل السلطان "عامر بن طاهر" فأمّنه "عامر" وعفا عنه ودخل "عامر" إلى صنعاء يوم الخميس ٧ شوال سنة ٩١٠ هـ (تسعمائة وعشرة) فنزل فى دار الشريفة "فاطمة بنت الحسن بن صلاح الدين "واشتد غضبه على الأسديين قرابة "محمد بن عيسى" شارب لما سبق ولحقت أهل صنعاء مشقة عظيمة لدخول الجيش ثم أمر بنقل "أحمد بن الناصر" و"عبد الله بن المطهر" و"محمد عيسى شارب" وذويهم إلى تعز بأهلهم وأولادهم فقاسوا منه ما قاساه "آل الحسين "بكربلاء وتجرّعوا أفعاله كرباً وبلاء. وكم من فرق بينه وبين الملك الشهم" المظفر الرسوليِ" الذى أسر"إبراهيم بن تاج الدين" في المعركة فأحسن إليه كل الإحسان واصطحبه معه إلى تعز كرفيق كريم وزوّجه بنته وأسكنه داره وأجرى عليه رفده حتى مدحه بالقصيدة البائية التي منها :

وبعد ذلك جاءوا بي إلى ملك — له المفاخر والعلياء تكتسب
أبو الهزبر نقي العرض من دنس — وباذل المال لازور ولا كذب
فكان منه من الإحسان ما شهدت — بنُبله فيه عجْم الناس والعرب
فمن يبلغ عني كل من سكنت — قلبي محبته أو بيننا نسب
إني على خفض عيش في منازله — لا يسكن الضيم في قلبى ولا التعب
فلتشكروه فأني اليوم شاكره — سرّاً وجهراً وهذا بعض ما يجب

أما "عامر" : فقد خرجوا إليه من صنعاء باختيارهم مؤمّلين خيره، فلم يلقوا إلا شره والتاريخ عبرة لمن اعتبر وقد لقي "عامر" مصيره قتيلاً شريداً تفرق عنه أصحابه في أكمة الزبيب حول صنعاء في الأكمة التي حاصر منها صنعاء واستقبل بها بكبرٍ وجبروت الخارجين إليه من صنعاء ، وأما "المظفر الرسولي" فأحسن الله خاتمته بعد الملك العادل العظيم .

سجن "الإمام الوشلي" وموته

وأما الامام "محمد بن علي الوشلي السراجي" فأودعه "عامر" سجن قصر صنعاء مقيداً يوم ٢٨ رمضان إلى وفاته فى ١٢ ذى القعدة سنة ٩١٠هـ (تسعمائة وعشرة) ويقال إنه سمه وأكل سجّانه معه فماتا ، وفي أيام سجنه أجاب على مذكرة الفقيه "يونس بن محمد الرومي الحنفي" الواصل إلى صنعاء بجواب شاف ، قال صاحب «أبناء الزمن»

ولم يزل "عامر" يقتل الأشراف الكرام والله من ورائه محيط .

وقال "ابن مظفر" فى «الترجمان »: امتلأت البلاد بالظلم والفساد وسبى النساء وهتك الستور وقبض "عامر" من الناس أسلحتهم وخيلهم وعاملهم بالأحقاد وأنزل بهم المحن الشداد واستولى على الحصون إلاَّ «ذي مرمر» و«الغصّين» .

وكان دفن الإمام "محمد بن علي الوشلي" في حِمىَ مَسجد الوشلي شمال المسجد خارجه عن ٦٥ سنةً من مولده وعشر سنين من دعوته وقلت فى تحفة المسترشدين :

ثم الإمام الناسك المنصور
البيهس الغضنفر الهصور
محمد البر الولي الوشلي
الزاهد العابد ذو النهج الجلي
مولده فى الخمسن وأربعينا
من قبلها الثمان من سنينا
وقد دعا فى التسع للقبائل
بقرية معروفة بالقابل
وصال في الأعداء أي صولة
يقود فيها خيلَه ورجْله
ونَظمه الداعي إلى الجهاد
وطمس آثار ذوي الفساد
حتى غدا فريسةً لعامر
لما أتى بالخيل والعساكر
وموته في السجن بعد الأسر
فى العشر بعد التسع يا مستقرىِ
وقبره قريب قبر جد
بوشلي صنعاء ثوى في لحده

وقبره جنب قبر جده الإمام "يحيى بن محمد السراجي" المتوفى سنة ٦٩٦ وفى آخر سنة ٩١٠ هـ (تسعمائة وعشرة) انتهى من الجزء الأول من «اللالى المضيئة» للشرفي .

"الشريفة فاطمة"

زوجة الإمام شرف الدين

في ذي القعدة سنة ٩١٠هـ (تسعمائة وعشرة) توفيت بصنعاء الشريفة العالمة الفاضلة الأديبة "فاطمة بنت عبد الله بن الإمام المطهر بن محمد بن سليمان" زوجة الإمام "يحيى شرف الدين" قبل دعوته، وهى أولى زوجاته وكانت غاية فى الجمال والكمال بارعةً في كل الخصال ، قرأت «النُكت» وجملة من كتب أصول الدين و«شرح ابن هيكل فى العربية» وغيرها وكان لها ذكاء وفطنة خارقان ودين صحيح وورع. وكان راتبها في أكثر الأيام سبعة أجزاء من القرآن وحفظت الكثير منه غيبا وتزوجها الإمام قبل دعوته فكانت تشاركه في درس "جامع الاصول" " لابن الأثير" وتشارك فى حل المشكلات وابتليت بأمراض من سنة ٨٩٥ إلى وفاتها، وأراد "عامر عبد الوهاب" إنزالها تعز مع والدها ومنعها "عامر" من خروجها من صنعاء إلى زوجها ، فابتهلت إلى الله أن يفرج عنها فتوفيت بصنعاء قبل إنزال والدها إلى تعز ودفنت حول قبر الإمام" محمد بن علي الوشلي" شمالى مسجد الوشلي ورثاها زوجها الإمام بقوله :

هي النفس حنت من شجاها وأنَّت
فـفيم تلوم العين إن هي شَنت

مراجل حزنٍ في فؤادي أوقدت
فمن فيضها تلك الدموع استهلت

وهل ينبغي لي أن أرىَ اليوم سالياً
وفاطمة في باطن اللحد سُلَّت

عقيلة آل المصطفى الطهر والتي
بكل الأمور الصالحات تحلّت

فلـيذة قلبي بل سويداء مهجتي
ومطَّلبي من كل شيءٍ ومنيتي

وما فاطم إلاّ من الحور أخرجت
لنعرف قدر الحور ثمَّةَ ردّت

وقولي فيها مثل قول كثير
وحاشا فطيماً أن تقاس بعزة

فلا يحسب الواشون أن صبابتي
بفاطم كانت غمرة فتجلت

فــــــوالله ثــم الله مــــــا حل قــــــبلهـــــا
ولا بعــــــــدهــا من خِلَّـةٍ حــــــيث حــلت
ولا مـــــر من يــوم علّيّ كـــــيـــــومـــــهـــــا
وإن عــظــمت أيــام أخــــــــــرى وجــلــت

زوجة الإمام شرف الدين الثانية

ثم تزوج الإمام بزوجات منهن زوجته الأديبة الفـاضلة التى أقامت بصنعاء وكتبت إلى الإمام الى الجراف هذه القصيدة الملحونة وقد تزوج بالجراف :

قم يا رســولي على اسم الله فــسعـيك حـمـيـد
أعـزم وبــادر من الـقـصــــر المنيع الـمـشــيــد
إلى مـــقــام الخليـفـــة والمليك الســعـيــد
مـولي البنادق والأعــلام والخـيـول والعـبـيـد
يحـيى الــذي به حـِيِيْ دين الورى واســتـقـام
حامي حِمىَ المجد مؤذي الخصم يـوم الخصام
خــدن الدفـــاتر والأقــلام والصــلاة والصــيـــام
وحـيـد عـمـره فـمـا مثله لعـصـره وحـيـد
بلغ ســـــلامي إلى المــــالك رفــيع الــجناب
وقــبّل الكف والمــصــــحف وبلغ كـــتـــاب
في طيِ قـــــرطاس منا ذا الــشكا والعــــتــــاب
مـا لــه رجع يكثـر الـغـيـبــه وقلبـه شــديد
واختــار عن بعــد صنعـا مـسكنه في الجـراف
وصــــار يكثــــر لنــا الفــرقــة مع الائــتــلاف
ولا لنــا ذنب عنــده يوجب الاخـــــتـــــلاف
إلاّ التـــوقف عــلى رســمـــه على مــــا يريد
مــا كــان يصلح سكــونه غـيـر وقت الخـريف
وفـــيــه أثمــار مــجنيـة وخـــضـــرة وريف
لكن ســكنهـــا كَــمـــالهْ (١) فى رياهـــا ألِيف
شـبـيـه ظبيِ الفـيـــافي عـين حَـومَى وجـيـد
أبا مــطهـــــر فـــلا تــرضى بذا الابتـــعــــــاد
وأعطف على مـن يحـبك نلت أقــصى المـراد
ودُّ المــــــوديـن من طبـع الكريـم الجــــواد
وأن كــانـت النفس فى العـــادة تحب الجـــديد

---

(١) كَمَاله : كأن له

أنظر إلـى من يقل لك في صـحـيح المـثل
الـصـاحب الأول أبـقى لـك ولا له بـدل
وقـد تـحـولت ياهـذا جُـمَل في جـمل
هيـهـات مـادملح الفـضـة كطوق الـحـديد
ولا ترى في عـتـابي واغـتـفـر ذا المـقـال
هذا كـمـا القلب في حـرقـة وكـثر اشـتـغـال
لكن رضـاكـم علينا مـن رضىً ذي الجـلال
وقـد صـبـرنا عـلى الفـرقـة وذل العـتـيـد
واسلم ودم في سـمـا المجـد الأثيل الجـمـيل
وخـصك الـله منـا بالسـلام الـجـزيل
مـا غـرّد الطيـر في وكـره وغنّى الهـديل
والله يـجـدد سـعـودك كل يومٍ جـديد

فأجاب الإمام عليها بقوله :

وافـى نـطـامك إلـيـنـا يـاغـنـيج يـا هـويـد
يشـابـه الزهر والـدر النظيم النـضـيـد
وفـيـه أنفـاس من عـرفك تُذيب الحـديد
فكيـف قلبي وهـو لك من أذل العـبـيـد
واللـه يا نور عـيـنى يا رشـيـق القـوام
مـا قط أنـسـاك فـي يقظـة ولا في مـنام
ويا أخـا الشـمس يا مـخـجل بدور الـتـمـام
ولا مُـشـابه لحـبـك وسـط قلبي نـديد
أمـا خليلك فـقـد أشـجـاه ذاك الكتـاب
وأمهـاه (١) والهـاه ذيـاك الشكا والعـتـاب
وازداد شـوقـه وكـان من قـبل مـا له حـسـاب
لكن حـكم المـروة والشـريـعـة سـديد
فـقـر عـينا وطب نـفـساً ولا عـاد تخاف
سـوى سكنا بصـنعـا أو نزلنا الجـراف (٢)
وقلت مـا كـان يحـسـن غـيـر وقت الخـريف
سكـوننا فـيـه لكن قـلت حُب الالـيف
الحـب باقـى للأوّل بـاغـنيج يـانحـيـف
قـد صح عندي بـأنك للهـراكـيل سـيـد

---

(١) امهاه : أذاله

(٢) يبدو أن البيت الأخير من هذا التقفيل غير موجود . (زيد)

يا مـخـجل الغــصن إن مـا مـاس قـده ومـاد
يامن مــحلك وحـبك فـي صـمـيم الـفـؤاد
والله مــا لِي بغـــيـــرك يـا خليـلي وداد
بل ثوب حـــبك عـلى مــر الليــالي جــديد

وكــيف أنســـاك يا حــالي الحــلا والـحلل
يا مـــخـجل الظبي الأحــوى بالعنق والمــقل
ولا تغـيـــر فــؤادِي بل مــحلـك مــحل
حــاشـا وكـــلا وهذا شيء بعــيــد بعـيــد
حــيـــاة قلبي وصــــالك يا لذيد الـوصـــال
وأنت كـــالمــاء وصــافـيـــه اللـذيذ الزلال
مـاقـط غـيـرك شــفى غله فــهـذا مــحـال
ويوم لقـــيـــاك عندي يا رشـــا يـوم عــيــد
لا زال برجك فــؤادي يا ســويجـي الكحــيل
وأنت فـي العــز يـاســـامي العـنق الطـويل
وخـــصـك الله مـنا في الـبكر والأصـــيل
أزكى التـــحــيــات منا والســلام الـعــديد

وفي سنة ٩١١ هـ (تسعمائة وإحدى عشر) عاد "عامر" إلى بلاده بعد أن ظفر من صنعاء بمراده وجعل فيها أناساً من قواده .

"محمد حسن حميد"

وفيها توفى الفقيه العلامة "محمـد بن حسن بن حميد المقرائي الحارثي المذحِجي" (وهو والد الفقيه يحيى حميد الشهير ولم يدرك والده) وكان عالماً فقيهاً وله مسموعات كثيرة ، قرأ على الفقيه "محمد بن أحـمد مرغم" وغيره وله شرح على التذكره موسوم «بالمصـابيح الزاهرة لالتقـاط لألى التذكـرة الفاخرة» ، وله «السلوان المـنتزع من ابن خلكان» وشرح على « رسالة الحور العين» وشرع في شـرح على «البحر الزخار» فمنعه الحمام عن التمام .

الإمام المتوكل يحيى شرف الدين

مولده سنة ٨٧٧ هـ (ثمانمائة وسبع وسبعين)

ودعوته سنة ٩١٢ هـ (تسعمائة واثنى عشر)

ووفاته ٩٦٥ هـ (تسعمائة واخمس وستين)

هو الإمام الأعظم أمير المؤمنين المجدد للقرن التاسع المتوكل على الله "يحيى شرف الدين بن شمس الدين بن الإمام المهدي أحمد بن يحيى بن المرتضى بن أحمد بن المرتضى بن المفضل بن منصور بن المفضل الكبير بن عبد الله الحجاج بن علي بن يحيى بن القاسم بن يوسف بن يحيى بن الناصر أحمد بن الإمام الهاديِ يحيى بن الحسين" . إلخ .

مولده بحصن «حضور الشيخ» فى ١٥ رمضان سنة ٨٧٧ هـ والدته هى الشريفة "دهما بنت الإمام المطهر بن محمد بن سليمان" . ورأى والده في منامه حال حمله قائلاً يقول له : أنا أبشرك بغلام اسمه "يحيى " ورأى غيره من يقول بشر ولد الإمام المهدي بولد اسمه "يحيى شرف " ، فكتب والده ووالدته إلى جده المطهر فأشار بتسميته بالإسمين فَعُرف بـ"يحيى شرف الدين "من صغره وأكمل القرآن بذمار لدن جده "المطهر" وهو فى نحو ثماني سنين ثم رجع إلى «الظفير» فأخذ فى فنون العلم به وبصنعاء و«خولان مسور» وغيرها عن الفقيه "عبد الله بن أحمد الشظبي" والفقيه "عبد الله بن يحيى الناظري" و "عبد الله بن مسعود الحوالي" و "علي بن يحيى بن صالح العلفي" و "محمد بن إبراهيم الظفاريِ" و "عبد الله بن علي بن محمد قرش" و"قاسم بن يوسف والهاديِ بن محمد بن إبراهيم الوزير" و"علي بن أحمد بن مكابر الشظبيِ" وعن والده "شمس الدين "والإمام "محمد بن علي الوشليِ" ومسموعاته واجازاته كثيرة ، ومن أجل تلامذته ولداه "عبد الله" و"علي" ، و"محمد بن عبد الله بن أحمد بن الهادي بن الإمام يحيى بن حمزة " "وعبد الله بن القاسم العلويِ" و"المهديِ بن علي بن أحمد الهادويِ" وأخواه "صلاح "و "أحمد" ابني "المهدي" و"محمد بن عطف الله "و"عبد الله

بن محمد بن داود الغشم "و"عبد الله بن ناجيِ بن يحيى" و"عليِ بن عبد الله راوع "وأخوه "محمد" و "يحيى بن حميد" وغيرهم وكان أبيض الوجه ، أقني الأنف ، أجلى الجبهة ، أنجل العينين ، ربعة من الرجال بهي المنظر ، خفيف الحركات ، وله من التصانيف : كتاب «الأثمار في فقه الأئمة الأطهار» ممن شرحه شيخ الإسلام "محمد بن يحيى بهران الصعدي" فى أربعة مجلدات بالأدلة وذكر الخلافات .

وشرحه الفقيه "يحيى حميد" شرحاً جيداً والقاضي "عبد الله رادع" والفقيه "صالح بن الصديق النمازي" إلى كتاب الحج في ثلاثة مجلدات . وشرح "مقدمة الأثمار" للإمام نفسه وابنه عبد الله وغيرهما . وله رسائل وأجوبة ومسائل عديدة وله صناعة فى أنواع الشعر من الغزل والرثاء والفخر والمدح وحسبه قصيدته السائرة «قصَص الحق بمدح وذكر معجزات سيد الخلق» وهى إلى مائة وخمسين بيتاً منها :

لكم من الحب صافيه ووافيه
ومن هوى القلب باديه وخافيه
أنتم حلول فؤادي وهو بيتكم
وصاحب البيت أدرى بالذي فيه
قد طار روحي معاكم يوم رحلتكم
وذا تلافي فجدوا في تلافيه
لا طيب للعيش إلا في جواركم
فقربكم لغرام القلب شافيه
يا حادياً بالمطايا نحو ذي سلَم
ياما أحيلاك حالاً إذ توافيه
به توافي بدور الحي من ثعلٍ
بدور تم لنورِ البدر تخفيه
طارحهمُ من نظاميِ فى صفاتهم
نظماً يزيل لظى قلبي ويطفيه
وإن مررت بسفح الطود من أضم
الثم ثرى السفح محياه وما فيه
وحين تبصر مصحوباً بعافية
سلعاً فسل عن بَواديه بِواديه
عساه يبدو لكم من بدره خِيم
فحبذا في بواديه بواديه

مـــاذا نحـــاول من أرجـــاء كــــاظمــــة
من المــــغـــازي ابن لـي ايش تبـغــيــه؟
صـــــرح بـمــــغـنـاك في سـلع وفـي أضم
فلـيس عـنـدهمـــــا مــــعنـى تكنيــه
أمـــا تـرى منهـــمـــا أنوار طـيـبــة قـد
عـلت لـنازح رائـيـــــهــــا ودانيـــــه
أنــوار مـــنـــزل مَـــن أنـــوار مـــنـــزلــه
من حـــضــرة الـقــدس لا تنـفك تأتيــه
مـحـمــد المصطفى الـمـخـتـار حـجـتـه
علـى البـــرايـا وقـــاصـــيــــه ودانيــــه
العـــاقب الحـــاشــر الـمـخــتــار أحـمـد
والذكـــر المبـيـن مـزيل الكفــر مـا حـيـه
من كـان يخـتـرق السـبع الـطبـاق على البـراق
لا شـيء عن مـــمـــرقـــــاه يَثـنيــــــه

إلى أن قال فى آخرها :

وكـم ثـنـائـي لـمن جـــــاء الـثـنـاء لهـم
في الذكـــر في غـيـر فـصل فى مـشـانيـه
وكـلّهـم عـنـدنا عـــــدلٌ رِضيٌ ثِـقـــةٌ
حـتم مـــحـبــتــــه حـتـم توليـــه
إلا أنامـــــاً جـــــرى من بـعـــده لـهم
احـــداث ســـوء ومـــاتـوا في أثافــيـــه
من ردةٍ ومــــروق والـخــــروج عن الأمـــر
الإلـهي والـقــــســط المنافـــــيــــه
مـــا قلت إلا الـذي قـــد قـــال خــــالقـنا
في ذكـــره ورســـول الـله حـــاكــيـــه

فكـل حــــادثة فـي الديـن قـــــد وردت
وفــتـنة وامــتـــحـــان من أعـــاديه
في مـــحكم الـذكـر والنـقل الصـــحـيح عن
الرســـول في لفـظ تنصـــيص وتنبـيــه
لا ســـيــمـــا عند قـــرب الـحـــادث
الجـلل المـــريع للـدين والإســـلام بـاديه
من مـــثل مـــا كـــان فى حج الـوداع وفي
يوم الـغـــدير الـذي أضـــحـى يثـنيـــه

أبان في نصه من كان خالقنا
له يوالي فمَن هذا يعاديه

وهو الحديث اليقين الكون قد قطعت
بكونه فرقة كانت توهّيه
وقال قد أقبلت يا قومنا فتن
لكم كمعترك الإظلام داجيه

وقد شرحها ولده "عبد الله" في مجلدين ضخمين اسمه (فتح العلي الحق ، بشرح قصص الحق) وشرحها أيضاً القاضي "محمد بن يحيى بهران" والسيد "عثمان بن علي الوزير" وغيرهم وختمها الشيخ "عبد العزيز عز الدين بن علي الزمزمي المكي الشافعي" بتخميس سماه قصب السبق أوله :

مَلّى ورقق كاسَ الحب ساقيه
فاشرب ويح بالهوى كم ذا تُغَطيه
شبّب بسلع وقل يا رب واديه
لكم من الحب صافيه ووافيه
ومن هوى القلب باديه وخافيه

وللإمام سيرة جامعة للفقيه "الحسن بن محمد الزريقي" وسيرة للفقيه "صلاح بن داود بن علي بن داعر المرهبي" وهى أحسن من «سيرة الزريقي» لأن "الزريقي" إنما جمع حوادث ملازمته للإمام من سنة ٩٤٠ هـ وما بعدها وللفقيه "حسين العلفي" الجزء الأول من حين دعوة الإمام جمعه السيد "محمد بن إبراهيم بن المفضل" فى كتابه (السلوك الذهبية فى خلاصة السيرة المتوكليه اليحيويه) فى مجلد ، وللفقيه "صالح بن الصديق النمازي" منظومه في نسب الإمام وشرحها السيد "أحمد بن عبد الله بن أحمد الوزير" .

دعوة الإمام

"شرف الدين"

في جمادي الأولى سنة ٩١٢هـ (تسعمائة وإثنى عشر) دعا الإمام من «حصن الظفير» وبث رسائله إلى اليمن فأجابها أكابر العلماء ووصل إليه الأعيان أرسالا وخرج من الظفير فى جمادى الآخرة إلى جهات «مسور لاعه» وسار إلى

«حـجة» وجـهز إلى «الحـيمـة» وغيـرها وصرف مـا وصل إليه من الزكـاة في مصارفها .

وفيها استفتح "عامر" «حصن ذي مرمر» وعمل الزينة لذلك فى المدن نصف شهر.

وفيها مـات بتعز محبوساً "أحـمد بن الناصر بن محمد" و"محـمد بن عيسى شارب" .

الشراكسة فى البحر الأحمر والسواحل اليمنية

وفي محرم سنة ٩١٣هـ (تسعمائة وثلاث عشر) وصلت ثلاثة أغربة وغيرها من المراكب الشراعـية عليها الشـراكسة من جنود السلطان "قانصـوه الغوري المصري" إلـى جيزان وتزودوا منه طعاماً وسـاروا في مدافعهم وبنادقـهم إلى جزيرة كمران ففـتحوها ثم إلى عدن وأظهروا أنهم خـرجوا من جدة مغاضـبين لقومهم وتابعهم فـى ربيع الثاني حملة ثانية في ثلاثة مراكب شراعية والأميـر "حسين الكردي" ولما وصل ساحل عدن أرسل رسولا إلى عامل "عامر" بعدن "مرجـان الظافري" يستأذن بالدخول إلى وادي حقات بالساحل فأذن له فدخل بأدبٍ واحتشام وأرسل مرجان إليه رسولين فأكرمهما "الكردي" غاية الإكرام وبعث معهما بهديةٍ سنية لـمرجان وقال لهما أبلغاه السلام وقولا له لولا أن السلطان "قانصـوه" أخذ عليّ ألا أدخل عدن لدخلت إليه ومثلت بـين يديه ثم أخذ ما يحتاجه وسار بعد الفرنج العابرين البحر الأحمر إلى الهند .

وفيها احتل النصارى جزيرة هرمز من بلاد فارس وأمّنوا من فيها .

وفيها ولادة "عبد الله بن الإمام شرف الدين" .

قبض جنود "عامر" لظفر والفصين

وفي ربيع الثانى سنة ٩١٤هـ (تسعمائة وأربع عشـر) قبضت جنود "عامر" حصن «ظفر بني وهاس» وحصن «الفصين» و«العروس» و«الريشة» .

وفيها خرج الإمام إلى «بلاد الشرف» فصلح أكثرها وكان جنوده نحو خمسمائة رجل وستين فارساً واستولى على الدير وانتقل إلى «المحابشة» .

وفيها ولد "شمس الدين بن الإمام" ، وحرر الإمام رسالة بالغة إلى "عامر" بشأن ما كان من تشريده عترة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتفريغهم في «زبيد» و«تعز»

و«جبلة» و«آب» و«عدن» فلم يرفع "عامرا" إلى ذلك رأسا .

وفيات

صارم الدين إبراهيم الوزير

في ١٢ جمادي الآخرة سنة ٩١٤هـ (تسعمائة وأربع عشر) توفى بصنعاء السيد الإمام "صارم الدين إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن الهادي بن إبراهيم بن علي الوزير" عن ثمانين سنة وهو إمام المعقول والمنقول وصاحب التصانيف المفيدة منها «الفصول اللؤلؤيه» فى أصول الفقه و«هداية الأفكار إلى مذاهب الأئمة الأطهار» وفيها زيادة على ما في الأزهار و«الفلك الدوار فى الحديث» جمع فيه بين روايات أهل البيت والمحدّثين وفي أوله مقدمة في رجال الزيدية ، قال الفقيه "يحيى حميد" : ذكر فيها كثيراً ممن ناصر أهل البيت وروى عنهم ولم يكمل لوفاته وله مختصر فى «المعاني والبيان» . والبسامة المسماة «جواهر الأخبار» وله اطلاع كبير على أخبار الأولين والآخرين وقرأ بصنعاء وصعدة ومشايخه وتلاميذه كثيرون وله إجازات ، وكان لا يكفّر بالإلزام وتجرع غصصا من السلطان "عامر" فى سنة ٩١٠هـ (تسعمائة و عشر) حيث فرق بينه وبين أولاده وأنزل ابنه "أحمد" إلى «تعز» و "الهادي" إلى «رداع» .

البسامة وذيولها

وبسّامته إلى نحو مئتين وأربعين بيتاً في الأئمة الدعاة من العترة في اليمن وغيره إلى زمنه وأولها :

الدهر ذو عِبَرٍ عظمى وذو غير
وصرفه شامل للبدر والحضَر

وفى آخرها :

أجر النبي على إرشاد أمته
حبُّ القرابة فاغنم أفضل الأجر
وكن بعروة أهل البيت ملتزماً
فالذكر والآل منجاة لمُدّكر
ولا يصدك عنهم قول منحرف
الناس أميل نحو العاجل الحضر

وذيّلها السيد "داود بن الهادي المؤيدي" بنحو عشرين بيتاً ذكر فيه سبعة أئمة أوله :

لـلـه درك من عــــــلامـــــــة عـلـم
أرزى نـظامـك بالـيـــــاقـــــوت والـدرر

ثم ذيلها السيـد "أحمد بن محمد الشـرفي" بثلاثة وثلاثين بيتاً ذكر فـيه "القاسم بن محمد" وولده المؤيد أولها :

ثم ابـتــدا الـدعـوة الـغـرا مـن قـــمـــر
إمـــامنا الـقـــاسم المنصــور في صـــفـــر

وشرح الجـميع بكتـابه الحافل "الآلئ المضـيئة" ثلاثة مـجلدات ضخـمة ، ثم ذيل القاضي "مهدي بن مـحمد المهلاً" بنحو خمـسة وخمسين بيتاً ذكـر فيه "الحسن" و "الحسين " ابني "القاسم" وموت "المؤيد" وقيام المتوكل "إسماعيل" أوله :

أزال بـالعـــــزم كـل التـــــرك عـن يمـنِ
على يـدي صِنْوِه المـشـهـور في الـسيـر

ثم ذيّل البسَّامة "السيد عبد الله بن علي الوزير" من عقيب بسامة جده إلى وقته بنحو مائة وثلاثين بيتاً وأوله :

وفـي ابـن وهاسٍ الـداعـي وقـــائمـنـا
واليـــحـــيـــوي إمـــام الثـــأر والأثر
قـــضت بنـصـــر وخــــذلان ولا عـــجب
فـالملـك مـا بـين مــخــذول ومنتــصـــر

ثم ذيل السيد "مـحمد بن إسماعـيل الكبسي" بزيادة على مائة وعشرين بيـتاً ، ذكر "المنصور الحـسين بن القاسم بن المـؤيد" و "الناصر محـمد بن اسحق "والمـتوكل "إسماعيل بن أحـمد المغلس" و "الهادي أحمد بن علي السـراجي" و "الحسين بن علي المـؤيدي" و"الناصـر عبـد الله بن الحـسن "و "المنصـور أحمـد بن هاشم " و"المتوكل المحسن بن أحمد" وشرحه بالعناية التامة شرح ذيل البسامة وأوله :

ذوب من الـشــهـــداء أو ســمط مـن الدرر
أم ســـحـــر بابل أم بـسّـامـــة الـشـغــــر

وفى سنة ١٣٧٠ هـ تيـسر لي تتمـة بمئتـين واثنين وأربعين بيـتاً اشتـملت على ذكر "الهادي شـرف الدين" و"المنصور محـمد بن يحيى حـميد الدين "وابنه "المـتوكل يحيى" وأبنه "الناصر أحمد" والحوادث من سنة ١٢٩٥هـ إلى سنة ١٣٦٩ هـ وأولها :

بـسـامـــة الـعـــتـــره الداعـــين بـالعـــصـــر
تضـــمـنـت عَـــبـــراً عظمى لـمـــعـــتـــبـــر

وذي تتمتها في سلكها نظمت
أئمة اليمن الميمون فى عمري
هادي الورى فأمير المؤمنين محمد بن يحيى
فشمس الدين خير سري
وما بأعوامهم من (غرة)
١٢٩٥
فإلى العام المؤرخ (من الله بالطفر)
١٣٦٩

وفيات

السيد" أبو بكر عبد الله العيدروس"

في شوال سنة ٩١٤ هـ (تسعمائة وأربعة عشر) توفى بعدن الشيخ الشهير السيد "أبو بكر عبد الله العيدروس باعلوي الحسيني الحضرمي" عن ٦٣ سنة وله شهرة كبيرة من حين وفاته إلى الآن وجامعه بعدن من أجمل الجوامع واحياها ، وفي ترجمته بـ «النور السافر عن أخبار القرن العاشر» للسيد "عبد القادر العروس" أنه أقام بعدن نحو ٢٥ سنة ومات بها وأنه كان يذبح في سماطة بكل يوم من رمضان نحو ثلاثين كبشا وكان عليه من الديون نحو مئتي ألف دينار قضاها عنه قبل وفاته الأمير "عبد الله باحلوان" ومشهده بعدن مشهور مزور يتسابق الناس إلى قبر أمواتهم بجنب قبره في مقبرته وممن قبر بها :

"عباس بن علي اسحق"

وفي سنة ١٣٦٥ هـ انتقل من «تعز» إلى «عدن» للتداوي الأخ العلامة الماجد الأديب المفضال "العباس بن علي بن أحمد بن محمد بن علي بن أحمد بن محمد بن اسحق بن المهدي أحمد بن الحسن بن القاسم" فتوفى بعدن ودفن جوار قبر "العيدروس" ، وكان كريما لايدخر شيئاً فلزمته ديون قضاها المحبون له ، الذين تولاهم بعدل وشفقة وإحسان بحراز، ووسع مسجدهم وأجرى لهم الماء وهم أهل قضاء حراز، ثم لزمته ديون أخرى لصرفه في المستحقين وعدم تمكينه من بيت المال وكان أحق من يلزم تمكينه منه فقضى الديون الأخيرة عنه الإمام "أحمد" ولمعرفتي لفضله المعرفة التامة أيام جهاد الأتراك بخولان وغيرها ضبطت تاريخ موته بقولي :

مات في ثالث وعشرين مرت
من جمادى الأولى ضياء الهداة
التقي العباس ذو النسك
والبأس حليف الإحسان والحسنات

بعـد عـامـين تـلوسـتـين أمـضـاها
أبو أحـمـد حـمـيـد الصـفـات

بـيـن تـالِ وطـالـب الـعـلـم
في "حـوث" كـثـيـر الـترداد للآيات
ونبـيـلٍ بـر عـفـيـف لـطيف
وزعـيـم مـجـاهد فى الـجـهـات
وأمـيـر مـسّـدد مـسـتـقـيم
مـحـسن مـصلح جـزيل الصـلات
وخـطـيب وكـاتـب وإمـام
لإمـام الأنـام فى الجُـمـعـات
حـاكِـم فـيـصـل أديب أريـب
شـاعـر مـرشـد إلى الـخـيـرات
مـات فـي عـدَنٍ غـريـبـاً شـهـيـداً
أرخـوه بعـاشـر الأبـيـات
فى جـمـادى الـعـبـاس نجل عـلي
٥٠٥
سـبـط إسـحـق دام فى الـجـنـات
٨٦٠

١٣٦٥

و ترجمته الوافية في «نزهة النظر» الموسع :

*****

وفي رجب سنة ٩١٥ هـ (تسعمائة وخمسة عشر) كانت ولادة "عز الدين بن الإمام" .
ومازال الامام يبث الرسائل للإعانة على إقامة الحق بأقوى الوسائل .
وفيها فقدت مراكب السلطان "عامر"عند رجوعها من الهند ولم يبق منها إلاً مركب واحد.

" محمد بن حسين الحمزي الجوفي"

وفي سنة ٩١٥ هـ (تسعمائة وخمسة عشر) توفى بصعدة أميرها الشريف الماجد القمقام" محمد بن الحسين بن علي بن قاسم بن الهادي بن محمد بن أحمد بن المنصور عبد الله بن حمزة" . وهو من الأمراء الكبار وكان والده قد تملك صعدة وتولاها في سنة ٨٦٦ هـ ثم تولاها أخوه "الهادي بن علي" إلى أن قُتل سنة ٨٧٣ هـ

ثم تولاها ٤٢ سنة الشريف "محمد بن حسين" .

وفيها زلزلة بزبيد تقلبت منها الآنية من الدفوف وظهر فى السماء آخر الليل نور أبيض على هيئة قوس قزح نحو ١٣ ليلة ثم اضمحل .

وفي سنة ٩١٦ هـ (تسعمائة وستة عشر) أمر السلطان "عامر" بنفي جماعة من زبيد من المتظاهرين بالفسوق وأخرب بيوتهم وأهرق خمورهم ، وقد شكا إليه بعض أهل زبيد أن ولديه قتلا بسبب هذه المنكرات .

وفيها أرسل الشيخ "حمزة بن عبد الله الناشري" إلى السلطان "عامر" كتابه « انتهاز الفرص فى الصيد والقنص»

وفيها قدم "زين الدين" المحتسب بهدية من سلطان مصر "قانصوه الغوري" إلى "عامر" برداع فقابله بالإكرام وأرسل معه هدية ثمينة وفيلين ولعل هذه المراسلة والمهاداة للمحاولة على التعاون على خطر البرتغال الذين غزوا البحر الأحمر وطريق الهند وأنشأوا مراكز حربية وتجارية فى موزامبيق وجرا ومسقط وجزائر الهند الشرقية وغيرها .

"أحمد بن إبراهيم الوزير"

في ربيع الأول سنة ٩١٦هـ (تسعمائة وستة عشر) توفى بتعز محبوساً السيد الحافظ "أحمد بن إبراهيم بن محمد الوزير" عن ٥٢ سنةً وكانت له معرفة تامة وفصاحة ووجاهة، وكان من أعظم أعوان الإمام "محمد بن علي الوشلي" وعاودته الأمراض بتعز وهو مقيم على التدريس بجامع تعز، وكان والده يرق له كثيراً وكتب من «تعز» إلى والده :

كلما هبت جنوب وصبا
من تعز زاد قلبي وصبا

ياليالينا التي قد سبقت
وقضينا من هواها عجبا

يارعاكن إلهي كلما
فَرخُ قمريٍ تغنىً طرباً

هل أراكن بعهدى حُفَّظا
أم تناسيتن ما قد ذهبا

ثم حال الحول منا بعدنا
باقتران مثلما أيدي سبا

ومن جوابات والده :

على أحمد منا سلام مضاعف
سلام خليل غاب عنه خليله

وقفنا على نظم أتى منه رائقٍ
تضمن ما يشفي القلوب فصولهُ

وبالغ في شكوى تفرق شملنا
وشق به أمر البعاد وهوله
فاذهب عنه الله ذلك عاجلاً
فقوته تكفيه ذاك وحوله
وما الأمر الا مثلما قال جده
وقد راق في أسماعنا ما يقوله
إذا كنت عبداً للاله ولازماً
لنهجٍ قويم مستنيرٍ سبيلهُ
وما لي إلا أن يشاء مشيئة
كذلك قال الله ثم رسولهُ

خطيب صنعاء" أحمد الشاوري"

وفيها توفي بصنعاء خطيبها الفقيه البليغ "أحمد بن الحسن بن محمد بن إبراهيم الشاوري" صاحب الخطب البليغة ، ترجمه العلامة "أحمد بن عقبه" وأورد له مرثاة في العلامة "محمد بن أحمد عقبة" منها :

سلام على الدنيا سلام وداع
فما عيشها إلا قليل متاع
سهام المنايا في مقاتل أهلها
تصرعهم حتى شديد صراع
وتُقصي عن الأبناء وجه أبيهمِ
وما بينهم إلا كقيد ذراع
تصول على أهل الممالك صولةً
تقود برغم الأنف كل مطاع
وألوت بمن في الأرض شرقاً ومغربا
وأودت بمسرعيٍ ومن هو راعي

فهل يا عباد الله معتبر بما
يراه وبالاخبار عند سماع
وهل صارف عن هذه الدار وجهه
وساعٍ إلى ما فيه يحمد ساعيِ
له من عقال العقل عنها صوارف
ونحو الذي يبقى لديه دواعي

فـــــمـــــا النـاس إلا هالـك وابن هـالك
ومـــــا بـين مـنعـي إلـيــــه وناعـي

ولو زاده فـــــضـل عن الـمـــــرء أو تقـىً
ونّـجـــاه مـــــجـــــد أو تـطاول بـاع
لجـانب ســوح الـمــاجـد الأكـرم الذي
فـــــضـــائلـه تروى بـغـــيــــر نزاع
. . . إلخ .

قال في النور السافر : وفيها حصـل في «عدن ولحج وأبين والمسيلة» وجهاتها مطر عظيم من نصف الليل إلى عصر ، تفجرت الصهاريج وسال المـاء إلى البحر وخربت بيوت كثيرة وذهبت إبل وبقر وغنم وزروع

وفيـها تكررت الزلازل بزبيـد ثلاث مرات بشـدة وأنقض كوكب عظيم نهـاراً من الشرق وحصلت رجفة كالرعد الشديد وزلزلت موزع ونواحيها

وفي سنة ٩١٧ هـ (تسعمائة وسبعة عشر) خرج "علي بن محمد البعداني" عامل صنعاء للسلطان "عامر" إلى بلاد «نهم» فقابلوه بالحرب ففتك بهم وقتل خمسين رجلاً وسار حتى تسلم «جبل الملح» وأوغل حتى وصل «الجوف» ثم رجع إلى «ذيـبان أرحب» وفتك بعيال "عبد الله" وتقدم إلى« ذيفان» ورمى حصنه بالمـنجنيق . وقُتل شخص بثلا عدوانا فأدّبهم بألوف الدنانير ثم وصله أمر السلطان باستلام حصن «النعـيره ـ الناصره» . فدبر الحيلة حتى استلمه فأقبلت القبائل وأحاطت بالحصن وكان "ابن ناصر الدين" صاحب «كوكبان» بصعدة فأقبل مغيراً على «ثلا» واستصرخ الأشراف ، فوجه "النظاري" نائب "البعداني" من صنعاء خيلاً ورجـلاً وأعانه صاحب همدان بألف رجل ومع "البعـداني" سبعمائة فـارس وعشرة آلاف رجل فدوخ «ثلا» وأسر إبن "ناصر الدين"

وفيها دخل الإفرنج إلى عدن فقُتِل كبيرهم المسمى "عين البقر" على يد أميرها "مرجان" الذى عمر «قبة العيدروس» بعدن وقبر بجنب العيدروس .

وفي سنة ٩١٨هـ (تسعمائة وثماني عشر) انتقل السلطان "عامر" من المقرانة إلى تعز ثم زبيد وترجح له أن يقـبض نصف غلات الأوقـاف للدولة فدخل نقص كبـير على الفقـهاء والمـتعلقـين بالأوقـاف وشـملهم الضر فـابتـهلوا بالدعـاء إلى الله على السلطان فلم تطل مدته وسيـأتي كلام "الديبع" فى ذلك سنة ٩٢٣ هـ (تسعمائة وثلاث وعشرين) .

وفيـها كـثر الموت وعم الـفناء بزبيد حـتى بلغ عدد الموتـى فيِ اليو م الواحد مائة ، ومات جملة من الأعيان .

البرتغال في سواحل اليمن

في ليلة الجمعة ١٧ محرم سنة ٩١٩هـ (تسعمائة وتسعة عشر) لم يشعر أهل عدن إلاّ وفي الميناء ثمانية عشر مركباً بالرجال والعتاد فأسرع عامل عدن إلى تحصينها وجهز السلطان جيشاً إلى عدن تعزيزاً لقوته ومكث البرتغال يدبرون الحيلة فوضعوا السلالم ورقوا على السور وتمكن بعضهم من الدخول ، فهرع عاملها والجند والأهالي وأثخنوهم ضرباً وقتلوا جماعة وأسروا أربعة وحالوا بينهم وبين السلالم فانهزم البرتغال من الميناء وأحرقوا ما كان بالميناء من مراكب واتجهوا إلى «باب المندب» ثم «المخا»، ثم «البقعة ميناء زبيد» ثم الحديدة وفى كل ميناء يحاولون النزول ولكن البلاد كانت محصنة والناس واقفون بالمرصاد للبرتغال فخابت آمالهم واتجهوا إلى «كمران» ودخلوها عنوة وقتلوا من كان بها من أصحاب السلطان، ثم راحوا وأخذوا يجوسون خلال البحر الأحمر ، وكان لذلك ارتياع فى القلوب ونزع إلى الله بالدعاء فى الصلوات وخطبة الجمعة والتحذير، ثم صرفهم الله عن اليمن .

وفيها تواطأت جماعة بالفتك بعامل صنعاء "علي محمد البعداني" فانكشف أمرهم فعاقبهم أشد العقاب .

وفيها رجع السلطان "عامر" من «زبيد» إلى «تعز» ووفد إليه أشراف صعدة فقابلهم بالإكرام واستخلف ولده "عبد الملك بن عامر" على «تعز» وسار إلى «المقرانة» .

وفي سنة ٩٢٠ هـ (تسعمائة وعشرين) توجه السلطان إلى صنعاء فدخلها يوم سلخ شعبان وخاطب أهلها بتسليم مال وضرائب فتضرروا فتراجع وبعد أيام صمم وأحدث مظالم وبدعاً وضرائب وحاول الاستيلاء على صعده فلم يتم وكان قد وصل إليه أشرافها طائعين فجهز معهم أميراً وجندا فاعترضهم في الطريق الشريف "الحمزي الجوفي ابن البهّال" فخرج "البعداني" لاستنقاذهم وإعادتهم إلى صنعاء وتسلم «حصن ذيفان» و«ظفار» وملك السلطان من نقيل عجيب شمال البون إلى عدن . (وعند التنهاهي يقصر المتطاول)

وفيها حصل مطر عظيم وبرد بزبيد وريح شديدة كادت تقلع البيوت واجتحف السيل أكثر من مائة إنسان وآلاف من الإبل والبقر والغنم والحمير ومات بالبَرَدِ جماعةٌ ، وبعد ذلك وجد الطعام وقد كان عدم .

وفيات

"عبد الله الناظري"

في سنة ٩٢٠ هـ (تسعمائة وعشرين) توفى بـ «ثلا» وقبر غرب مدرسة الإمام شرف الدين بجنب قبر "اللوزي" و "الصعدي" و "الحسوسة" وغيرهم القاضي العلامة "عبد الله بن يحيى الناظري بن محمد بن الناظري بن محمد بن أحمد بن خليفة بن الناظري بن محمد بن منصور بن محمد بن جعدان بن علي بن الصيَّاد بن الدقاق بن علي بن عبد الله بن جابر بن فاتك بن فيصل بن محمد بن زيد بن حبش بن نشوان بن منصور بن الأجعد بن عبد الله بن عروة بن مالك بن هلال بن عمرة بن يوسف بن معيار بن كعب بن سلم بن عمرو بن منصور بن شاور بن قدَم بن قادم بن زيد بن عريب بن جُشَم بن حاشد الأكبر" ، كان إماماً فى الفقه والفرائض ، له شرحه المشهور فى «الفرائض على المفتاح الفائض» للعصيفري وحصل له حظ عظيم بقراءته ونسخه الطلبة حتى لا يخلو منه طالب مثل حظ (شرح ابن مفتاح على الأزهار) ، وكان عالماً فاضلا له سؤالات إلى الإمام "عز الدين بن الحسن" أجاب عنها الإمام . وتولى القضاء للإمام "شرف الدين" وله أنظار فى كثير من المسائل منها مسألة من ملَّك غيره الطلاق لا يصح منه التطليق لديه، ودار بينه وبين الإمام "شرف الدين" مراجعة كبيرة فمن شرى لنفسه ما عيّنه له الموكل وهى مسألة مشهورة .

ومنها ما ذكره له صاحب الفتح (١) فى باب المأذون فى قوله : **ويستويان في ثمنه** .

وفي أول سنة ٩٢١ هـ (تسعمائة وواحد وعشرين) أغار أهل الزيدية بتهامه على الضحى فهزمهم عاملها "عيسى الحجري" .

الشراكسة فى كمران

في جمادي الأولى سنة ٩٢١ هـ (تسعمائة وواحد وعشرين) بعث السلطان ولده "عبد الوهاب" عاملاً على «زبيد» فلبث بها إلى ذي القعدة وبلغه وصول العساكر المصرية الغورية فكتب إلى أبيه فأمر بمنع توجه

(١) هو العلامة الكبير يحى بن محمد المقراني الحارثي . (زيد)

الميرة إلى شام تهامة ، وكان رئيس الأجناد الغورية الأمير "حسين الكردي" الذى مكث بجدة كثيراً، وله بها مظالم شهيرة وعمر سورها بأنقاض بروج هدمها ومما يحكى من طغيانه بها أنه تأخَّر أحد البنَّائين قليلاً فوضعه فى جوف البناء وكان قد سار إلى «كجرات» بالهند فاحتفى به سلطانها "خليل شاه بن السلطان محمود شاه" وتنقل فى بحر الهند والبحر الأحمر وعاد إلى «كمران» .

ولما وصل كتاب "عبد الوهاب" إلى أبيه السلطان إلى صنعاء أزعجه، وتوجه إلى «رداع» وعيَّد بها الأضحى وأطلق من سجونه "بني طاهر" وأظهر لهم التودد وقد لاحت عليه لوائح الإدبار .

وكان عامل السلطان" عامر" على «اللحية» "الفقيه ابكر الزيلعي" قد انصاع إلى الشراكسة وكاتبهم وخطب على منبر اللحية للسلطان "الغوري" فأغدق عليه الشراكسة ومنحوه الهبات الكثيرة وأعمل الحيلة في احتلالهم اللحية ووادي مور وانضم إليهم رجال بلاد الزيدية بتهامة وهي واسعة وهم موتورون من السلطان "عامر" واشتركوا مع الشراكسة في مناجزة السلطان .

مكاتبة الإمام شرف الدين للشراكسة

أرسل الإمام "شرفُ الدين "إلى الأمير "حسين الكردي" الفقيه "صلاحَ الدين" وأحال التفاصيل على لسان رسوله الفقيه ومعه مكتوب منه :

وبعد فكتابنا هذا لتعريف الأمير بأنا لم نزل إلى الله سبحانه مبتهلين، ولما لديه من الفرج منتظرين ومتجردين، لدفاع هذا الجائر، وجهاده مع عدم المعين والناصر ، وخذلان أهل الزمان القاصر، وميلهم إلى الأطماع الحقيرة ، وزخارف الباطلِ الفاضحة المبيدة ، حتى تمكن هذا الظالم الغشوم، وأوقعهم من الخِزْي والوبال فى اقصى التخوم ، وشَمَلَ بِشَرّه الغوي والبري والشجي والخَلي. وتتبع بجوره ومكره أعيان البيت النَبوى، ولم يبق في سلطانه لأهل البيت باقية ، ولا أجيبت لهم داعية ، حتى بدّدهم هذا الظالم في البلاد .

وفرّق منهم بين الآباء والأولاد، فنرى الله سبحانه أنه قد وفقكم لمشابهة من قال الله تعالى فيهم ﴿ فسوف يأتي الله بقوم يحبهم

ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ﴾ إلى أن قال : والحث لكم على استدراك هذه البقية ، من عتره نبيكم الطاهرة الزكية، من يد هذا الطاغي وأعوانه. إلخ ومع المكتوب قصيدة منها :

إذا أوليتُ بعد الله مصرا
سنا شكري فما اولى واحرى
لقد أجرى المهيمن من لديهم
علينا أنعماً غُراً وزُهرا
أتتنا غارة من مصر أهل النبي
رعت لنا نسبا وصهرا
بتمكين لأهل البيت ممن
نكاهم جهرةً قتلا وأسرا
وتطريداً وتشريداً وهوناً
كأنهم أتوا فحشا ونكرا
وأعظم ذاك شيبة آل طه
وأكثر نسلهم نسبا وقدرا
بلا جرم سوى أن قام يدعو
إلى ما كُلِفوا نهيا وأمرا
تمكن عامر منه فأضحَى
يحاول قتله سرا وجهرا
فمات بمكره فردا وحيدا
وإن الله أسرع منه مكرا

ومراده بشيبة آل طه الإمام" محمد بن علي الوشلي" .

جواب "عامر" الأهوج على الشراكسة

وبعد وصول رسول الإمام الفقيه "صلاح الدين" إلى الأمير "حسين الكردي" قابله بالإكرام واستشار أصحابه فأشاروا بتبقية رسول الإمام والكتابة إلى السلطان "عامر" يستمد منه الإعانة على حرب الإفرنج ، فلما وصل الكتاب مع رسولين إلى عامر فقال الأمير علي بن محمد البعداني المغرور : أنا أكفي السلطان الجواب وطلب الرسولين إليه وأغلظ لهما في القول وتوعدهما

وشتمهما وقال لهما لولا أن الرسل لا تقتل لقتلتكما، وكان السلطان منقاداً لآراء "البعداني" فتحقق الأمير "الكردي" صحة ما كتبه الإمام وأجاب عليه ووعده النصر .

إرتياع جنود عامر
لبنادق الشراكسة في أول خروجها

ولما رمى الشراكسة بندر «الحديدة» بالبنادق والمدافع وهي أول ما خرجت إلى اليمن ارتاع لها جنود "عامر" ووجفت القلوب وفرت جنود "عامر" وأهل الحديدة شذر مذر ، واحتل الشراكسة الحديدة، وأرسلوا بقذيفة المدفع الضخمة إلى «زبيد» ، وأخذ الشراكسة من «الحديدة» الأخشاب والأبواب إلى «كمران» وبنوا بها حصنا عظيما وجبانة وصلوا فيها صلاة عيد الأضحى. وكان منع السلطان للميره عن الشراكسة من أسباب توجههم عليه وكانت وصلت لهم ثلاث سفن طعام من« زيلع» فحيرها "محمد نوح" عامل الحديدة عملاً بأمر" عامر" فأرسل "الكردي "إلى عامل الحديدة لإطلاق السفن بالطعام فلم يسعد فتوجه بسفنه إلى الحديدة ورماها بالمدافع حتى أخربها .

وكان قد توجه عامل «اللحية» "الفقيه أبكر الزيلعي" الذى انقلب مع الشراكسة بمائة جندي من الشراكسة بالبنادق إلى «مور» ، وفيه من جهة السلطان "عامر" الأمير "محمد السنبلي" فلم يكن بأسرع من هزيمة جنده وقتله مع جماعة من أصحابه . وطلب أهل الزيدية من الأمير "حسين الكردي" طائفة من عسكره لقبض خراج بلادهم فأمدهم بطائفة قصدوا بهم قرية الضحي فهزموا عامل "عامر" بها والتجأ بقية عسكره إلى الغانمية .

حرب «زبيد»
واستيلاء الشراكسة عليها

في سنة ٩٢٢ هـ (تسعمائة وإثنين وعشرين) بعث السلطان "عامر" أخاه "عبد الملك" إلى «تهامه» فخرج من «زبيد» بقوة عظيمة ، وكان "الأمير الكردي" في ألف مقاتل بالبنادق ومعه الشريف "عز الدين بن دريب" صاحب «جيزان» فاشتد القتال وقاتل "عبد الملك" بنفسه قتالاً أبان عن شجاعة وهلكت تحته ثلاثة من الخيل وقتل بعض أعيانه وأربعة

عشر من الشراكسة ورجع "عبد الملك" إلى «زبيـد» فتبعه الشراكسة في الإثر فحطوا بقرب «زبيد» ومعهم كثير من عرب «تهامة» .

ثم زحفوا إلى «باب النخل» من مدينة «زبيد» ضحى ١٩ جمادى الأولى سنة ٩٢٢هـ (تسعمائة وإثنين وعشـرين) فخرج إليهم "عبد الملك بن عبد الوهاب" وابن أخيه "عبد الوهاب" ابن "عامر" فقاتلوا قتالا شديداً حتى أصـيب "عبد الوهاب "برصاصـة بندق فانهزم عـسكره وحُمل إلى الدار السلطانية بزبيـد وتبعه عمـه "عبد الملك" فجـعله بين يديه وتوجه إلى «باب الشبارق» وقـد اصطفت الجنود لأسره فحمل عليـهم بمن معه حتى نجـا بابن أخيه وبعض أعـيانه وساروا إلى «تعـز» فمات بها "عـبد الوهاب" من جراحته .

ما ارتكبه الشراكسة بزبيد

ودخل الأميـر "الكردي" زبيد بجنده العديد فـانتهبوها وسـفكوا الدماء وأباحوها وهتكوا المحارم وفعلوا العظائم ، قال صاحب «روح الروح» : وحصل على «زبيد» مثلمـا حصل على أهل «الحرَّة ويثرب » من "يزيد" وجيء بالتجـار إلى "الكردي" فصفّـدهم في الأغلال إلى أن يسلمـوا ما كتموه من الأموال وجيىء بالحاكم الشرعي فجلده وقيده ومات بعد ثلاثة أيام .

ولما استقر "الكردي" بالدار السلطانية بزبيد أمر بالكف عن النهب فلم يمـتثل الـجند لأمره واسـتـمر النهب ثـلاثة أيام ودخل العسـكر البيـوت وأخرجـوا منهـا أهلها ، وبقى "الكردي" بزبيـد ٢٧ يوماً ثم خـرج إلى "بندر البـقعـة" بعد أن صـادر الأغنياء بزبيـد بعشـرة آلاف أشرفي ذهـبا وأرسل للفقيـه "إسماعيل بن جعـمان" صاحب بيت الفقيـه فطالبه بمال نمي إليه أنه لديه وديعة للشريف "العفـيف بن سفيان" من زعماء الدولة العامرية فأنكر فضربه بالسياط وسجنه فمات .

فرار "حسين الكردي" من جنده

كـان قد وعـد جنده أن يعطي كل واحد منـهم مئـتي دينار أشرفي بعـد الاستيلاء على «زبيد» فشحت نفـسه ، فهَّم الجند بقتله ، فأظهر أنه يريد الخـروج إلى «بندر البقـعة» ليـأتيهـم بالمال المـوعود به، ثم أبحـر إلى

«زيلع» فأصلح مراكبه وشحنها بالماء والزاد وسار إلى «عدن» ، وفيها "مرجان "عامل السلطان فوقعت الحرب الشديدة وقتل من الفريقين عدة حتى وصل "عبد الملك بن عبد الوهاب "مغيراً ففر الجند المصري إلى «البقعة» ثم إلى «جده »وقد خسر أميرهم "حسين الكردي " أكثر أصحابه ومنيته له بالمرصاد فقد اندحر الشراكسة بمصر ودخلها السلطان" سليم العثماني" وشنق آخر ملوكهم وأمر شريف الحجاز وقد وصل إليه إلى مصر بقتل "الكردي" ومطاردة الشراكسة وإجلائهم ، فنفّذ شريف مكة أمر السلطان "سليم " فأخذ "الكردي" وقيده وألصقه بحجر ونبذه إلى البحر طعمة للأسماك جزاءً وفاقاً وكادت الدنيا أن تكون دار جزاء .

وأما الشراكسة بزبيد الذين فر منهم "الكردي" فإنهم عمدوا إلى اختيار واحد منهم يقال له "برَسْباي" وأمّروه عليهم واستعدوا لمواصلة غزوهم فخرجوا إلى حيس يعيثون ويقتلون .

أخر تقدُّم للسلطان "عامر"

سار "عامر" من «المقرانة» إلى «آب» ثم تقدم إلى «بلاد زبيد» ، فخافه الشراكسة وطلبوا منه الصلح فلم يساعدهم ، وقد صام رمضان هنالك ، وتقدم إلى «التريبة» فخرج إليه من «زبيد» الشراكسة يوم تاسع شوال سنة ٩٢٢هـ فوقع القتال العظيم ذلك اليوم واليوم الثاني والثالث وتولى "عامر" الحرب بنفسه ولم يثبت معه غير ولده "أحمد" وخاله و"الفتى ريحان" وانكسر عنه العسكر فهجم الشراكسة على محطته وانتهبوها ، ففرّ ولم يلحقه الشراكسة لاشتغالهم بنهب الأموال والآلات، ثم سار "عامر" إلى «تعز» وقد لمع بارق هلاكه وهدم مُلكه الشامخ والحاقه بأهل الخورنق والسدير، وإصابته بما أصاب "مروان الحمار" في بوصير .

استيلاء الشراكسة على «تعز »ثم «المقرانة»

وفي محرم سنة ٩٢٣ هـ توجهت الشراكسة إلى «تعز» ففر "عامر" إلى «آب» بدون قتال واستولوا على «تعز» ورتبوا حصنها وفعلوا فيها أعظم مما فعلوا بـ«زبيد» ثم توجه أميرهم "برسباي الغوري" إلى «المقرانة» فسبقه "عامر" إليها ، فأخرج منها حريمه وما خف من أمواله ونفائسه وتوجه إلى« الحلقة» وأخذ الشراكسة ما في «المقرانة» من الأموال

والذخائر وهي كثيرة وظفروا بجماعة كان عندهم ودائع للسلطان "عامر" فأخذوها واستقر الشراكسة بـ «المقرانة» أياماً وخرج أميرهم "برسباي" يوماً إلى بلد «آل عمار» بالنادرة فاجتمعوا عليه وأمَدَّهم الله بنصره فقتلوه مع جماعة من عسكره ورجع بقيتهم إلى «المقرانة» فأقاموا لهم أميراً هو "اسكندر بن محمد الكردي"، وظفروا بالفقيه" عمر الجبرتي" سمير السلطان "عامر" ونديمه فدلّهم على دفائن "عامر "من الذهب والفضة والجواهر ونفائس الذخائر فقبضوها وقتلوا "الفقيه الجبرتي" .

تقدُّم الشراكسة إلى صنعاء وقتل "عامر" بأكمة «الزبيب»

ثم تقدم الشراكسة قاصدين صنعاء فأعترضهم بعض القبائل فأوقعوا بهم وقتلوا منهم في حدود «بلاد ذمار» فما وهن الشراكسة لما أصابهم من قتل القبائل لهم، ونفذوا مع أميرهم اسكندر إلى قاع صنعاء وعاملها لعامر «علي محمد البعداني». ولما بلغ "عامر" قتل القبائل للشراكسة في الطريق حول« ذمار» استخفه الفرح وخرج إليهم من صنعاء بمن معه فبرز الشراكسة لقتاله عقيب خروجه وقبل نزوله فثبت معه أخوه "عبد الملك" فقاتل حتى قتل "فطاش" عقل "عامر" وفر فريداً ذليلاً وأراد أن يقصد «حصن ذي مرمر» لأنه كان في حوزته فتلقاه رجل من «سعوان» يُعرف بـ "ابن الزلابيا" فأسره من أكمة الزبيب وسلمه للشراكسة فاحتزوا رأسه وتركوا جسده ملقى على الرغام يطأه الناس بالأقدام، كأنه لم يكن ذلك الملك المهيب عند الصدام، ولا خفقت على رأسه الأعلام، فتباً لملك هذه غايته، وقبحاً لنعيم زائل هذه نهايته. وكَان قتله ضحى الجمعة ٢٣ ربيع الأول سنة ٩٢٣هـ عن ٥٧ سنةً من مولده سنة ٨٦٦ هـ «بالمقرانه» وعن ٢٩ سنة من ملكه وأسر الشراكسة ولده" أبو بكر بن عامر" وأبن أخيه" عامر بن عبد الملك" ورفعوا رأس السلطان "عامر" ورأس أخيه "عبد الملك" على رؤوس رماحهم وتقدموا بهما إلى سور صنعاء فلما عاينهما عاملها "علي محمد البعداني" إنخلع قلبه وذهب إليه وطلب الأمان فأمنوه وفتح لهم أبواب صنعاء فدخلوها ثم مالوا على من فيها فقتلوا من حماتها وأجنادها ألفاً وخمسمائة نفر وقبضوا أموال

عاملها "البعداني" وذخائره وصادروا التجار وجرى على أهل صنعاء ماجرى على بغداد من التتار حتى قيل إنهم كانوا يجبرون أهل صنعاء على حمل دنان الخمر من السائله -محل اليهود- إلى القصر .

قال مؤلف سيرة الإمام "شرف الدين" ومن العجائب أن قضية "عامر" مع الشراكسة كقضية الإمام "محمد الوشلي" مع "عامر" فى ذلك المكان ، وفى مثل ذلك اليوم ، وفي مثل تلك الساعة فسبحان من لا يزول ملكه .

وقال صاحب «أنباء الزمن» وعلى الجملة فإن الشرح يطول ويذهل العقول مما جرى من هذه الفرقة الغورية التى سلطها الله لاستئصال شأفة الطائفة العامرية وأما مدحهم فى بعض التواريخ فللجري على مدح الملوك .

وبحادثة قتل السلطان "عامر" وأخيه ختم العلامة المؤرخ "الديبع الزبيدي" كتابة «قرة العيون » وقال أظن أن سبب زوال ملكه تعرضه للأوقاف ورثاهما بقوله بعد ما رأى من الشراكسة :

أخلاي ضاع الدين من بعد عامر ... وبعد أخيه أنفع الناس للناس

فمذ فُقدوا والله والله أننا ... عن الأمن والسلوان فى غاية اليأس

حسنات السلطان "عامر" وسيئاته

كل الناس تقريباً لهم حسنات وسيئات ولعبرة التاريخ تذكرتهما ، فمن حسناته أنه كان على جانب من التدين ملازماً للتلاوة والأذكار ، كثير الصدقات ، له مآثر من مساجد ومدارس وله مشاهد فى الحروب لاسيما ضد الأجانب وكان ذا حذر وحزم. إلخ .

ومن سيئاته تعرضه للأوقاف واقتطاعه نصف غلاتها له للمكاثره مع أنه فى فضل وغنا وبذخ ، وغزوه على قبائل المعازيب والزيدية وغيرهما بتهامة ، وأخذه غلات الأوقاف أضّر بالعلماء والمتعلمين وأهل العهَد وموظفي الأوقاف حتى ابتهلوا إلى الله بالدعاء عليه . وكان في بطَانته

رجال سوء وظلم كالبعداني يتابعهم ، وشبه الشيء منجذب إليه حتى كان زوال ملكه وهلاكه باتباعه أراء "البعداني" الهوجاء. ومن سيئاته نقضه لعهود الأمير الفاضل "محمد بن الناصر" وقسوته وغلظته على الأشراف الذين خرجوا إليه إلى أكمة الزبيب مختارين ولم يفروا إلى صعدة أو غيرها مؤملين خيره ، فما لقوا إلاّ شرَّه وفرقهم فى الحبوس كما ذكر الإمام "شرف الدين" في رسالته للأمير "حسين الكردي" وكان عامر طماعاً جمع لنفسه ثروات من أرض ودور وأثاث وذخائر وذهب وفضة . ومن جهله ومخالفته للسنة تشييده للقبة الفخمة بزخارفها البالغة على قبر الولي "ابن علوان "بيفرس حتى زاد من جهل العامة إلى حد الشرك مئات السنين، وعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامه وقد سبق فى ترجمة "ابن علوان" فى سنة ٦٦٥ هـ قصيدة شاعر اليمن الزبيري في ذلك :

كذلك المجد إما رافعاً علما — أو باعثاً أمما أو هادما صنما

. . . إلخ .

نهوض "الإمام شرف الدين" لقتال الشراكسة

بعد أن أسرف الشراكسة في فظائعهم ومظالمهم بصنعاء كما سبق ، نهض الإمام شرف الدين لقتالهم واستئصال شأفتهم وطغيانهم . ففي ربيع الثانى سنة ٩٢٣ هـ نهض الإمام من حصن الظفير إلى ثلا باستدعاء من الليث الدودحي عامل السلطان عامر على ثلا فعظم على الشراكسة بصنعاء وصول الإمام إلى ثلا، فخرجوا لقتاله حتى حطوا أثقالهم في أسفل عقبة ثلا مما يلي قاع حوشان وأرسلوا إليه رسولاً على أنهم يتركونه في ثلا ويتركهم في صنعاء وطلبوا منه الاجتماع لتمام الأمر ، فنهض إلى باب ثلا وقد اجتمع لرؤيته الملأ فدنا منه الليث الدودحي وقد صار من أعيان أنصاره والمحبين له فقال له : كيف الثقة بهذه الفئة التي ما برحت تنقض العهود وتخالف أمر الملك المعبود، فالحزم في ترك العزم فمال الإمام إلى هذا الرأي الصواب ، فقال الليث الدودحي للناس : أيها الناس أن مولانا الإمام قد ثنَى عن الخروج إلى هؤلاء الأقوام فمن

أحب الجهاد معه فَعَل، ومن أراد الانفصال انفصل فأرتفع الشراكسة إلى النعيرة ، الناصرة ، وفتحوا الحرب على الإمام وأصحابه فدافعوهم وأمد الشراكسة أميرهم من صنعاء الاسكندر بعسكر عظيم بقيادة عبد الملك بن محرم العنسي . وفى خلال ذلك وصلهم خبر استيلاء السلطان سليم بايزيد العثماني على مصر وقتله لسلطانهم "قانصوه الغوري" وتمزقهم شر ممزق واستيلاء السلطان سليم على بلاد مصر والشام فسقط في أيديهم ورأوا أنهم قد ذلوا وحاق بهم سيئات ما مكروا .

فخارت عزائمهم ، ورجعوا إلى صنعاء بعد أن طلبوا من الامام رجلين فأرسل إليهم السيد "عبد الله وهّاس الحمزي" والشيخ "حسن عبد الله أسمعيل الهمداني" وتم الكلام على الصلح وعودهم صنعاء كاتمين خبرسقوط ملكهم بمصر ثم لما شاع الخبر بصنعاء لاذ أميرهم الاسكندر بالخداع والتمويه فطلع منبر جامع صنعاء وخطب للسلطان سليم وبالغ فى مدحه والثناء عليه وأظهر أنه من أتباعه وأنصاره وأراد بذلك الاحتماء من ثورة غضب الناس على هذه الفئة الظالمة التى أعْتَتَهُمْ وأخضعتهم ثم تجهز للرحيل من صنعاء . نحو «زبيد» بثلة من أصحابه وقتل بصنعاء "علي محمد البعداني" قبل مغادرتها فاغرضه قبائل جيش ومخلاف الشوانيِ فقتلوا بعض أصحابه وأنتهبوا جميع ذخائره وأمواله ونقوده وجواهره الكثيرة التى أجتحفها من بين طاهر وعمالهم والتجار وغيرهم فأستعادتها القبائل فى لحظة وأستنقذ دار الأمير عامر عبد الملك بن عبد الوهاب ونجا الاسكندر إلى زبيد أما بقية الشراكسة بصنعاء فكانت توالى غزو القبائل حول صنعاء فساقتهم الاقدار إلى بنى بهلول ، فتألبت عليهم القبائل وضربوهم ضربة قاضية ورجع بقيتهم إلى صنعاء فمال عليهم أهل صنعاء وأوغلوا فيهم قتلا وتعذيباً جزاءً بما كانوا يعملون .

وإذا جلت الذنوب وهالت
فمن العدل أن يهون الجزاء

دخول "الامام شرف الدين"

صنعاء وتهنئته

لما نكّل أهل صنعاء بالشراكسة فزعوا إلى الامام فأستدعوه لدخول صنعاء فتوجه إليها حتى حطّ في عَصر فخرج إليه أهل صنعاء بقضهم وقضيتهم فبايعوه يوم السبت ثامن شوال سنة ٩٢٣ هـ وأستقبلوه أستقبال حامي حمىَ الدين وخليفة سيد المرسلين ورفعت إليه قصائد التهاني منها قصيدة شاعِره "موسى بنى يحيى بهران الصعدي" أنشدها بأعلى صوته في منبر الامام من عصر الَى صنعاء مسافة نحو ميل . . منها :

بات سميري والبرايا هجود
بدر تجلى في ليالي السعود
ما كان أحلى سمري عنده
حتى كأني في جنان الخلود
لمقلتي في خده جنة
محفوفه بالنار ذات الوقود
يا موقد النار بقلبي متى
تطفيِ لظاها برضاب بَرود
قد كنت أولى من أراك الحمىَ
بالَرشف لوان بخيلا يجود
أو لو قضى بالعدل ما بيننا
قاضٍ وقامت لي عليه الشهود

إلى أن قال :

جاري من الجوار إمام الهدى
أكرم من زفُت إليه البنود
خليفة الرحمن فى أرضه
مبارك الوجه كريم الجدود
بَرٌ تقي من بني المصطفى
إمام حق ساعدته الجدود
قالت له الأيام إذ أقبلت
ما أحسن الوصلَ عقيب الصدود
وليست الدنيا له بغيةٌ
ولو بدت في زي خود خرود
وإنما قام لنصر الهدى
بهمة ما برحت في صعود

فــــأهلـك البـــاغــــين حـــتـى ثووا
أسـتـــبدلوا بعـــد القـصـور الـلحـــود
وأصـــبـــحـت صنعــاء من عـــجـــبــهــا
ترفـل في مـــســـتــحــسنات الـبــرود
والشـــــر ولى مـــدبرا خـــائـفـــاً
منـهـــزمــــا يقـــسم أن لا يـعـــود
فـــقل لـمـــولانـا إمـــام الـورى
أكـــرم مـن ســـارت إلـيـــه الـوفـــود
يــا شــــرف الـدين وقـــــيت الـردى
ودمت تـحـــمـي بـالحـــداد الحـــدود
لا غـــرو إن ســـدت جـمـــيـع الورى
مـــثـلك يـا بحـــر الـنـدى من يـســـود
فـضلـك مِـثلَ الشـمـس مـشـهـورة
ليس لهـــا من مـــشــبــهٍ في الوجـــود
مـــــا أحـــــد والاك إلاّ عـلـى
وأشــــرقـت أيامـــــه وهـيِ ســـود
لـو ثعـلـب كنـت له عـــــاضـــدا
قـــام على الليث بـســـيف وعـــود
. . . . الخ .

"الهادي الصغير الوزير"

في محـرم سنة ٩٢٣ هـ (تسعمـائة وثلاث وعشرين) مـات أسيراً بتعـز السيد العـلامه "الهادي بن صارم الدين إبراهيم بن محمـد بن عبد الله بن الهادي بن إبراهيم بن علي الوزير" عن ٦٨ سنة ودُفن بتعـز وكان قد أنزله السلطان "عـامر "مع غيـره من السادة الاعلام ، وكان "الهـادي" علامة كبيـراً تصدّر للتدريس ونشر العلـوم وممن أخذ عنه الامام "شرف الدين" وغيره قال في «الطبقات» كان مـحقق المحققين وله مآثر بصنعاء حسنه لما ولاْه الامير "أحمد بن الناصر" وكان هو الواسطة بينه وبين السلطان "عامر" فخرج إلى السلطان إلى «أكمة الزبيب» وأشتـرط في تسليم صنعاء شرطاً وعهودا منه أن يخرج "احمد بن الناصر" إلى «ذي مرمر» باهـله واموالـه وشرط الاهل صنعا امانا عاما وللجند بصنعا ومن يتعلق بالدوله مواثيق فنكث "عامر" بعهوده وعَجِب حيث لم يذكر "الهادي" نفسـه واهله لشرف نفسه وشهامـه قلبه فأجِله "عامر" وعظم لديه فـاحترمه وابقاه معه فى «رداع» وجبنه بتعز التى مات بها كثير منَ الاسرى السادة وكان "الهادي" فى سفِره تؤخذ عنه الفتاوى ويرضى بأقواله القاصِي والداني وألزمه "عامر"بالسفر معه

إلى جهات «زبيد» في أخر تقدُم له على الشراكســه إلى التّربَيَه وكان قد أعتذر "الهادي" بالألم فلم يعذره وسار معه مكرهاً ثم عاد من تهـامه مع "عامر" إلى «تعز» حيث توفى بها وقيل مسموماً وقبره بالاجيناد بجنب غيره من الساده جوار قبه ضريح الامام "ابراهيم بن تاج الدين" ورثاه السيد "محمد بن المرتضى بن مـحمد بن أبي الفضائل" بقصيدة منها :

أبلـغ هُديت مـقـام السـاده العلمـاء
أن (الأُجَـيـناد) حـاز العـالم العلمـا
وعـزهـم في الذي عـزت مـراتبـه
وقـد اعـز الهـدى والـدين والامـمـا
كم شـيـد الله من عـلم بـه وهدى
وكم عـن الحـق قـد تـجلّى به الـظلَمـا
وكم بـه نضـح الايمـان وارتـفـعت
به الـعلى وازاح الكـرب والغُـمـمـا
للـه مـاحـاز من فـضـل ومن همَـمـم
بهـا علـى النـجم حط الـنصل والـقـلمَـا
حُـبـر وعَى صـدره بحـرا يفـيض ومِن
أخـلاقـه الغـر آدابُ لـمن عـلمـا
بفـقـده صـارت الاكـبـاد ذائبـه
وقلّ مـن كل عـيـن أن تفـيـض دمـا
فـيـا شـمـائِلهَ صـبّي اللمـوع اسى
فـانـه ركن ديـن اللـه قـد هـلمـا
وأصـبح الـدهـر ذا هم وذا كـرب
يبكـي عليـه وقـدمـا طال مـا ابتـسـمـا
مـا كـان الأ إمـامـا عـالمـا عـلمـا
من بعـده حـبل هذا الديـن قـد قـصـمـا
الحـمـد لله نـرضى مـايُـريد ولا
نبـدى له جـرعـاً فى حـادث جَـسُـمـا
يا قـاصـداً لأزالِ لاراَتْ غـيـراً
وامطر الـله فـيـهـا الخـيـر والّنـعـمـا
أبـلغ إلـى عـز دين الـله تـسليـةً
وقل عـن المـوت من ذا عـزّاً أو سلمـا
صـبـرا فـفي الصـبـر خيـرات مـضـاعـفـه
وعـز نـفـسك يـاابن الـسـاده الكـرمـا

مــــامـــات من أنت ياابـن الشم تـخلفـــه
وخـــذ نظامـــا كـعـــذ الدر قــــد نظمـــا

ولعله ارسلها إلى ابنه بصنعاء السيد "محمد بن الهادي "

"عفيف الدين عبد الباقي"

وفي محرم سنه ٩٢٣ هـ (تسعمائة وثلاث وعشرين) توفى مفتي «تعز» وفقيهها ومُدرسها الفقيه العلامة "عفيف الدين عبد الباقي بن سليمان الطويل" .

"موسى بن زين العابدين"

وفي محرم سنة ٩٢٣ هـ (تسـعمائة وثلاث وعشريـن) أيضاً توفى مفتى «زبيد» وعـالمها الكبيـر الفقيـه العلامه "مـوسى بن زين العابدين بن أحمـد بن أبى بكر الرداد البكري الصديقي الشافعي" قـال فى النور السافر: كان بحراً من بحار العلم وجـبلا من جبال الدين رئيس أقرانه وشافعي أونه .

" تقي الدين عمر جعمان"

وفي ربيع الثانى سنة ٩٢٣ هـ (تسعمائة وثلاث وعشرين) توفيِ في بيت الفقيه بن عجيل بتهامه الفقيه العلامه الكبير الصالح "تقي الدين عمرين محمد بن أبى بكر جعمان" .

الحوادث بعد دخول الإمام صنعاء

في أول سنة ٩٢٤ هـ (تسعمائة وأربع وعشرين) أجـتمع السيد "الحسن بن عز الدين بن الحسن المـؤيدي" صاحب حصن «مـدع» و«حضر كحـلان» والأمير "محـمد بن الشويع" وبقيـة الشراكسه على حرب الامام فـقصدوا «ثلا» وفيها السيـد "عبد الله بن بحيي صـلاح" عاملاً للامـام فامـّده الامام من صنعاء بطائفـة من الجند فأنتـقض أمر الخارجين على الامـام وعاد كل منهم إلى موضعـه ثم توجه عامل «ثلا» السيـد "عبد الله" إلى الامام ومر ببلاد «حـضور» فخاطبهم بمال للجند وتقدم إلى صنعاء فـأستقبله الامام وحصل من بعض أصحابه تعديات بصنعـاء بعد «حضور» مع ما كان يبلغ الامام عنه من رضاه عن أمـور صدرت من بعض أصحابه فـأمر الامام بالقبض عليـه فوصل أخوه السيد "أحـمد بن يحيى" فأودعه الامام مع أخيه منزلاً من منازل «قـصر غمدان» وأجرى عليها الكفاية الفاضلة ثم أطلق الامام أخـاه "أحمد" ثم ثار جماعة من أصحابه وخرج السـيد "عبد الله" وأولاده وأصـحابه إلى «ذي مرمر» وفـيه بقية من أصـحاب السلطان "عامر" فأكرموه وعرض للامام مرض فطمع السيد "عبدالله" فى أخذ صنعاء

ووصل بنحو مأتي نفر إلى مسجد صلاح الدين بصنعاء وتقدم إلي باب القصر فصدّه أمير القصر وهاجمه أهل صنعاء فأراد الفرار من باب شعوب فوجده مغلقاً فرجع إلى داره فأحاط به عسكر الامام وأهل صنعاء ووقع قتال قُتل من المهاجمين أربعة وعشرون ومن أصحاب السيد "عبد الله" ثمانية وأربعون ثم أُسر هو وأولاده وبعض أصحابه وأودعوا الدار الحمراء بالقصر، . وأما "عز الدين المؤيدي" والشويع والشراكسة فعادوا لحرب ثلاً فقابلهم جند الامام ودحروهم بعد أن قتلوا منهم نحو خمسة وعشرين ثم أضمحلَ أمرهم .

أول غزوة غزاها "المطهر بن الامام"

في سنة ٩٢٤ هـ (تسعمائة وأربع وعشرين) تحرك الشيخ "عامر بن عبد الملك عبد الوهاب الطاهري" على ذمار ثم سار «رداع» وحاصر بها أبن عمه "الشيخ محمد بن أحمد بن عامر بن عبد الوهاب" في حصن «رداع» . فجهز الامام ولده المطهر وعمره ست عشرة سنةً وهى أول غزوة غزاها فدخل ذمار بعسكر جرار ثم سار إلى رداع لتخليص "محمد بن أحمد الطاهري" فصالحه "عامر بن عبد الملك" على يد "ابن النظاري" وفارق «رداع» قبل وصول "المطهر" إليها ، ولما دخلها "المطهر" قرر أمورها وتركها بيد "أحمد بن محمد الطاهري "وعهّده ورجع إلى صنعاء ظافراً .

فتح الامام لحصن كوكبان وغيره

وفيها تسلم الامام حصن «القص» وحصن «خليل» ثم توجه إلى حصن «كوكبان شبام» فأستلمه من "عبد اللطيف الحجاجي "وكان فيه من أيام السلطان "عامر" فدخله الامام بغير قتال فى ٢٠ شوال سنة ٩٢٤ هـ (تسعمائة وأربع وعشرين) ومما قيل فى تَهنِئة :

فتح الله بالهنا كوكبانا
لامام أحيى الهدى وأبانا
أن خير الفتوح ما سكّن الشر
وأطغى الحروب والنيرانا
بارك الله للامام وهنّاه
وبواه فى المعالى مكانا
هكذا هكذا والا فلا لا
تَستردِ الامانة الايمانا
شرف الدين أنت للدين عين
ولها كنت بالرضىَ إنسانا
يا ابن شمس الهدى الاتم خِصالاً
وكمالا ونجده وامانا

وكان في حصن «بيت عز» ببلاد «كوكبان» الأمير "عبد الله بن ناصر الحمزي" فطلب من الامام ولاية كوكبان وكان قد تولاه أيام آل طاهر فلم يسعده الامام ففر إلى« حصن بُكز» منابذاً فاستفتح الامام حصن «بيت» وأخرب حصنه «عز » ورجع إلى كوكبان فى ٢٥ شوال وقال السيد" محمد بن المرتضى" .

ظفرت برايتي نصر وعز
بإخراب المخالف بيت عِزّ
لقد أصلحت أفساد الاعادي
وقد وقعت ظباك على المَحزّ
فأصبح للورى مثلا عجيبا
كتمثيل النجاة سعيد كرز
محبك خادم لك بالتهانى
وَخصمك فى المآتِم والتعزِى
بقيت تزيد دين الحق رفعا
وتحمِي الحق من خَفضٍ وهمز
وتمطر من يؤملك الايادي
ومزن بديك من ذهب وخز
وتجمع شمل أهل البيت جمعاً
يسرٍّ فيه هادبي وحمزي

ثم سار والامام إلى حصن «بيت ردَم » فاستفتحه وكان بيد السلاطين السلميين وهو من المعاقل المشهوره ثم رجع صنعاء ظافرا .

"أحمد بن علي بن الهادي"

فى رجب سنة ٩٢٤ هـ (تسعمائة وأربع وعشرين) توفى بـ «قفل مدوم» من بلاد الشرف السيد العلامه الكامل المفضال "أحمد بن علي بن الهادي بن علي بن سليمان بن أحمد بن الحسن زُغيب بن علي بن عبد الله زغيب أيضاً ابن أحمد بن يحيى بن القاسم بن يوسف الداعي بن يحيى بن الناصر أحمد بن الامام الهادىِ يحيى بن الحسن" عن ٤٧ سنة من مولده . وكان من أكابر العلماء أخذ العلوم بـ«جبَل الاهنوم» ثم بصنعاء مدة ١٤ سنة عن أكابر الشيوخ ثم في بلاد «حجة» وغيرها درساً وهو من حجج الله ترجمه "أبو الرجال" فى «مطلع البدور» و"يحيى بن الحسين" في «المستطاب» ومن تلامذته الاعلام الفقيه "سراج الدين نسر ابن أحمد بن نسر

الاهنومي" والسيد "أحمد بن عبد الله بن الـهادي بن إبراهيم الوزير" والفقيه "سعدني صلاح الحـجي" من «مبيـن» والقاضي "علي بن محـمد بن سليـمان بن محـمد بن الحسن النحـوي" وغيرهم وقد جـمع بين العلم والعمل والكرم كـان كعبة القـاصدين وكهف الوافدين والمسترشدين .

"ناصر بن يحيى بن محمد"

وفي جماد الأولى سنة ٩٢٤ هـ (تسعمائة وأربع وعشرين) توفى بصنعاء السيد العلامة "ناصر بن يحيى بن مـحمد بن المهدي بن علي بن المرتضى ابن المـفضل بن منصور بن العفيف الوزير" كان من أفاضل الاعـلام تولى للامام "شرف الدين" أعمال وقبض واجبات «بلاد شظب» و«الاهنوم» و«حجور» وغيرها وحضر الامام للصلاة على جنازته وتشييعه وبعده مات أولاده وأنقطع عقبه .

الاستيلاء على بلاد المؤيدي

في سنة ٩٢٥ هـ (تسعـمائة وخمس وعشـرين) توجه الامام من صنعاء لقـبض البلاد التي كانت تحـت السيد "الحـسن بن عز الدين بن الحسن الـمؤيدي" فأسـتولى على «قارِن »و «كحلان تاج الدين» وبلاد «الطَّرف» وأقام الحصار على حصن «مدَع» .

وفي جمـاد الآخرة سنة ٩٤٥ هـ (تسعـمائة وخمـس وأربعين) خرج من صنعـاء إمام مسجد الفليحي السـيد "أحمد بن محمد بن الهادي بن سليـمان ابن يحيى بن أحمد" داعياً إلى نفـسه قال السيد "محـمد بن إبراهيم بن المفضل" في «سيـرة الامام» : كان امام مسجد الفليـحي ليس بطعان ولاضراب فخرج داعياً باغيـاً وكان قد أخذ في علوم القرآن وأختـصر «الكشاف » ونقلت عنه أقوال منها : جـواز نكاح فوق الاربع ، وقال صاحب «أبناء الزمن» : ثم أنتـقل من «الخيمـة» إلى «جبل اللوز» بـ «خولان» فـأسره عامل الامام في محل يعـرف بـ «محالين» وأرسل به إلى الامام بصنعاء فـسجنه بالقصر ثم تاب وندم فأطلقه ولم يعيش بعد ذلك إلا أياماً قلائل وفـيها نقض العهد "أحمد بن محمد بن عامر بن طاهر" وغزا إلى ذمار وظن أن الامام في شغل بحرب بني المؤيدي فوصل إلى «ذمار» في مائة فارس وجنود فلما رجع الامام إلى صنعاء من المغارب شن عليه الغارات فالتجأ إلى شيخ "بني مسلم" وكان من انصار الامام فأخذ له الامان .

وفيها خـرج الامام لصلاة الاستسقاء وقد أصـاب الناس جدب عظيم فوقع المطر في ذلك اليوم وعم أكثر البلاد .

مَسير "المطهر" إلى جبل «تيس» وغيره

في محرم سنة ٩٢٦ هـ (تسعمائة وست وعشرين) سار" المطهر بن الامام" إلى جبل «تيس» و«المغرب» فأستلم حصونهـا «كالاحجل والوقيعين» وأصلح أمورهم ورجع في ربيع الأول وهناه القاضى "موسى بن يحيى بهران "بقصده منها :

ضحكت فرحةً مدينة سام — **وسما قدرها على كل سامي**

وتناهى في الحسن عمدان حتى — **خلته من قصور دار السلام**

وتغنت أطيارها من سرور — **بقدوم المطهر بن الامام**

الفتى الماجد المهام الذى فاق — **على كل ماجد وهمام**

الذي أن سطا فليث وأن جاد — **فغيث على البرية هامي**

إلخ . . .

عمارة «مسجد المدرسة » و «قصر ذمار»

وفتح «ذي مرمر» وقراءة البحر

في سنة ٩٢٦ هـ (تسعمائة وست وعشرين) كان إبتداء عمارة الأزهر المعروف بالمدرسة بصنعاء وكان مسجدا صغيراً من السيئات يقال له الأزهر أمر ببنائه بصنعاء الصحابي "سعد بن أبي وقّاص" وكان عظماء الصحابه يعثون في عمارة مساجد على نفقاتهم في البلاد الاسلامية ووقف الامام بجانب المدرسة مقبرة قبر فيها أعلام كالسيد "محمد بن عبد الله الحوثي" والسيد "علي بن عبد الله بن المطهر" و "إبراهيم بن الامام شرف الدين" ثم السيد "زيد بن محمد بن الحسن بن القاسم" والسيد "محمد بن اسمعيل الامير" وغيرهم .

وفيها كانت عمارة قصر «مدينة ذمار» واستلام الامام لحصن «ذي مرمر» وكانت البشرى لفتحه ونظمت أشعار التهاني . . . فمن قصيدة للفقيه "محمد ناصر" :

ثم فتح الفتوح والله أكبر — **بمسمى محروس حصن ذِ مَرمَر**

كان تاريخه لست وعشرين — **وتسع من المئين تُهجَّر**

وفيها كان ابتداء سماع القاضي العلامة "محمد بن عبد الله رادع" وغيرهم على الامام كتاب «البحر الزخا»ر من أول كتاب الاحكام ثم إلى آخر الكتاب وكانت قراءة بحث وتحقيق وتدقيق وكان "رادع" قال أبياتاً في طلب القراءة منها:

لك في مجدك المقام الخطير
كل باع مما حويت قصير
قد قضى منك سؤاله كل راج
ولنا مطلب لديك يسير
وهو من أعظم المطالب نفعاً
فتفضل به فأنت جدير

وفيات

"محمد بن أحمد مظفر"

وفيها مات القاضي العلامة "محمد بن أحمد بن العلامة يحيى بن أحمد بن علي بن مظفر الحمدي " مؤلف «البستان شرح البيان» لجده "يحيى" وهو شرح حافل و«الترجمان شرح بسَّامة صارم الدين الوزير» وقبره بجنب قبر جده "يحيى" بهجره «حمده عيال سريح » كما سبق في وفاة جده سنة ٨٧٥ هـ .

أنباء عام ٩٢٧ هـ

(تسعمائة وسبعة وعشرون)

مُناجزة الامام للحمزات بـ "بلاد عمران"

في سنة ٩٢٧ هـ (تسعمائة وسبع وعشرين) خرج الامام وولده "المطهر" إلى «بلاد عمران» لمناجزة الاشراف الحمزات ووقع قتال ثم أنهزمت الاشراف إلى مدينة «عمران» فحاصرهم الامام بها وكان" آل عَرْكَا " منهم من المنحرفين عن الامام . و"آل جوده" منهم من أصحاب الامام ، وبعد انحصارهم بـ «عمران» استسلم إلى الامام "الشريف حميضه" و"الشريف فارع" ومن لديهم من بقية الشراكسة فتسلم سلاحهم وخيلهم وسجنهم بـ «ثلا» وأما "الشريف الشويع" فكانت له فرس من جياد الخيل تسمى «الخَطْلا» فدنا بها من «سور عمران» وزجرها فوثبت به إلى خارج السور ونجا على ظهرها ورجع بعد أيام بقية أخوته وأسرته يطلبون هدنة من الامام لمدة ستة أشهر ورجع صنعاء .

الوفيات

"علي بن شمس الدين بن المهدي"

في سنة ٩٢٧ هـ (تسعمائة وسبع وعشرين) مات بصنعاء صنو الامام السيد العلامة "علي بن شمس الدين بن الامـام المهدي أحمـد بن يحيى بن المرتضى" وكـان عالماً فاضـلاً له وجاهه ومكانه وله مسجد السيد علي بالروضة ورثاه جماعة ومن مرثاة "موسى بهران" :

بَـرٌ تـقـي نـقـي فـاضـل ورع
جليسه الذكر والآيات والسُور

مـا زال يـحـتـقـر الدنيـا وزهرتـهـا
حـتـى تسـاوى لديه الـدر والحـجـر

لا فـارقـت رحـمـة الـرحـمـن مـضـجـعـه
ولا عـداه ملـث القـطر منهـمـر

أنباء ٩٢٨هـ

(تسعمائة وثمان وعشرين)

وفي سنه ٩٢٨ هـ (تسعمائة وثمان وعشرين) خرج المطهر إلى عمران فأخذها عنوه بعد قتال .

وفيها خرج الامام لحصار حصن مُدِع وقال ابيـات شاركة فى أخرها السيد "محمد بن المرتضى" ومنها :

ليـا لنـا بالسلْف سـلف المـصـانع
مـهب الريـاح العـاصـفـات الزعـازع

رُعـيـتِ وان ضـاقت بـحـمـدك انفس
فـمـا الـحـمـد في ذات الالـه بضـائع

اقـمنا بـهـا خـمـسـاً وعـشـرين لـيلةً
وغـادرتـنـا فـي كـل دان وشـاسـع

بـمـارب ثم الـجـوف ثم تـلمُصِ
وقـائع كـانـت يالهـا مـن وقـائع

ومـا قـارن لاقـدسّ الله قـارنا
قـرارةُ أسْـد مـالهـا من منازع

واجابها القاضي "موسى بن يحيى بهران" بقصيده منها :

يرى الجـهـد فى ذات المـهـيـمن لذةً
فـيـسـعى لهـا سعِي المحب المسارع

وفي مُـدَع قـد صـال صـولة فـاتك
واوقـع بالاعـداء شـر وقـائع
كـذا قـارن قـد قـارن الـسوء اهـله
وذكـرهـم مـستـسلفـات الـودائع
وطهـرّ مـولانا المـطهـر ارضـهـم
من الفـسق والـمـستـقـبحـات الشـنائع
ومن قـبلـه مـاكـان من امـر فـارع
وهـل في بـني الـمنـصـور نـد لفـارع

إلخ . . . .

فتح « قاهرة عاثين » والصلح بين "الامام" و"الحمزات" و"ابن الانف"

وفي سنه ٩٢٩ هـ (تسعمائة وتسع وعشريـن) فتح جند الامام حصن «قـاهرة عاثين» ببلاد «ذمار» وهو من الحصون المنيعـه وكان بأيدى الحمزات "آل المهدي بن داود بن قاسم بن حـمزه بن سليـمان الحمـزي" ومنهم الاميـر الجليل "داود بن محـمد" من أصحاب الامـام والمحرضـين له على فتحه وكـان المطهر في ذمار فخـرج إلى شعب المصاقره ثم وصل إلى حصن القاهرة فاعجب به وقال القاضي "موسى بهران" قصيده منها :

طـالت عـلـى اترابـهـا الـقـاهـرة
واصـبـحت مـثل اسـمـهـا قـاهره
وزادهـا الـلـه إلـى عـزهـا
عـزاً وأنـواراً لـهـا ظـاهـرة
لـمـا طـاعت الامـام الهـدى
عـين عـيـون الـعـتـره الطـاهرة

وفيهـا كان الصلح بين "الامام" و"الشـريف الشويع" ومن اليه مده عـشرين سنين وجعل لهم الامام «بلاد البون» و«عيال يزيد» وتحرر بذلك محرر حضره الاعيان واطلق "الامام" "الشريف فارع" واخوته من السجن .

وفيهـا كان الصلح بين "الامام" و"الداعي ابن الانف" وهو" حـسين بن ادريس بن حسـين عبـد الله بن على بن محـمد ابن حـاتم بن حسـين" بعد أن اخذ "الـمطهر" المـصنعه وكـان الصلح على أن "الداعي" يسلم «حـصن الحـجار» و«نصف الفـيل» و«السيـاسه» فى «بلاد همدان» جـميعهـا للامام ويسلم "الامام" «حـصن فِدَه» بوادي

ضهر لمده عشرين سنين .

فساد "ذبيان السفياني" وقتله

وفيها فر "ذبيان بن عبد الله سالم السيفاني" احد قوّاد الامام وكان فارسا شجاعاً فقاده الشيطان بزمامه الحق بالزهر من الجوف وحسَّن للاشراف مكاتبه "عبد الملك بن طاهر" فلقي آذانا واعيه ، ثم سار بنفسه الى "عبد الملك" فاغراه فعبَّأ جيوشه وقدم على «حصن حَب» بجهات «اب» فوقع بينه وبين من فيه قتال قُتل فيه "ذبيان" فقال "موسى بهران" قصيده اولها :

الله اكبر أردى الله ذبيانا
وهد منه إلهُ العرش اركانا

... الخ

ووصل "عبد الملك بن محمد الطاهر" إلى «الحقل» ببلاد «يريم» فتوجه اليه "المطهر" ففر "عبد الملك" ووصل "محمد بن أحمد بن عامر" من «رداع» إلى "المطهر" تائباً مستسلما فاحسن اليه "المطهر" واعاده بلاده .

الوفيات

"الحسن بن عز الدين"

وفي شعبان توفى الامام "الحسن بن عز الدين المؤيد" كما سبق ذكره سنه ٩٠٠ هـ ودعا بعده ابنه "مجد الدين" .

وفيها بايع للامام "شرف الدين السيد المرتضى بن قاسم ابراهيم بن محمد بن الهادي بن ابراهيم المؤيدي اليحيوي" والقاضي "محمد بن أحمد مرغم" واولادهما وكانوا موالين "للحسن بن عز الدين" .

أنباء ٩٣٠ هـ (تسعمائة وثلاثين)

دعوة "مجد الدين" واستئصال "الامام" للإسماعيليه

فيها تحرك الإمام "مجد الدين بن الحسن بن عز الدين" بعد دعوته فتقدم من هجرة «فللة» الى حصن «كحلان» ووصلت منه رسالة إلى الامام فاجاب عنها برساله ودخل في طاعة "مجد الدين" بلاد «السودة» و «شظب» و «كحلان» وأقر بعمارة «الشنظوف» بين «كحلان» و«الاشمور»

وفيها تحرك الامام لحرب الاسماعيليه فكان اول من وصل منهم "احمد بن صالح

الوهبي" صاحب «ريعان همدان» باصحابه طائعين تائبين عن جميع المفاسد وتقدم المطهر إلى المنقّب همدان وقد أجتمع فيه الاسماعيليه وامدهم "الداعي ابن الانف" باحد اولاده واجناده فاحاطت الجنود الاماميه بحصن "المنقب" ووقع تنازل وطلع جند الامام فرحب جانب الحصن وفتحوه قمرا ثم فتح الامام «بيت غُفر» وحصن «فده» وقال "موسى بهران" من قصيده :

نيل المنى وارتفاع الشان والرتب
فى الجد والجَد لا في اللهو واللعب
فعقب الجيش عن أهل المنقب كي
يدلو لهم كل مكتوم ومحتجب
كذاك في بيت غُفر قد جرى عجب
فاعجب لطفل لديهم كيف لم يشب
وان رأيت ديار القوم خاوية
على العروش فدَوّنْ ذاك في الكتب
قد اصبحت قدرة لله حامده
على تخلصها من ملة الجرب

وسار الامام لعيد الفطر بـ "ثلا" ثم رجع لخراب بقيه بلاد "الباطينة" ولما وصل إلى وادي "ضهر" تلقاه "الداعي ابن الانف "بالطاعه ووعد انه سيسلم القلعة وينتقل إلى «حراز» وطلب المهله وبعد مضيها لم يف فغزاهم المطهر وملك القلعه .

الوفيات

"أحمد عمر المزجد الزبيدي"

في صفر سنه ٩٣٠ هـ (تسعمائة وثلاثين) توفى بزبيد شيخ الاسلام القاضي العلامه "احمد بن عمر بن محمد المزجد الشافعي الزبيدي" عن ٨٣ سنه من مولده قال فى النور السافر: كان على غايه من التمكن من العلوم الاسلاميه ومن مصنفاته "العباب المحيط بمعظم نصوص الشافعى والاصحاب" . ومن شعره :

قلت للفقر اين انت مقيم
قال لى في محابر العلماء
أن بيني وبينهنّ اخاءً
وعزيز علي قطع الاخاء

وطال الثناء عليه ومحبته لملازمة العزله والعباده وتلاوة القرآن .

" محمد بحرق الحضرمي"

وفي شعبان سنه ٩٣٠ هـ (تسعمائة وثلاثين) توفى الشيخ العلامه النحوي "محمد بن عمر بن مبارك بن عبد الله بن علي بحرق الحميري الحضري الشافعي" عن ستين سنه من مولده وكان من العلماء الراسخين . ومن تصانيفه «الاسرار النبويه فى اختصار الاذكار النبويه» و«مختصر الترغيب والترهيب للمنذري» و«الحسام المسلول على منتقصي اصحاب الرسول» و«النبذه المختصرة فى معرفه الخصال المكفّره للذنوب المتقدمه والمتاخره» . و«شرح الملحق للحرير المشهور بالبحرق» و« شرح لاميه ابن مالك» و«نشر القلم مختصر شرح لاميه العجم» . وتصانيفه وشعره كثيره فى «البدر السافر» .

أنباء ٩٣١ هـ
(تسعمائة وواحد وثلاثين)
فتح "الامام" و"المطهر" لـ «طيبه»

في سنه ٩٣١هـ (تسعمائة وواحد وثلاثين) خرج "الامام" و"المطهر" لحصار «قلعه الاسماعيليه» المعروفه الان بـ «طيبه» بـ «وادي ضهر» واستطال الحصار للقلعه الداخليه المعروفه بـ «الكُمهّ» ونصبت عليها المجنيقات والزحافات وبعد القتال طلب الاسماعيليهُ الامان فامّنهم الامام ودخل اليها فى ١٢ جمادى الاولى سنه٩٣١ هـ ثم عمّرها المطهر ابلغ عماره بالدور والقلاع والجامع والبرك وبعد مده ندم على عمارتها .

وفيها كتب الامام رسالة إلى صاحب «الشحر» واهدى له ثلاثه افراس من جياده وغيرها وقد بلغه حسن سيرته في رعيته ومواظبته على الواجبات ، وفيها قبض المطهر على السيد "عبد الله بن يحي الهادي" وقد رام الخلاف وسجن في حصن «الفص» .

وفيها استفتح الامام بقيه حصون «بني مطر» .

وفيها توجه المطهر لفتح حصن «حضور الشيخ بالمصانع » في شوال ومما قيل من الاشعار قصيده منها :

قل للخليفه من محب وامق
هنيت يازاكي البريه عنصرا

فَتْح الذي جلّل الغمام غدت له
تاجاً وثوباً يرتديه ومئزرا

اعني حضورا فهو أرفع شامخ
قد نو له في وعره شُمُّ الذرى

الوفيات

"محمد بن أحمد مرغم"

في رجب سنه ٩٣١ هـ (تسعمائة وواحد وثلاثين) توفى بـ «الابناء بالسر» القاضي الحافظ الكبير "محمد بن أحمد بن محمد مرغم "عن ٩٥ سنةً من مولده وكان من اكابر الاعلام وله شهرة ، بايع الامام "عز الدين" ثم ولده "الحسن ثم أتصل بالسلطان "عامر" بصنعاء وكانت له وجاهه كبيره لديه ثم بايع الامام "شرف الدين" ومن شيوخه القاضي "عبد الله بن محمد النجري" كان يذهب اليه من الابناء إلى قريه القابل يوم السبت ويعود يوم الخميس ومن اجلّ تلاميذة الفقيه "محمد بن حسن حميد" صاحب « الفتح » وشرحة والشيخ "عبد الهادي السودي الصوفي "ولما طال بقاءه بالإبناء كتب اليه السودي يستنهضه الى صنعاء للتدريس بها :

حاشاك ان تبقى مُعنًّى دائما
ما بين حرّاث وسانِ ساقي

يُملي عليك حدا بهائمه التي
تملي الدلاء بمائهما الدفاق

فأجابه مرغم بأبيات منها :

كَلِم أتت من طيب الاعراق
صافي الوداد مهذب الاخلاق

اهلي وأولادي ومالي دائماً
قد أوثقوني في أشد وثاق

وممن رثاه تلميذه ابن عقبه بأبيات منها:

محمد القاضي ابن مرغمٍ الذي
أقمت زمانا عنده فحباني

إمام علوم الاجتهاد سميدع
الفريقين من عرب وعجم لسان

ودفن بمشهد له بالابناء بالسر بجنب قبر القاضي العلامة "يحيى بن أحمد بن علي مرغم" شارح «البحر» لشيخه "المهدي أحمد بن يحيي " ووالده هو القاضي العلامة "أحمد بن علي بن مرغم" يقال له "البغدادي" و"الشيرازي" قال في ترجمته في «المستطاب» :

سكن «شبام» وعاصر الامام الناصر" صلاح الدين محمد بن علي" وله مؤلفات منها "شرح الأربعين السيلقيه" وأسمع عليه الفقيه "يوسف بن أحمد بن عثمان" وقبره

بـ«شبام» .

قال في «المستطاب» : ووقع الاختلاف في نسـبهم فقال "ابن أبي النجم الصعدي" هم أشراف فاطميون حسنيون .

ولم يظهر ذلك في شيء من المشجرات ، والعلماء منهم لا يتسمون بالاشراف وإنما يقال لهم القـاضي أو الفقـيه أو الشيخ وكـذلك في ألواح قبورهم ، ومـنهم في القرن الحادي عشـر الفقيه العلامة "أحـمد بن يحيي مرغم الصنعاني" من العلمـاء الفضلاء سكن صنعاء أيام الاتراك وله التـعليق على «شرح الأزهار» و«ابن مفتـاح» فى مجلدين وكان يتجر طلبا للحلال وقبره بجنب قبر القاضي "يحيى بن صالح السحولي" مشهور وأهل بيته من العلماء ولهم خزائن كتب قد فـاتت وبقي منها قدر مائه مجلد ويقال أنها وقف ذرية ، ومنهم الفقيه الـعالم الزاهد "أحمد مرغم "سكن صعده حـاكماً بها ينفق على نفسه وأولاده من كديده بالخيـاطه وأوصله بعض ولاة الامام في زمنه بعشره أزبود حنطه فردها مع حاجته قال صاحب «المستطاب» : وهذا هو الفضل الكبير .

"المرتضى بن القاسم"

وفي شعـبان سنة ٩٣١ هـ (تـسعمـائة وواحد وثلاثين) تـوفى بصنعاء السـيد العـلامة "المـرتضى بن قاسم بن إبراهيم بن المـؤيد ابن أحمـد القطابري اليـحيوي" قـال في «الطبقات» : كان أماما عظيماً منطقياً متـفننا وقبره في «خزيمه» جنب قبر القاضي "عبد الله بن سعيد الحوالي" .

وفي سنة ٩٣٢ هـ (تسـعـمـائة واثنين وثلاثين) تسلم الامـام «حـصن كنن» و«حـصن الكميم» وغيرها .

وفي رمضـان أمر بضرب الدراهم المتـوكليه بـ «قصـر غمدان» صنعاء فـجعل وزن الدرهم من الفضة الخالصة نصف قفله ثمانية قراريط .

وفيها وقع فى صنعاء ومخاليفها وباء حُمَّى وموت ، مات به كثير من العلماء والاعيان منهم حاكم الامام القاضي "محمد بن حسن بن علي النحوي " ، وخرجت دود صغار سود أكلت الزرع والخضروات .

أطماع العثمانيين في اليمن

في سنة ٩٣٢ هـ (تسعمائة واثنين وثلاثين) قدم الباشا "سليمان" في أربعة آلاف من الجنود بولاية من السلطان "سليمان بن سليم القانوني" على الحجاز واليمن وأمرهم بمحاربة الافرنج في البحر والسواحل الهندية وبعد وصوله «جده» عاث الجند فيها ونهبوا أسواقها وأنقطعت الميره عن «جده» و«مكه» ووقع القحط الشديد حتى كان الناس يضربون المثل بقحط "سليمان " في الحجاز وكان خراج «مكه» يقسم بين السلطان وأشراف «مكه» وأستوعبه "سليمان باشا" هذا العام وكان مبلغه نحو تسعين الف دينار فى ذلك العام . وبعد أنقضاء الحج توجه "سليمان باشا" إلى «زبيد» وفيها من قبل السلطان "الباشا مصطفى" والامير" أسكندر" فحصل بينهم اختلاف كبير وسار "مصطفى" إلى عدن وأنفرد "سليمان "بزبيد فاستباحها وأكثر الفساد بها وتبع "مصطفى باشا" إلى عدن فقتله فقام بثأره أحد أقاربه فقتل "سليمان باشا" وجماعة من أتباعه وعظم شأن ذلك الثأر فسقاه بعض حسدته سما فقتله فقام بأمر «زبيد» "أسكندر الشركسي" إلى أن مات .

وفيات

"عبد الهادي السودي"

في سنة ٩٣٢ هـ (تسعمائة واثنين وثلاثين) توفيِ بـ «تعز» الشيخ العلامه "عبد الهادي بن محمد بن إبراهيم بن محمد السودي التعزي" المتصوف الشاعر عن نيف وستين سنة من مولده ، وأصله كما في «مطلع البدور » و«المستطاب» من «بني سود» بجهة القناوص وأخذ العلم بصنعاء ومن أجلّ مشائخه "محمد بن أحمد مرغم "وغيره وله تلاميذ أجلاء بصنعاء وقال الشوكاني: نشأ بصنعاء وقرأ بها ثم لحقته جذبةٌ فخرج هائماً من صنعاء وسكن «تعز» وذكر "الامام شرف الدين" : أنه إنما حصل له الهيام بسبب كثرة أكله للقات وأشعاره كثيرة وله ترجمة مطوله في «النور السافر» وقال فيها أنه منسوب إلى «سودة شظب» والارجح الاول ومن شعره في التصوف :

كيف حاروا فيك وأعجبا — يا منى سمعي ويا بصري
أنت لا تخفى على أحد — غير أعمى الفكر والبصر
حيرة عمت وأي فتى — رام عرفان ولم يحر

ومنه :

لا وقـــد مـنك مــــعــــتـــــدلِ
عـن غـــــرامـي فــــيـك لـم أمـل
لـيـس لـي عـطـف عـلـى أحــــــد
لا ولا مـــــيـــــل إلـى بـــدل
بـك يـاســــؤ لـي ظـفـــرت فـلـم
الـتـــــفـت لــلـدار والـطـلـل

ومنه :

عـــــاذ لـي فـي الـحـب أو خـطـره
لـسـت من لـيـلـي ولاســــمــــره
أنـا فـي وادٍ أظـنـك مـــــا
قـلت فـى الانيـــاء من شــجـــره
لا تـطـل فـــيـــه الـمـــلام إلـى
أن تـذوق الـحـلـو مـن ثـمـــــره
يـا حـلـول الـشـــعـب مـن أضـم
أنـشـــقـــوني الـنـشـــر من زهـره

وقبره مشهور بجنب قبته بتعز .

أنباء ٩٣٣ هـ

(تسعمائة وثلاث وثلاثين)

وفي سنة ٩٣٣ هـ أستولى أصحاب الامام على حصن «بني عشب» ثم «جميمة بني الذواد» وبلاد «لاعه»

قضاء الاتراك على "عبد الملك بن محمد الطاهرى"

وفيها خرجت من زبيد طائفة من الشراكسة والاتراك الى موزع وكان في حوزة صاحب «تعز» "عبد الملك ابن محمد الطاهري" فقصدهم الى «موزع» وقتل منهم جماعة وانهزم بقيتهم الى زبيد فغضب اميرهم وتوجه بهم الى تعز وخرج "عبد الملك" لقتالهم فانهزم الى «حصن مصرع» المنيع ونقل اليه اهله وامواله فدخل الاتراك «تعز» وخرجوا لمقاتله "عبد الملك" الى مصر ، واعانهم من اقاربه "طاهر بن عمر بن طاهر" وانضم اليه ابن عمه "محمد ابن احمد بن طاهر" وقبضا «المقرانه» و«حيفا» و«دميا» ولما اشتد الحصار على "عبد الملك" فى «مصرح» ونفد ما عنده اخرج اهله وذخائره من طريق للحصن لا يعرفها غيره وتوجه الى "الشيخ الغيلاني" نائبه على بعض الحصون فغدر به وارسل للمحاصرين له بمصرح فاسروه وتوجهوا به وباهله الى اميرهم وهو ببلاد «خبان» فضرب عنقه وسار حريمه واولاده في اضيق حال منهم

زوجته "عـائشة بنت الملك المنصور عـبد الوهاب" اخت "عامـر" فسبحان الـمعز المذل القادر ولمـا بلغ الى «ذمار» وصنعاء انتصار الاتراك بتـعز داخلهم الرعب والفشل فوصل "المطهر بن الامام" من «ثلا» بخيله ورجله الى صنعاء فسكنت روعة اهلها .

الطاعون بصنعاء وغيرها

وبناء المطاهير

في اول شعبـان سنة ٩٣٣ هـ (تسعمـائة ثلاث وثلاثين) وقع الطاعون بصنعاء وجـهاتها فهلك خلائق لا يُحـصَون ولقد كان يخـرج فى اليوم الواحد من صنعاء اكـثر من مائة جنازه وفي اخر يوم من رمضان خرج سبع عشـرة مائة جنازة وفي يوم العيد مثلها وثانى العيد مثلها ولم يبق فـى صنعاء الا القليل وغلقت الابواب واعشبت الطرق وتُرك بعض الامـوات بلا دفن وخلت البيـوت الكثيـرة من مـلاك فجـعلت مقـاشيم(١) لمطاهيـر المساجد التى أُحدثت قريبا وكانت المساجد بدون مطاهير وانما يتوضأ الناس في بيوتهم ويخرجون للصلاة فى المساجد واول مطاهير أُحدثت للجامع الكبير ،

وممن توفـى بهذا الطاعون "ابـراهيم بن الامام شرف الـدين" ودفن جنوبي مسـجد المدرسة بصنعاء ، والسيد العلامة "عبد الله بن احمد بن ابراهيم بن محمد بن عبد الله الوزير" وعمره ٣٨ سنة وكان سـيداً جليلا من اكابر اصحاب الامام ، والسيـد "محمد بن يحيى بن المرتضى بن علي بن ابي الفضائل" . والسيد العلامة "محمد بن عبد الله بن محمد بن احمد بن الهادي بن الامام يحيى بن حمزة الحُسَيني" كان اليه اعمال بلاد «ذمار» و«عنس» و«جـهران» و«ضـوران» وغيرها وهـو من مشامخ القـاضي "علي بن احمد راوع" وغـيره ، والسيد العلامـة "المنتصر بن يحيى" من رجـال الامام "شرف الدين "وهو شقيق "ناصر بن يـحيى" المتقدم وقرأ على الفقـيه "علي بن زيد" وغيره وتولى للامام واجـبات بلاد «الظاهر»، والعلامـة "بشر بن احمـد بن بشر الاهنومي " وكان قد شرع في شرح «الاثمار »، والقاضي "احـمد بن محمد بن ابراهيم الساودي" (بسـين ودال مهـملتين) وكـان من العلمـاء العاملين الحـافظين للقـرآن وله ترجمـة بالمسـتطاب وهو في ثمانـين سنة والقاضي" صـلاح بن سَنَد الحجي" حـاكم السوده للامام والسيـد "احمد بن يحيى بن صلاح بن مـحمد بن ابي الفضائل "وكـان علامة وقبره بـمحاريق صنعاء جنوبها .

---

(١) جمع مقشامة. . وهي أرض موقوفة لمسجد بجوارها وتزرع بالخضار والفواكه

أنباء ٩٣٤هـ

(تسعمائة وأربع وثلاثين)

وفي سنة ٩٣٤ هـ (تسعمائة وأربع وثلاثين) رجع الامام من «ذي مرمر» إلى صنعاء وجهز ولده المطهر إلى الجهات الجنوبية فمر من بلاد اليمانيه خولان وحِصْنَي «كنن» و «الكميم» وقرر أمورها وأخضع المتغلبين وسار إلى «معبر» وبلاد «هداد» ودوخها ثم سار إلى «بنى ظبيان» وأخضعهم وسار إلى بلاد بنى طاهر ومر «بقرية عراس» بريم وقبض زعيم الاسماعيلية "علي بن جعفر" الذي كان في «وادي ضهر» فأرسله الى والده في صنعاء فأودعه السجن ، ولما إقترب من بلاد «بني طاهر» وكان فيها طائفة من الشراكسة والأمير "عمر بن طاهر" وله بعض نفوذ أرسلت الشراكسة إلى المطهر تستحثه وتقدم له طاعتها فأرسل بعض رجاله لاستلام المقرانه عاصمة بنيِ طاهر برادع فقبض عليهم عامل بني طاهر وسجنهم فثارت الشراكسه على العامل وأستنقذت رجال المطهر فجد المطهر فى سيره وأندفع حتى دخل «المقرانه» وأستولى على ما فيها من الأسلحة والذخائر والأشياء الثمينة والتحف التى جمعت من خزائن الملوك السابقين كأنية ذهب وفضة إلخ وما جمعوه من كتب ، وحَمَل على ما فيِ جمل أبواب المقرانه وكانت فى غاية الصنعه المتقنه ويقال أن" عامر" نقل بعضها من «ظفار الظاهر» فردها "المطهر" إلى «ظفار » وإلى «حصن الظفير» .

حروب «خولان»

وجرأة المطهر الفظيعة

ولما رجع "المطهر" إلى والده وافته الاخبار بتمرد قبائل «خولان الطيال» وقطع السبل وإنتهاب المارة فكتب إليهم يحذرهم وينذرهم بأن أولادهم لديه رهائن وأنه سيوقع بهم أن لم يقلعوا عن غيهم ، فلم يكترثوا بوعيده ولا أنكسرت ثورتهم من تهديده وأجابوا بغير الصواب وكان من جملة أحداثهم أن رجلاً من أشرارهم قصد «باب اليمن» بصنعاء وأضرم النار فيه فلم يظفر الحُراس بقبضه فانفذ "المطهر" وعيده فأمر بقطع أيدى وارجل رهائنهم من خلاف وكانوا ثمانين رهينة ـ جرأة فظيعه ـ وتوجه بجنود لا قبل لهم بها فهزمهم وحل عزيمتهم ودخل بلادهم وأخذ طارفهم وقلادهم وقطع أعناقاً من أشرارهم فأذعنوا بالطاعة والانقياد والدخول فيما دخل فيه سائر العباد فضرب عليهم مبلغاً من المال عقوبةً وقبض من فتّاكهم ثلاثمائة نفر وأمر بعمارة حصن «بيغان» فى « بنيِ سحام» ورتّبه بعسكر وطلب من «خولان» إيصال الرجل الذى أحرق «باب اليمن» ولو كان فى السحاب فطلبوه طلب المعدم للدرهم والجريح للمرهم حتى أخرجوه من قرية «وديد» فأمر «المطهر » أن تسمر يداه فى باب اليمن .

وفي سنة ٩٣٥هـ (تسعمائة وخمس وثلاثين) توجـه "المطهر" بقبض حصن «ظفُر بني وهاس » برضَى أهله وهو بين «ذيبين» و«ظفار» .

الوفيات

"عبد الله بن مسعود الحوالي"

وفي ٩٣٦ هـ (تسـعمـائة وست وثلاثين) توفى بصنعـاء القاضي الإمـام "عبـد الله بن مسعود بن صـالح بن علي الحوالي الزيدي" عن ٦٧ سنة من مولده وكان عالمـاً كبيراً محققاً أخذ عن السيد "صارم الدين إبراهيم بن محمد الوزير" وأبنه "الهادي" وغيرهما وعنه الامام "شرف الدين" وغيره وكان امـام المعارف بلا مدافع ، وقيل أن وفاته سنة ٩٣٣ هـ وكان سيد الفقهاء وخيرة الشيعه .

أنباء ٩٣٧هـ

(تسعمائة وسبع وثلاثين)

خلاف الحمزات وآل المؤيدي

في سنة ٩٣٧ هـ (تسعمائة وسبع وثلاثين) تعاقد" الحمزات" و"آل المؤيدي" بجهات صعده على حرب الامام واقاموا الخطبه للامام "مجد الدين ابن الحسن بن عز الدين"

وفى سنة ٩٣٨ هـ (تسعمائة و ثمان وثلاثين) اكمل الامام مصنفه «الاثمار فى فقه الائمه الاطهار » وشرع فى شرح مقدمته .

وفي سنة ٩٣٩ هـ (تسعـمائة وسـبع وثلاثين) حصل طاعون عظيم لـكنه دون الطاعون الاول سنة ٩٣٣ هـ وفيها شاع مذهب الصوفية فناظر الامام فيه "القاضي محمد بن عبد الله العنس" وغيره فرجعوا عنه .

حروب «الجوف» و «صعده»

فيهـا افسد اهل «الجوف» وسار بهم الامـير "ناصر بن احمـد الجوفي" الى «مآرب» وهى من بلاد الامام فحـرر الامام رسالة الى الحمـزات يحذرهم عاقبـه التعدي ونقض العهود فلم يرتدعـوا فجهز ولده المطهر الى بلادهم وكان القـتال وحمل اهل «الجوف» على المطهر حملة رجل واحد فظل ثابتا على جـواده وصاح "الشريف ناصر بن صالح بن احمـد" باعلى صوته : مطهـر مطهر لا يفـوت ، فاشتـد القتـال واتصل الرجال بالرجال وانجلت المعـركة عن قتل "الشريف" وغيره وانهـزام الاشراف وعسكرهم ، ووصل الامام بنفسه للاستيلاء على البلاد وصلّى الجمعة بالزاهر .

أنباء ٩٤٠ هـ

(تسعمائة وأربعين)

زيادة الامام لجامع الهادي بصعده

ثم توجه الامام والمطهر الى «صعدة» فخرج لاستقبالهم اعيانها ودخلاها فى ٢٢ صفر سنة ٩٤٠هـ (تسعمائة وأربعين) فقصدا جامع الهادي وانشأ فيه الامام قصيدته الشهيرة:

زرنـاك فى زَرَد الـحـديـد وفـي الـقنـا
والمشرفيـه والخيـول الشـزَّب
وجحـافل مـثل البـحـار تلاطـمت
امـواجُـهـن بكـل اصـيـد اغـلب
مـن كـل ابـلـج مـن ذؤابـة هـاشـم
وبـكل اروع مـن سـلالـة يعـرب
واعـاجم تـركٍ وروم قـادة
واحـابشٍ مـثـل الاسـود الوثَّب

ولم تتخلف عن الحضور الى الامام الا الاشراف الحمزات فقد خرجوا عن «صعدة» قبيل وصول الامام ، واما بنو المؤيد فوصل منهم العلامة "احمد بن الامام عز الدين بن الحسن" وغيره ولم يتخلف الا الداعي "مجد الدين بن الحسن بن عز الدين" فانه سار بأهله ومن يلوذ به الى هجرة «الحرجه» الى ان مات سنة ٩٤٢ هـ واما الحمزات فحشدوا القبائل من«دهمة» و«وائلة» و «يام» و«نجران» و«وادعة الشام» زهاء ١٥ الف راجلا وثلاثمائة فارس وقصدوا محاربه الامام بالحسينيات فقصدهم اليها المطهر بجيشه الهمام ووقعت الحرب الشديدة من الصباح الى الاصيل ، ثم حمل عليهم المطهر حملة الاسد المغضب فانهزموا ووقع القتل فيهم نحو الف قتيل وستمائة اسير ، ثم رجع المطهر الى ابيه وضُربت اعناق الاسرى وتعرف الواقعه بواقعة "المخلاف" ومما قيل في فتح صعده من قصيدة طويلة للسيد "المطهر بن محمد بن تاج الدين الحمزي" :

صنعـاءُ مـثلـوجـة الاحـشـاء فـارحـة
بأخـتـهـا فـهـمـا فى الديـن اخـتـان
قـد كـان غـمـدان غِـمـداً واحـدا فـغـدا
بصـعـدة لحـسـام الدين غِـمـدان
مـا صـعـدةٌ مـا تعـز مـا تلـمُّص
مـا الجـوفـان مـا بين نجـرانٍ وحـيـدان
لمن لـه الحـمـد والمـجـد المنيـف علّى
لابل عُـلاَه على مـا فـوق كـيـوان

وزرتَ جــــدك يا يـحــيـى بقــيت لـنا
تحـــيَـى علـى رغم ذي حـــقـــد وشنآن

وقصيدة منها :

يام وسـنحـــــان والطاغـــــوت وادعـــة
ودهمــــة اقـــبلـوا نحــــو الردى زُمَـــرا
ســاروا جـمــيـعـاً الى المـخـــلاف قـائدهم
ابليـس فــهــو بمـــا قـــد طـاوعــوه جـرى
فـــــسلّ ســـيف بنـي الزهراء قـــاطـبـــة
ســيـفـا صـقــيـــلا لاعناق الضـــلال فـــرا
. . . الخ

وفيها خالف أهل «خولان الشام» ومن أنضم إليـهم وقصدوا «ساقين» فى عشرة آلاف مقاتل فجهز الامام عليهم الفقيـه "يحيى بن إبراهيم النصيري" فهزمهم وقتل منهم نحو مائة وأحـتوى على أسلحتـهم وأمتعتـهم فأنقادوا بزمـام الطاعه وسلموا مـا عليهم من الحقوق ودخل أهل رازح وشهارة والاهنوم في الطاعة .

قراءة الامام «شرح الاثمار» وعمارة سور صعده

فى سنة ٩٤٠ هـ أوصل الفقيـه العلامة "يحيى بن محـمد بن حسن حميـد" شرحه على الأثمار للامـام فطلب أعلام صعده قـرائته على الامام ونسخـوا عدة نسَخ ومنهم السيد العلامة "يحيى بن الحسن بنِ عز الدين" فقال قصيده فى ٢٠ ربيع الثانى منها :

بـنـيت عـلـى هـام الســـــهى والـنعـــائم
من المــجــد بـيـتـاً غـيـــر واهـي الدعـــائم
تفـــردت بـالعلـيـــاء مـــذ كنت يـانعـــا
وفــــزت بهـــــا يـــا ابن الابـاة الاكـــــارم
ومُـلـكّتَ مـــفـــتـــاح الـبـــلاد بأســـرها
بقـــــدرة جـــبــــار وحكـمـــة حـــاكم
وتاهت فـــخـــاراً صـــعـــدة إذا وليــتـــهـــا
ومـــشــهـــد يحـــيى بن الحـــســين بن قـــاسم
وقـــال لســـــان الحـــال أهلا ومـــرحـــبـــا
بأبـرك مـــيـــمـــــون وأيمن قـــــادم
فـــمـــا زهـد طاووسٍ ومـــا علم مـــا لك
ومــا قـــول ســحـبـــان ومـــا جـــود حـــاتم
أفـــدنـــا نفـيـــســـا من جـــواهر علـمـــه
وملـتـــقَـطا مـن بحـــره المـــتـــــلاطم

وأســدى جــمــيــلاً وافــرا وفــواضــلا
وقــام بـحق لـلـرحـامـة لازم
وعــاملنا بـالحـلـم وهو مــحطه
ومن دونـه في الـحلم قـيس بن عـاصم
. . . الخ

ولما أنشدها خلع عليه الامام خلَعا سنيةً . .

وفي ربيع الأول سنة ٩٤٠ هـ (تسعمائة وأربعين) أمر الامام بعماره سور مدينة «صعدة» فجمع من العمارين فقط نحو خمسمائة عمّار واحكموا عمارته فى شوال سنة ٩٤٠ هـ (تسعمائة وأربعين).

الوفيات

"أحمد بن الامام عز الدين"

في ذي الحجة سنة ٩٤٠ هـ (تسعمائة وأربعين) توفيِ بهجرة «فلله» السيد العلامة "أحمد بن الامام عز الدين بن الحسن بن الامام علي بن المؤيد ابن جبريل" عن ٦٧ سنة من مولده وكان في شبابه غير متعلق بالعلم فأمره أبوه بإمامة الصلاة بساقين فأمتنع فلم يعذره فأقبل على العلم بهمة ساميه حتى حقق فنونه كل التحقيق وقيل له "سيبويه" ورحل إلى الحرمين فأخذ في الحديث ، وتولى القضاء لاخيه "الحسن" ولابن أخيه "مجد الدين" ، وله مصنفات منها «حاشية على تذكرة الفقيه حسن النحوي» وكتاب « في أحوال الامامه وما يلزم الامام » و «أسئله على خطبة الاثمار» ومات بالفناء الكبير .

أنباء ٩٤١ هـ (تسعمائة وواحد وأربعين)

وأنباء ٩٤٢ هـ (تسعمائة وإثنين وأربعين)

فتح الإمام لـ «برط»

وفي سنة ٩٤١ هـ (تسعمائة وواحد وأربعين) سار الامام من «صعده» إلى «جبل برط» ففتحه ثم سار حتى بلغ الرمل المتصل ببلاد البصره وخيم فى موضع يعرف «بالمصراخ» عشرين يوماً وتردد فى تلك الجهات فدانت له وفي أيام إقامته هنالك قَتَل أهل «برط» رجلا من أصحابه ثم خافوا فبذلوا لديه وتوسلوا بأصحابه فضرب عليهم الفي أوقيه فسلموها . ثم سار إلى «نجران» ومعه ولده المطهر وكانت نجران هجرة

الاشراف الحمزات ومأواهم فخرجوا عنها إلى الرملة المتوسطة بين «نجران » و«البصرة» وطلبوا الامان من الامام فـأمنهم ووصل إليه جماعة منهم كالامير" أحـمد بن حسين" وغيـره وتعزز الكلام على صلح سنة وشـرط الامام عليهـم أن لا يواصلوا عدوا له ولا يعادوا ولياً .وفي مدة إقـامته بنجران أمر بعمـارة مشهد على قبر "عبـد الله بن الثامر" الذيِ أستشـهد قبل مبـعث النبي صلى الله عليه وآله وسلم وله حديث مـشهور . ثم مرضَ بعض أصـحابه بنجران ومـات منهم ثم رجع إلى «صعـده» ثم «صنعاء» في يوم الجمعة ١٥ ربيع الثانى سنة ٩٤١ هـ (تسعمائة وواحد وأربعين) .

غزوة «موكل»

في مدة غـيبة "الامام" و"المـطهر" ببلاد "الشام" تحـرك للشقاق "عـامر بن داود الطاهري" ووزيره الشريف "يحيي السراجي" فاقـدما على اطراف البلاد بقيـــــادة " السراجي" و"البعداني" و"الشَّرامي" فـعاثوا في بلاد الامام ولما وصلوا إلى «دمت» تأخر عنهم جماعة ثم تقـدم "السراجي" إلى «موكل» بذلك الجمع الاذل فكتب الامام إلى والده "المطهر" ، وكـان لا يزال بـ«صعده» فجمع "المطـهر" ألف ناقة من ذوات القوة والطاقة وحـمل أصحابه عليهـا مردفين سالكاً طريق صـحراء « الجوف» لا يلوي على شيء ، وكان "السـراجي" مستبعـدا وصول "المطهر" فلم يشعـر إلا والسيوف عاملة ومن دماء أصحابه ناهله ، وكانوا زهاء الفين وسـتمائة فقتل منهم فى أول صدمة ثلثمائة وأسِر الباقون عن آخرهم فـأمر "المطهر" بضرب أعناق ألف وهو راكب قوسه حتى أنغـمرت حوافرها بالدم ثم أمـر كل أسير أن يحمل رأس كل قـتيل وأرسلهم إلى والده بصنعاء ومن ضُـربت عنقه قائدهم "السراجي" الذى أظلمت عليـه الدياجي ولما وصلت إلى "الامام" في نصـف جمادي الأولى الأسـرى والروس إلى «صنعاء» أرسل بعضهـا إلى «صعده» فعظم بها فى النفـوس ، وأنقاد النافر الشموس ، ومـما قيل في ذلك من قصيده للمطهر بن محمد تاج الدين الحمزي:

يـا وطـأة وطـأ الالـه بـمــــــــوكـل
أنحـت علـى حـــزب الـضـــلال بـكلـكل

وطحـتـــهم طـحن الرحـىَ بنعـــالهـــا
أوطـحـن طـود هـدّ أرضـــــــاً مـن عَـلِ

كـــانت عـلى يد فــخــر آل مـــحـــمـد
عن أمـــر واسـط عـــقِـــدِه المــتـــوكل

دارت رحى الــحـــرب الـزبون وأضــرمت
وغـلـت هـنـاك ولا غلـو الـمــــرجـل

وكان "البعداني الشرَّامـي" بـ «المقرانه» وهي في الحوزه الامامية فلما بلغـته الوقعه فرّ إلى «الشـعيب »وفر "عـامر الطاهري" مـن «قعطبه» إلـى «بلاد الأحيوق» ثـم جيىء "بالبعداني الشرامي" إلى "المطهر" فأمر بضرب عنقه بعد معركة قتل فيها من أصحاب "البعداني" خمسون . ثم توجه "المطهر" إلى بلاد «خبان» و«المخادر» فتسلم حقوقها والتجـأ "عامـر بن داود الطاهري" إلى «حصـن التعكر» ثم فـر إلى «عدن» وأسـتولى المطهر عـلى «التعكر» وسار إلى «تعـز» فالتـجأ " أحمـد بن محمـد الطاهري" إلى حصنهـا «القاهره» فأستـولى عليها "المطهر" بـواسطة مماليك الطاهري لشدة أمـيرهم عليهم وأتوا به أسـيرا إلى "المطهر" فأرسله مع بقيـة جماعته إلـى والده الامام بصنعاء وأستولى المطهر على مـا في حص «نهم» وكان شيئاً كثيراً وأمر المـطهر بعمارة السور العظيم على «تعز والقاهرة» بالابراج الحصينه وكان عريضاً تمشى عليه العربات ولا يزال بقـيته إلـى الآن ويقال أن مـدة عمـارته سبع سنين أنفق فـيه أمـوالا طائله . ثم رجع "المطهر" إلى ولده بصنعاء ظافراً في ذي الحجة سنة ٩٤١هـ بعد أن طلب أمير صعدة الفقيه "يحيى بن إبراهيم النصّيري" وولاه بلاد تعز وخلفه بصعده الامير "عز الدين بن الامام" فغزا جبال «فيفا» وبلادها وأستولى عليها فى سنة ٩٤٢هـ .

وفيها غزا المطهر «أبين ولحج » فأستفتحهما وجهاتهما ما عدا عدن وكان بها "عامر بن داود الطاهري "

الوفيات

الامام "مجد الدين"

وفي ذي القعدة سنة ٩٤٢ هـ توفى بهجرة «الحـرجة» الامام "مجد الدين بن الحسن بن عز الدين بن الإمام علي المؤيد ابن جـبريل" عن ٥٧ سنةً من مولده وكانت دعوته في شعـبان سنة ٩٢٩ هـ بعد ١٦ سنـة من دعوة الامام الاعظم "شـرف الدين" وكان واجبه تاييد "الامام شرف الدين" وقلت في تحفة المسترشدين :

والقـــائـم الامـــام مـــجـــد الـدين
رب الـتـــقـى حَــفـيْــد عـــز الـدين
مـــولـده فـي فـلـل فـى (ضــــوف)
٨٨٦
وقـــد دعـــا لـلخـــيــر والـمــعـــروف
بفـلـل فـى التـــسع والعــــشــريـنا
من قـــبـلـهـــا التــسـع من المـــئـبـنا

وكـــان مـــا كـــان من الصـــدام
وهجـــره لـلأمــــر والقـــيــــام
وســـار فـيِ جـــمـع إلى كـــحــــلان
وغـــيــــرها مـن تـلكـم الـبلـدان
وعـام (بظـــــم) قـد ثرى بالحــرجـة
٩٤٢
فـنال خـــيــــر ربـه وفــــرجـــه

أنباء ٩٤٣هـ
(تسعمائة وثلاث وأربعين)
إستفتاح «ظهران عسير»
ثم غزو «زبيد وحدود عدن»

وفى سنة ٩٤٣ هـ (تسعمائة ثلاث وأربعين) إستفتح أمير «صعده» "عز الدين بن الامام" «ظهران بلاد عسير» وقتل صاحبها "ابن المهدي" . وفيها غزا "المطهر" ومعه أخوه "شمس الدين" بقوة كبيرة جهات «زبيد» وفيها الشراكسة ولما عرفوا عجزهم عن مقاومة "المطهر" عمدوا إلى الحيله والحرب خدعه فحوّلوا نهر «زبيد» الكبير إلى البقاع التى سيمر منها جيش" المطهر" فأقبل وقد عبأ جيشه للقتال فجعل "شمس الدين "فى الميمنه وأمير «تعز» "الفقيه يحيى النصيري" في الميسرة وهو في القلب فلما توسطوا تلك "البقاع" توحَّلوا فيها فأنقضت عليهم الشراكسة كالعقبان الكاسره فأنهزمت تلك الالوف وثبت "المطهر" وأخوه ثبات الرواسي فى تلك الحمئه ، وكان من أعيان القتلى السيد "علي بن يحيى بن الامام المطهر بن محمد" و"السيد إبراهيم بن محمد بن الهادي الوزير" ونجت الشراكسة بحيلتها من براثن الموت فأستفزت هذه القضية "عامر بن داود الطاهري" من «عدن» إلى أطراف بلاد «تعز» فأعرض "المطهر" عن الشراكسة بزبيد وتجرد لمطاردة "الطاهري" فانهزم "الطاهري" شر هزيمة إلى «عدن» بعد معارك «بغيل ورزان» خدير وكاد "المطهر" أن يظفر به لولا مملوك له كان غائباً عن المعركة فوافق أميره "الطاهري" وقد أنفرد عن محطته راجلا فحمله على فرسه فنجا بها ثم ظفر جند "المطهر بن مالك الملوك" وأوصلوه إلى المطهر فسأله عن مولاه فأصدقه الخبر فأستحسن المطهر وفاءَ المملوك لمالكه وشكره على ما أسداه لمولاه وخلع عليه وأعطاه وأرجعه إلى مولاه ، وهذا يدل على نفس "المطهر" ، ثم رجع "المطهر" إلى والده وبقي الاتراك بزبيد نقطة إنطلاق يُخبّئه القدر من توغِلّهم فى

اليمن وحربهم الآتية مع المطهر .

أنباء ٩٤٤هـ
(تسعمائة وأربع وأربعين)

فتح «بلاد حراز»

وفى سنة ٩٤٤ هـ جهز الامام ولده "شمس الدين" إلى بلاد «حراز» فأستفتح حصونها «شبام »و«التعابر» و«مسار» وغيرها وهم ثلاث فرق زيدية وشافعيه ، وباطنيه فوجد "شمس الدين" بشبام من كتب الباطنية ما يبيّن مذهبهم فأرسلها إلى والده ومما قيل فى ذلك :

ولما تبقت في شبام بقية
وقد جمعوا فيها الجموع وعسكروا
توجّه شمس الدين تلقاء أرضهم
فأفناهم والحق والله اقدر
فزال بشمس الدين داجي ظلامهم
ودمرهم وهو الهمام المشمر

وعاد شمس الدين إلى صنعاء ثم عزم لطيافه حصن «ثلا» في ذي القعدة سنة ٩٤٤ هـ وعاد إلى والده بجراف صنعاء المسمى«بهجرة الإيمان»

وفي ذي الحجة سنة ٩٤٤ هـ أكمل الامام عمارة الجامع بالجراف وصلى فيه الجمعة وهى أول صلاة صُلّيت به .

الوفيات

"عبد الرحمن الديبع"

في رجب سنة ٩٤٤ هـ توفى بزبيد الشيخ العلامة الحافظ المُحدث المؤرخ "عبد الرحمن بن علي بن محمد الديبع الشيباني الزبيدي الشافعي" عن ٦٨ سنةً من مولده أخذ العلوم بزبيد ومكه وغيرهما وصنف «تيسير الوصول إلى جامع الاصول» و«تمييز الطيب من الخبيث فيما يدور على آلسنة الناس من الحديث ». «وقرة العيون فى أخبار اليمن الميمون» و«بغية المستفيد بأخبار زبيد» وله أشعار فى مسائل علمية وضوابط مشهورة ومن شعره :

أجزت لمدركي وقتي وعصري
روايةَ ما تجوز روايتي له
من المقروء والمسموع طراً
وما ألّفت من كتب قليلة

ومـــا لي من مُـــجـــازٍ من شـــيـــوخي
من الـكـتـب القــصــيــرة والـطـويـلة
وأرجـــو الله يـخـتـم لي بـخـيــر
و يرحـــمـني برحـــمـــتـه الجـــزيـلة

"إبراهيم مهدي حجاف"

وفي رمضـان سنة ٩٤٤ هـ توفي بحصن «ظفار الـظاهر» السيد العـلامة "إبراهيم بن المهدي بن أحـمد بن يحيى بن القاسم بن يـحيى بن عليّان بن الحسن بن مـحمد بن الحسـين حجّاف الحبـوري" كان من أفاضل أعـلام السادة وأعيان الامـام شرف الدين صحبـه قبل دعوته ووصل إلى بيتهم بحـبور ثم من أعظم أعوانه ، أخذ له البـيعه من القبـائل وأرسله من صنعاء إلى الاهنوم وغيـرها وولاه حصن ظفار وبلاده ، ولثقـته به وضع له علامته فى عـدة أوراق ليكتب فيها عند الاحتياج تحت عـلامة الامام ما يريد ولما توفى وكان والده مريضاً كتموا عنه خبر وفاة أبنة إبراهيم فأفاق المهدي أفاقةً يسيره وقال لهم قد أتاني من عزاني في ابني إبراهيم وقـد توفيِ ، ثم مات الأب المهدي بعد سبعة أيام فى يوم عيد الفطر .

أنباء ٩٤٥ هـ
(تسعمائة وخمس وأربعين)
الاتراك في «كمران» و«عدن»
وقتلهم أخر أمير "طاهري"

وفي سنة ٩٤٥ هـ أوقع امـيـر صعـدة "عـز الدين بن الإمام " بـأهل وادعة الشـام لإفسادهم وقطعهم السبل .

وفيها وصل الباشا سليمان إلى جزيرة «كمـران» فى سبعين غرابا وسفن كبار تحمل الاثقال جهزه السلطان "سـليمان بن سليم خان "لمحاربة الافرنج فى الـسواحل اليمنية والهندية فكتب إليـه الأميـر "عامـر بن داود الطاهري" يطلب منه النصره عـلى الامام شرف الدين فأظهر له الاسعاد وتوجه بمراكبه إلى عدن فدخلت طائفة من جنده إليها ، وقد أمـرهم بالقبض عـلى "عامر بن داود" فـأوصلوه إليه إلـى المراكب مع سـتة من أصحابه فشنقهم وأنقرضت دولة بني طاهر بالكلية بعد مُلكهم نحو ٨٧ سنةً على ما في أخرها من ضعف وإنحلال فسبحان من لا يزول سلطانه ولا يتغير شانه ، وبعد أستيلاء

"سليمان باشا " على عدن جعل فيها من يثق به من رجاله وتوجه إلى بلاد الهند فأستلم ما دفعه له أمراء الهند من دريهمات باع بها شرف الفتح ومجد الظفر وعاد إلى اليمن. ولما أستقر بالقرب من زبيد أمر جماعة من دهاة أصحابه بالسعي بالصلح بينه وبين "أحمد الناخوذه" أمير الشراكسة بزبيد وأمرهم أن يفسدوا الشراكسة على أميرهم بالترغيب والترهيب فمال إليه بعضهم ؛ وأَحَسَّ أميرهم أن «زبيد» مأخوذة فطلب الأمان من "سليمان باشا " فأمنه وبذل له العهد وأمر طائفة بالخروج لاستقباله وقتْله قبل وصوله إليه ففعلوا وأستولى" سليمان" على زبيد وقَتَل بقية من بها من الشراكسه ، وأقبلت الدولة التركيه العثمانية إلى أن أنقطعت بالدولة القاسمية بالفاتح " الحسن بن القاسم" ثم طمع "سليمان باشا" في «تعز» فكتب إلى الامام "شرف الدين" بالتليين والتخشين فأجابه الامام بعدم الاسعاد ولما أيس سار إلى مصر وأبقى نائبه بزبيد وسار بعد الحج إلى السلطان وكان قد بعث رسولا بأخبار فتوحه اليمنَ وبالغ وهّول وكتب أسم كل ضيعه وقرية ليس فيها غير بيت أو بيتين لئلا يقالَ أنه خان دولته وسلطانه لما ترك الهند لدريهمات .

تقرير الذميين باليمن

وفيها كثرت الاقاويل والمراجعات في شأن سكون أهل الذمة من اليهود فى جزيرة العرب فوضع الامام والقاضي "محمد بن عبد الله رادع" ما يقضي بتبقيتهم في اليمن على عهدهم وذمتهم وقرروا أن المراد بجزيرة العرب التى جاءَت الاَحاديث بأخراجهم منها هى الحجاز فقط لحديث يخص الحجاز ويبين المراد .

إخضاع «وادعة»

وفيها قَدِم "عز الدين" إلى والده من بلاد «صعدة» فتلقاه "الامام" وأولاده أحسن تلقٍ وكان الباعِث على وصوله طلب الأذن له باخضاع «وادعة» الاخضاعَ التام ، وكان قدْ أستأذن والده مراراً فلم يأذن له لمصلحة رآها وكانوا قد قتلوا شريفاً تحت «جبل أم ليلى» وقتلوا قبله السيد "الخضر بن محمد من ذرية الامام الحسن بن بدر الدين" ، وأكثروا التلصص والأغتيال وقال "عز الدين" عند وصوله إلى والده قصيدة منها :

سلام الخالق البر الجواد
ورحمة رافع السبع الشداد
تخص مقام خير الخلق طراً
وأكرم حاضر منهم وبادي

أمـــيـــرَ الـمـــؤمنيـن القلب فـــيـــه
كـلدغ الـنار أو خـــــرط الـقـــتـــاد
ومن أفـــعــــال وادعـــة خـــصـــوصـــاً
أعـــادي ربنـا أشـــبـــاه عـــاد
فـــذا الخـــضـــر الذى قـــتـلوه ظلمـــاً
وصَـــحـــبـــاً دمع أهليـــهم غـــوادي
كـــذلك ســـيـــداً قـــتـلوه ظلـمـــاً
بهـــذا الشـــهـــر مـن أبنـاء هادي
فـــجـــد بالاذن وأمـنحـني دعـــاءً
بتـــوفـــيـق وعلـم بـالســـداد

فأذن الامـام وسار وقد تجـمعـوا في ظهران فأوقع بهم ودوخ بلادهـم وتعقب ذلك صلاح أمور وأحوال تلك الجهات لأن أهل وادعه كانوا أشر قوة وأكثر جمعاً .

الإحتفال بتفسير" ابن بهران"

فيها أرسل القاضي العلامة الامام "محمد بن يحيى بهران الصعدي" إلى الامام الجزء الأخير من تفسيره النافع « تكميل الكشاف» وهو ستة مجلدات أستكمل فيها «الكشاف» وأضاف إليه الاحاديث المناسبة وغـيرها مما فـيه فائدة وهذا الكتاب يدل على علمـه وأجتهاده وقد جـمع بين «الكشاف» و«تفسير أبن كثير» وغيرهما من التفاسير فأمر الامام بإظهار شنار هذه الفضيله وجعل الستة مجلدات في صندوقين عظيمين من صعده إلى صنعـاء ثم خرج "شمس الدين بن الامام" وغيره لتلقي هذا التفسيـر العظيم بالطبولخانه والارياح ونحوها والوصول به إلى الجامع الكبـير بصنعاء والشروع في قراءة خطبته وتفسير سورة الفاتحة على العلماء والعموم بالجامع وساروا به إلى القصر .

أنباء ٩٤٦ هـ

(تسعمائة وست وأربعين)

محاولة الاتراك أخذ «تعز» وفشلهم

وفي سنة ٩٤٦ هـ (تسعـمائة وست وأربعين) تحركت الاتراك الذين في زبيـد لقصد «تعز» وقائدهم الامـير "مصطفى عزت" فحاصروهـا ورموها بالمدافع والبنادق ولكنهم أنهزموا ورجعوا إلى «زبيد» مذعورين لأنهم أثناء الحـصار بعثوا جماعة في طلب الميره من البلاد المجاوره لتعز فأعتـرضتهم جنود الامام الذين أرسلهم من صنعاء للتفريج عن المحصـورين وقتلوا بعض الاتراك فرجع من سلم منهم إلى الاتراك المحاصـرين لتعز

ينذرونهم بالخطر الداهم فاجفلوا وتركوا معداتهم وأثقالهم مخافة أن يحيط بهم جند الامام ويقطع عليهم الرجوع إلى« زبيد» فأستولى أصحاب الامام على معداتهم الحربية وأثقالهم النفسية. ومما قيل من وقتها قصيدة زائيه للأمير العلامة الأديب "عبد الله بن الامام" نحو ثمانين بيتاً منها :

حَمَى ربّ الانام لنا تعزا
وحق لها العديـنة إن تعزا
ورد الظالمين بغيظهم لم
ينالوا قط من شيءٍ وأخزَى
لقد عزت وبزت كل خصم
ومن أمثالهم . من عزّ بزاً
عناية ربنا فيها تجلت
وكانت دون ذاك السور حرزا
بها أحتمت المداين والصياصي
فقد أضحت من الاسوار حرزا
فان فخرت فحق لها افتخاراً
فسان بعزها الاسلام عزا
أتتها الرومُ في عدد وعَدّ
على أنواعها تُركاً وغُزّاً
تقول ليُخرِجَنْ منها الاعزُّ الاذلَّ
وكان بارينا الاعزّاً
فلما أن دنوا من سورها
والصدور بغيضهن تأزُ أزّاً
قَرَتْهم دونها الابطال موتا
وصبّت فوقهم بالنبل رجزا
وأمطرت البنادقُ صوبَ حتف
فبزت منهم الأرواح بزا
وأضحوا لم تحس لهم بحس
ولم تسمع لهم في الخلق ركزا
فيا شمس المفاخر والمعالي
ومن كلُّ الفخار إليه يُعزَى
تهنّ بما حباك الله نصرا
به الاعداء لغيظهم تُعزَىّ
لقد أحسنت تدبيراً عجيبا
غزا من قبل أنْ بالجيش تُغْزى

أمــــرت هـنالـك الامــــراء فـكانـوا
كـمــا يرضـيك فى مـغـزى ومـعـزى
ويـأسُك بـعــــد ذا وَزَر وكــــهـف
يـهـــز بـه فـــواد الخـــصم هـزاً

إلى أن قال :

ومـــا قـــدر الـقـــصـــائد والـقـــوافي
ســـوى جـــعلـت على الـرا أو علـى الزا
وهـاكـم نـبت فـكـر ألـبـــــست مـن
مطـارف مـــجـــدكـم خـــزا وقـــزا
لهـــا نسـب عـــزيز فـي القـــوافي
فليـس لهـا ســوى الأعـفـاء جـهـزا

وفيهـا وصل إلى الامام الشريف و"ناصر بن أحمـد بن محمد بن حسـين الحمزي" في ثلاثين راكباً من أصحابه تائباً عما جرى منه من المحاربه فعفا عنه الامام وقابله بالاكرام .

أنباء ٩٤٧ هـ

(تسعمائة وسبع وأربعين)

فتوحات على يد "شمس الدين"

وفي سنة ٩٤٧ هـ (تسعمـائة وسبع وأربعين) تسلم "شمس الدين بن الامـام" «سماة عتمه بني النوّار» وجميع «عتمه ويفعان ريمه» وغيرها ثلاثين معقلا ثم «الجبى» وهو من أرفع الجبـال أسفله في «الخبت» دراسة ركب عـلى «ريمه» أستلمه أمـير «تعز» الفقـيه "يحيى بن إبراهيم النصيري" وقد نظم الامام أرتجالا إلى ولده شمس الدين :

«ســـمـــاة بني الـنوّار» مـن ذلك أرتـمى
بتـأيـيـد رب العــرش من رفع الســمـا
ســمـا لك شـمـس الدين بالسـيـف عنوةً
فــأدنى لـك القـهـار منك الـذى سـمـا
حكى صنـوه فـخـرّ الهـدى الناصـر الذي
لشـمـس الهـدى سن الفـخـار وعـلّمـا

والمراد بالناصر المطهر .

وفيها سار عز الدين أميرَ صعده إلى تهامـه الشامية فأستولى على جيزان وأبى عريش وغيرهما ورجع إلى صعده منصوراً فقال السيد المطهر بن محمد بن تاج الدين الحمزي

قصيدة منها :

وعِزّهم من هدّ ركن بقية
من اللات والعزى أبيدوا وبددوا

وجاز إلى جيزان في أي فيلق
به ما ذَكىَ من فيلق الروم يُخمد

عهد الامام إلى أولاده

قال في السيرة " السلوك الذهبيه" : وفيها جمع الامام أبناءَه السادة الاعلام وفوَّض إليهم ولاية الحصون ووزعها بينهم ليقوم كل واحد منهم بما عهد إليه فاما "فخر الاسلام عبد الله بن الامام " فأعتذر بما هو فيه من الاشتغال بالعلم والدرس والادب والتصنيف وصمم على ذلك الاعتذار فاحسن الله مثوبته . واستحضر الامام بعض خواصه وولديه "المطهر" و"شمس الدين" وتكلم بكلام ساقه في «السلوك الذهبيه» وقال في آخره :وأن كنا قد عرَّضناهم بذلك لمشاق الدنيا والاخره فالمرجو من الله سبحانه وتعالى أن يمدهم بمواد الطاقه وتوفيقاته وان يرشدهم إلى ما يسعد كلاً منهم في حياته وبعد مماته والمراد بقاء هذا العهد امانة عندهم للمسلمين فان فتح الله بقائم حق سلموها اليه.

الوفيات

عبد الله مخرمة العدني

وفى سنه ٩٤٧هـ (تسعمائة وسبع وأربعين) توفى الشيخ العلامه المؤرخ "عبد الله بن أحمد مخرمة" من تصانيفه « شرح صحيح مسلم» . وتاريخ مطول مرتب على الطبقات والسنين من أول الهجرة . وكتاب "النسبه إلى المواضع أو البلدان " .

أنباء ٩٤٨هـ

(تسعمائة وثمان وأربعين)

فتنه "حسن بهلوان"

وفى سنه ٩٤٨هـ (تسعمائة وثمان وأربعين) وفد على الامام الامير "حسن بهلوان" من أمراء الاتراك ودهاتهم ومعه خمسون من أصحابه فاحتفى بهم الامام وبالغ في إكرامهم واحترامهم ومازال "حسن بهلوان" يتردد إلى مقام الامام واولاده ويتظاهر بالقول اللين والنصح البين وهو يترقب الفرص الاحداث أي غصه أو اغتيال "الامام" و"المطهر" و"شمس الدين" لان ادارة البلاد كانت عليهم وبانحلال اركانهم الثلاثه يدق الوهن ويتسنى للاتراك مد أيديهم ومكث" حسن بهلوان " مده طويله ثم رجع «زبيد» فلامه أصحابه على تقصيره فيما نُدب له فصارحهم بانه لم يتركه عجزاً وانه

يختلي بالامام وباولاده لوقوفهم به وقال لقد كنت ادخل على الامام ولو اردت قتله لفعلت إلا أني رايته صالحاً صوّاما قواما كثير الاذكار والتلاوه والخير فكرهت ان القى الله بدم واما المطهر فاين انا من ذلك الاسد الضرغام مع شدة احتراسة وعنده من الحماة الكفاه وكثيرون واما شمس الدين فكان يدنو مني دنو الاخ من أخيه جانب وحسن خلق فلم يمنعني من قتله الا أني رايت والده يميل اليه ويعمل برأيه وهو يعارض اخاه المطهر بالامر ومع تنازعهما يحصل تفاشلهم وضعفهم ووقت انفجار العد بينهم قد اقترب وقد قدح حسن بهلوان زند النار بينهم فان شَمْلَ الوحدة بينهم قد انصدع فتشعب جميعهم ولانت قناتهم كما سيأتي .

وفيها امر الامام بالحاق اسماء اولاده في الخطبة" شمس الدين" و"عز الدين" و"عبد الله" و"علي" بعد ذكر الامام والمطهر وكان لايذكر الا اسمهما ثم زادت العداوةُ حتى اجمع راي الامام "وشمس الدين" على حبس المطهر فلم يتم حتى أدى ذلك إلى الحرب بينهم وطلعوا الاتراك كما سيأتي .

أنباء ٩٥٠هـ

(تسعمائة وخمسين)

وفي سنه ٩٥٠ هـ (تسعمائة وخمسين) وصلت طائفه من الاتراك إلى «جيزان» فنهض امير «صعده» "عز الدين" وجرت حرب لم يظفر أحدهم على الاخر فرجع «صعده» .

ظهور القات والبن في اليمن

فيها ظهرت شجرة القات وكثرت باليمن فرأى الامام تحريمها وامر ولده المطهر بأن يأمر بقلعها بسبب انه رأي شخصا قد تغير فقيل له أن تغيره من أكل القات فالحقها الامام بالمغيرات ثم تبين له أنه غير مُغَير فرجع عن التحريم وكان أبنه العلامه الفاضل عبد اله من المغرمين بالقات بعد ان تبين أنه غير مغير .

وفيها ايضاً ظهرت شجره البن باليمن فانتفع بها الناس جداً .

بسم الله الرحمن الرحيم

القات

لما دُعي العاجز "احمد بن محمد زباره" من منظمه الصحه العالميه إلى مؤتمر القات بجيبوتى فى ديسمبر سنه ١٩٨٤ م كمستشار للمؤتمر جمعت بحثا طويلاً عن القات قديماً وحديثاً تاريخياً وادبياً وشرعياً وصحياً واقتصادياً واجتماعياً بعضاً من هنا:

لا تاريخ محدد لنبات القات في الجبال كشجره بريه لعدم الالتفات اليه والانتفاع به ولابُدَّ ان نباته قديم جداً ككثير من الاشجار البريه غير المنتفع بها . ويروى انه استعمل فى بلاد «تركستان» و«افغانستان» كعلاج فقد ذكره "عبد الرحمن البيروني" الذي عاش آخر المائه الرابعه الهجريه فى كتاب الطب وقال: القات شجره مستورده من تركستان وهو يبرّد الحُمَّى ويريح الصفراء ويبرد المعده والمصران ثم ذكر القات "نجيب الدين السمرقندي" المتوفي سنه ٦١٩ كنبات طبي فى كتابه الطب ، ويروى انه ظهر واستُعمل فى «الحبشة» ايام "صبر الدين" الذى حارب المسيحين فى أوائل القرن الرابع عشر الميلادى وقال سأحوّل الكنائس إلى مساجد وازرع القات المحبوب عند المسلمين واجعل ملك المسيحيين مسلما وأجعله واليا عليهم .

وفي «الالمام بأخبار من فى الحبشة من ملوك الاسلام على رأس القرن الثامن الهجري للمقريزي» أنها توجد فى محافظة (شوا) بالحبشة شجره تسمى بالقات لاتُعطى فواكه ولكن السكّان يأكلون أوراقها الصغيره التى تشبة النارنج وهى تنشط الذاكره وتذكر الانسان بما نسي كما تضعف الشهيه والشهوه والنوم ويحب سكان هذه

المنطقه بالحبشه هذه الشجره لاسيما العلماء منهم .

أول إستعمال القات باليمن

روى أن أول من أستعمل القات باليمن الاسماعيليه بنجران فى القرن السادس الهجرى واستعمله الصوفية للتواجد والخشوع عند الاذكار في أيام الشيخ الصوفي الشهيد "احمد بن علوان" المتوفى «بيفرس» فى رجب سنه ٦٦٥هـ ويقول الصوفيه : ان القات قوت الصالحين ، فكان لديهم شيئاً مقدّسا .

مدحه بهذه الابيات الشيخ الصوفي الشهير "عبد الهادي بن محمد بن علي بن محمد بن أبراهيم بن محمد السودي" المتوفي ودفن بجنب قبته سنه ٩٣٢ هـ عن أثنين وستين سنه من مولده سبقت ترجمته . ومن هذه الأبيات:

القـــات يجـلب للارواح افـــراحـــاً
ويورث القلـب تنـويراً واصــــلاحـــاً
ويشــــرح الصـــدر من هـمّ ومن نـكد
حـتـى يعـود بـعـيـد الـهم مـرتـاحـا
لاجـل ذلـك حـث الاوليــــاءُ عـلـى
دوام مـــأكلـه نصًّـــا وايضـــاحـــاً
هو المـعـين على الاعـمال اجـمعـهـا
هو المـعـيـد للـيل الهم إصـبـاحـاً
وهـذا وكم فـــيــــه من نفـع لآكلـه
دنيـــا ودين فكـن للقـــات مـــداحـــاً

كما مدحه الشيخ الصوفي "محمد العجيل" بهذه القصيدة :

لأنديـةِ الخِـــلان صـــاح تجـمُّلُ
وجـــدان قـــات زانـهـــا وتهـــهّلُ
فـيـا سـادة قـومـوا على قـدم الصـفـا
إذا القـــات وافـاكم فـقـومـوا وهـلِّلوا
فـكم عـــالم بـالله يـأكل قـــاتنـا
ومـــا هو عـن طرق الهـــداية يعـــدل
فـيـا نعـم قـوت الصـالحـين وقـــاتهم
ينـشـط مـــعـــوانـا لـهم لا يـكسـل
فــأجــمع أهـل الله من أهـل قطـرنا
ومـــن لهـم نور الـهـــداية يـكمـل
يقـــولون مـــا فـي القـــات ضـــر ولا أذى
ولامَسّ جـن للمـــســاوي يخـــيل

فـأمـا رأيت الـقـات وقـتـاً بحـضـرة
إليـهـا يـقـينا لـلكرامـة يُحَـمل
فـقـابلـه يا ذا الود بـالرحـب والهنا
وقـبل رغـام الأرض إذ هـو يُوصَـل
ومـا ذاك إلا أن فـيـه لـنا إلـى
مـعـانٍ عليـات المـقـام تَـوَصُّل
فـأهلاً بـه الفـاً وسـهـلا ومـرحـبـاً
لاجل الـذي فـيـه من السـر يـؤكل
وبادر إلـى ذكـر الاله قـبـيـلَه
وذكـره باسم الـله لـلخـيـر تـوصل
فـآكـله هـاد منيف ومـهـتـد
مـحب ومـحبـوب الى الرشـد مـوصل
فـحـاشـا وكـلا أن يـكون رفـيـقـه
وقـد رافـق الاخـيـار غَـيًّـا يُحـصّل
فـمـدح كـرام الـحيِ أعظـم شـاهد
علـى جـمّع أسـرار حـواها وأعـدل
رآهـا أناس بـالكـشـوفـات نـالهم
رجـال عـليـهم فـيِ الامـور المـعًّـول
فـمـن بعـضـهـا جـذب حـضـور لـذاكـر
وفـيـه أمـور إن خـلا لـيس تحـصل
ولـكـن أخـى لا يـنـتـج الـقـات
أن خلى عـن النيـة العظمـى فـإنك تهـمل
فـأحـرص على القـات الـشـريف بـحبـه
وقـارنـه بالـنيـات إذا أنـت تأكـل
تشـاهد أمـوراً مـن غـريب مـعـارف
من الـحـضـرة العـليـا تـواتيك تـرفل
ولازم علـى التـسـليم فـي كل حـالة
تـنـل كلـمـا ترجـو ومـا أنت تـأمل
ودع كل خـب فى المـقـال مـخـرّق
يـروّع أهـل الـحـق ثـم يـضـلـل

وفي سنة ٩٥٠ هـ في أيام الامام "شرف الدين» أنتشر استعمال القات ولما بلغه أن حارسا من حرسه أفرط فى أكل القات وخرج من مكانه فى حالة تَندي جسمه بالرشح فضربته الريح فتغير عقله فأمر الامـام

بقلع القات ثم لما تبيّن له عدم تغييره رجع عن أمره . وهذه تجربة أولى أن محاولة قلعه صعب . والتجربة الثانية أيام رئاسة الاستاذ محسن العينى حيث قرر مجلس الوزراء فى سنة ١٣٩٢ هـ بالاجماع بقلعة من أراضيِ الحكومة والاوقاف ومنع موظفي الدولة من إستعماله وإرشاد الاهالي إلى قلعة من أرضيهم بأختيارهم لكن القرار حبر على ورق فاللجنة التى أجتمعت لذلك بعد الظهر تأكل القات على حساب الدولة ولم يُعلم أنها قلعت شجره واحدة فقد هدّد بعض المزارعين أنه سيدافع عن قلع قاته ويموت بجانبه والقى رئيس الوزراء محسن العيني بعد القرار خطاباً فى عدة صفحات غاية ما يمكن فى التنفير عن القات وبيان مفاسده ورَحّبت الصحفُ وشنّت حَمْلة إعلاميةً عليه (وكاتبوها يخزنونه) .

ثم زاد غرس القات أضعافاً مضاعفة بصورة فظيعة ولا يمكن قلعه إلا إذا بدأ المسئولون بأنفسهم .

لم يثبت أنه مخدر ولا ضار

لم يثبت بتحاليل طبيه إن القات مخدر ولا ضار وأعظم من التحاليل تجربة الشعب اليمنى وغيره له مئات السنين فهو دواء لشدة الحراره وحريق الدم يطفىء التهاب الحرارة ويزيل البخار والتعب لكن القليل منه نحو ثلاثة أغصان فقط تُخَزّن أوراقه القليلة ويشرب عليها الماء ثم تخرج كما هى ولا ينزل المعده منها شىء كما كان الاولون فأنهم يخزلونه فى الفم وراء الاضراس قليلاً جداً ويسمونه تخزين القات فينشط للعمل وكنت آخذ منه أوراقاً معدوده أخزنها ثم أخرجها كما هيِ ثم بعد مناهزتي ثمانين سنةً تركته أصلاً فوجدت تركه أراح للصحة وللنوم وللإنفراد عن النَاس لإخراج تراث والدي العظيم وتأسفت حيث لم أتركه مبكّرا وكان الاحسن أني لم أستعمله أصلاً .

الإكثار منه مذموم

لاشك أن الإكثار من القات مذموم وضار ومرهق للاقتصاد ولمصاريف الاسرة ومن الاسف أكثر اليمنيين مكثرون منه ومسرفون ، فأنتهوا عن الإكثار يا أولى الابصار .

فالمكثر مُبتلَي ومفاخر ففي الاعراس ونحوها يطرحون للضيوف لاسيما للحراوة رزمةً بعد رزمة ولو لم يريدوها يضعونها بين أيديهم ثم يصير بعضها إلى الزبالة وهى بأغلى الاثمان إسراف وجنون ، والجنون فنون ، ولو لم يكن مع المخزّن الا اغصان نحو ثلاثة فقط لاكتفى بها ولكن المحنة والمصيبة أن كل مخزّن يُعد رزمة بين يديه فيأخذ غصناً بعد غصنٍ كأنه واجب عليه أن يتمها بدون شعور كالمدخن الذى بيَده بكت سيجارة يأخذ حبه بعد حبه بدون شعور ولو لم تكن بين يديه رزمة لما تكلف لاستقصائها حتى إذا إمتلأ فمه نقص منه ليأخذ جديداً وهات مالَوْك وهَوْك ثم يحصل لبعضهم رد فعل وشرد ولو لم يكن لأهل المكان المجتمعين إلاّ مربط واحد بينهم لاقتنعوا به . كان والدي المؤرخ رحمه الله نحو سنة ١٣٢٩ هـ حاكماً بخولان وقبّاضا لواجباتها ولم يكن بخولان كلها ولا شجرة قات وفى بعض الأيام يأتى بَرْكس قات واحد من عافش فيفرق على

جميع الحاضـرين المخزنين بالديوان غصنين أو ثلاثة يخزنونه نحو ساعـتين ، وفي أكثر الأيام لا يصل قات من عانش فلا يخزنون لأنه لم تكن له ولعه ونهمـه فإن جاءَ عفواً خزنوا وإلا فلا وأكثر الناس لا يخزنون أبداً . أما الأن فقد صارت خولان كلها قاتاً وأمثالها من البلدان . وما كان النساء والصبيان يخزنون ابدا وما كانت مـواطن القات الا «عافش» و«العبّس » و«بنى سَوط» و«البخاري» و«المعلي» و«البحـريين» و«وصاب» و«عتمه» و«ريمـه» و«صبر» وقليل غيرها «كـوادي ضهر» ثم أنتشر هذا الانتـشار الفظيع فى النصف الاخير من القرن الرابع عشـر الهجري وكل سنة إلى زيادة كثيرة فإلى متى ؟

القول بأنه حرام مطلقا خطر

منذ خمسة قـرون وكثير من العلماء المجتـهدين الاتقياء يخزنون أو يُقرون المـخزنين كان شيخ الاسلام "الشوكاني" مثلا يُخزن ويقوم لصلاة العـصر والقات في فمه فلما ساء التفاهم بينه وبين أنبل تلامـذته القـاضي "مـحـمـد بن على العـمـراني" حـديد المـزاج أنكر على شـيـخـه "الشـــــوكاني " صلاته العصر والقات في فمـه فقال في رسالة (أن الشوكاني يصلي العصر وفمـه بالقات مملوء فـلا يدري ولا يحسن ما يتلو) فـما أنكر عليه إلا الصـلاة بالقات ولم ينُكر تخزينه فمعلوم أن "الشوكاني" كان يخزّن وهو المجـتهد المطلق التقي لعدم ما يدل على تحريمه والله سبحانه يقول :

﴿ولا تقـولوا لما تصف ألسنـتكم الكذب هذا حلال وهذا حـرام لتـفتـروا على الله الكذب﴾

والأصل الاباحة ولا يدخل فى عموم المخدرات والمسكرات لانه ليس مخدراً ولا مسكراً وعرفنا الاعلام الكبار يخزنون بدون أى حـرج كالحسين العمري وعبـد الوهاب الشماحي وزيد الديلمي وعلى بن حسين المغربي ومـحمد بن علي المجاهد وأبيه وأخيه بتعـز وكثيرين فى كل اليمن بلا حصر .

ولا يمكن أن الشعب اليمني بعلمائه وكملائه وأدبائه ومصلحـيه يطبقون على حرام خمسة قرون وفيهم الآيات القرآنية والأحاديث النبوية .

حوار "قسطنطين يني"
وأدباء اليمن في القات

زار اليمن سنة ١٣٤٠ هـ الاستاذ الكبير أمين الريحاني ومعه الأستاذ الأديب "قسطنطين يني" وقابلا الامـام "يحيى" بصنعـاء وسلما إليه رسـالة من الشريف الحـسين بن علي تعريفـاً برغوبهما فى السـياحة وخدمـة العرب وحثهم على الاتحـاد وأثار "قسطنطين" شعراءَ اليمن بقصيدته في ذم القات مؤرخاً لعام ١٣٤٠هـ وهي:

القات فيه عجاب ... كما يقول الصحاب
درت به الشاة لما ... أن طاردتها الذئابُ
ذاقته فأستعذبته ... وسال منها اللعاب
وإستشعرت برقاد ... وضاقت الأهداب
نامت على الترب حالاً ... نعم الفراش التراب
يظلها القات يحميها ... عن عداها الغاب
ظلت على حالها ... حتى كاد يدنو الغياب
فجاء يبحث عنها ... الراعي ومعه الكلاب
فشامها في رقاد ... يفوح منها الملاب
لم يدر ماذا دهاها ... فهاجه الإرتياب
حتى رأى القات يبدو ... كأنه أعشاب
وفي فم الشاة قدر ... تقضه الانياب
فجِرب القات حتى ... جلت له الأسباب
فأستعظم الطعم في ... مضغه وساغ الشراب
أمسى يجمع منه ... حتى تملى الجراب
مشى يحدّث عنه ... وفي الحديث الصواب
فصدقوه وذاقوه ... مثله وأستطابوا
عادات كل يماني ... مرت به أحقاب
القات لا قوت فيه ... وليس فيه لباب
أغصانه نضرات ... ومضغه مستطاب
زُمرد في غلاف ... من الآلي يذاب
قد إستوى في إقتناه ... الأحباش والأعراب
كل به قال قولاً ... يخال فيه الصواب
بعض قد إمتدحوا ... أكله وبعضُ عابوا
للمادحين له ... الأولين هذا الخطاب
أن يُخزن المرء منه ... تقوى به الأعصاب
يصفو الدماغ وينأى الكرى ... ويحلو الرضاب
يدعوه في كل يوم ... للمَتكيء الأصحاب
ندعيهم إن أقاموا ... سميرهم إن غابوا
الكل يُخزّن منه ... المَلك والحجاب

صغارهم ونساهم ... شيوخهم والشباب
هم يجلسون اليه ... كأنهم طلاب
فيه السكوت وجوب ... ويُمنع الأعراب
من بعد سَدّ ... شبابيكهم يُسد الباب
لَيّ المدّاعة ما بين ... جمعهم ينساب
ما بين ضم ولثم ... كما تُضَم الكِعاب
حتى يلوح عليهم ... من الدخان قِباب
والجسم يندى فيبدو ... على الوجوه حُباب
ما نفعه أنبئوني ... هل عند شخص جواب
منه عليكم جميعاً ... خسارة لا إكتساب
يضيع الوقت لهواً ... وما لوقت إياب
جربّته وإختباري ... يُجدي به الإسهاب
لا نفع في القات لكن ... فيه الشقاء والعذاب
نتائج الاكل منه ... حزن خناء وإكتئاب
الطعم وهم أكيد ... والنفع منه سراب
الماء في البدء حلو ... وبعد ذلك صاب
للجسم أقتل سم ... ولِلغنى سلاّب
من اكله دون ريب ... بيتَ الفقير خراب
ينتاب جسم الفتى ... قشعريرة والتهاب
وتزهق النفس منه ... والقلب والأعصاب
والرأس يثقل وطأ ... والدوار يُصاب
وفيه يفعل ما لا ... يقوى عليه الشراب
والجفن يذبل حتى ... يغشى العيون سحاب
والنوم يحلو ولكن ... ما إن إليه إقتراب
والصدر فيه من الوخز ... والعذاب حراب
وسوء هضم وقبض ... منه يغيب الصواب
ويعتري بعد هذا ... المفاصل الإضطراب
والنسل يضعف منه ... وتضعف الأنساب
القات لاتزرعوا ... وليُسدل عليه حجاب
بالبن عنه إستعيضوا ... فالبن منه إكتساب

وسوقه رائج | في الدنيا له طُلاّب
هذي نتيجة خبري | ما في كلامي إرتياب
ستدركون بياني | إذا أميط النقاب
في تركه آل ودي | أجر لكم وثواب
لم يبق أرخت ريباً | القات للقتل باب
٢١٣ ٥٣٧ ٥٩٠ ٥

سنة ١٣٤٠

جواب عبد الكريم مطهر

وأول جواب على قسطنطين كان للقاضي الأديب عبد الكريم بن أحمد مطهر منتصراً للقات ومشيرا إلى أن الاكثار من كل شيء ضار ومؤرّخاً للعام :

يا نفثة من بليغ | يحلو لديها الجواب
أنستَ قربا وأهنى | عيش الولوع أقتراب
أهديتَ نقلي وأن لم | ينقل لديك صواب
سوى المديح فراح | مشمولة وشراب
لولاه شاق نفوساً | غذاؤها الأداب
فقد سلكت طريقاً | لوح فيها السراب
الصقت بالقات ذما | وذاك شيء عجاب
ما كان للقات ذم | ولا تحقَّق عاب
إلا لمن لم يذقه | فالجهل للعذر باب
من لم يذق خبر شيء | يَعِبْه قال النجاب
فالقات قوت صلاح | يُجلَى به الاكتراب
ويمنح النفس روحا | له النشاط قراب
ورقة في فؤاد | تعنو لها الالباب
وللقلوب حضوراً | به الدعاء يجاب
ويرفع النفس عما | يَشينها أو يعاب
فلست تلقى ذويه | تميلهم أكواب

قد طهّروا النفس عنها ... فما تعدوا وخابوا
ولا النقائص يدنو ... منها إليهم شهاب
كل الفتوّة عندي ... للقات فيها أنتساب
وما زعمتَ فوهم ... والوهم فيه تباب
ما القات سم وربي ... ولا به الا وصاب
ولا تثاقل جفن ... منه ومادت رقاب
نَعم مزاياه جمّتْ ... ونفعها خلاّب
ينفى الفتور ويدعو ... إلى الهنا فيجاب
مجَففّ لبخار ... ترقى به الاعصاب
وكم ترى ذا بخار ... والجسم منه مصاب
سخن ويهنا ... علا من الشاي قاب
بل قيل ذاك وهذا ... ضمتها الأنساب
وقد ذكرتَ مضارا ... عمرا نهن خراب
من أكثر الخبز أكلاً ... جرى عليه الخراب
كذلك الماء شربا ... يردَى به الشراب
فادمم على قود هنا ... ما أنت فيه شباب
ولست ترضاه رأيا ... إذا أقيم حساب
ما المسرفون صحابي ... أولئك إلا ذئاب
ولا الذين عليهم ... من الدخان سحاب
فالاقتصاد طريق ... مضت عليها الركاب
ولم تر الخسر فيه ... يبدو به الارهاب
في القطر هذا ومنه ... مجيئه والذهاب
وما عهدناه يُلهي ... عما به الاكتساب
بل ربما كان عونا ... يُنفى به الإضطراب
ويبعث العزم فيمن ... له الفتور حجاب
وكلما قلتُ حق ... لم يبق فيه ارتياب
والشك أقرب شيء ... تمجه الالباب
يامن أجاد نظاما ... وخانه الانتخاب
هلاّ نهضت خياما ... لها الخيال قباب
فقلت ياما أحيلا ... قلوبه إذ تذاب

زبرجـــــــــــدليات لـونٍ — للـطف فــــيـــهـــا نصــاب
منهـــا المـــذاق شـــهـي — كـــالـشـــهــد أو ذا الـرضـــاب
وكـلمــــا جــــاء جـــيش — لـلهـم منه أكـــتـــئـــاب
وخــــالـط الـنفس كــــرب — تـضـــيـــيق منه الرحــــاب
غـــــزوته بـرمـــــاح — منهــــا لكـربي عـــقـــاب
تاريخـــه (الـقـــات حـــقـــا — ... فى مـصـــه استحـبـاب)

١٣٤٠

فأجاب قسطنطين على عبد الكريم بقوله :

قـــد أتانـى رقـــيم عـــبـــد الكـريم
يـتـــهـــادى أنـعم بـه مـن رقـــيـم
رام فـــيـــه تـفنيـــد مـــا قلـت في
القـــات دفـــاعـــا عن حـقـه الـمـهـضـوم
وأرى النـاس فى قـــصـــيـــدته إني
قـــد صــرت فيِ عـــداد الخــصـــوم
لا مـني فـي كــــتـــابتي وأنـا أدرك
أنـي في الـقـــات غــــيــــر ملـوم
لم أعـــارض مـــا قـيل فـيــه كـمـا عـارض
قـــــولـى بـرأيـه الـمـنـظـوم
أن يفـد أكـلـه جـسـومـاً قـد إعـتـادت
عليـــه يضـــر بعض جـــســوم
مـــثل أخـذ الشـراب فـيـــه عـــلاج
وإذا زاد كـــان شـــر الـســمــوم
فـــإذا جـــــار أكـلـه لـغـنـيِ
الف الـبـــذخ لم يـجـــز لعـــديم
فـــكـــلـــوه إذا أردتـــم ولــكـــنـــي
بقـي على أعـــتـــقـــادي القـــويم
إنمـــا الـمـــاء لا يـضـــر تعـــاطيـــه
كـــمـــا جـــاء فى الـكتـــاب الكـريم
كل هـذا نتـــيــــجـــة الخــبــر
لم أبـحث عن الـتـحليـل والتـــحـــريم
إنمـــا البـــحث كـــان بحث اقـــتـــصـــاد
وأحـــتـــفـــاظ لـكل جـــسـم سلـيم
وعـلـى كـل حـــــالـة فـكـلامـي
لـيس إلا كـــلام خـل صـــمـــيم

جواب عبد الله بن إبراهيم

وأجاب على قسطنطين السيد العلامة عبد الله بن إبراهيم بقوله :

إذا استطاب حباب ... يربو وطاب الشراب
من كفّ غيدا وساق ... يطيش منه اللباب
وقد تكون الحُمِيا ... بابا لشر يهاب
هذا لمن هام فيها ... وما نهاه الكتاب
أما الذى لا يراها ... حلاً وعنها يراب
ففيه للعقل والمال ... والعفاف النهاب
فليس يدنو إليها ... ولا بلهو يعاب
وقد تكلم قوم ... في القات لما أستترابوا
وأعلنوا بعيوب ... فيه عداها الصواب
ومنهم الفذ فى ... آدابهم والشقاب
سليقة أفصح القول ... لم يفته أكتساب
سميه الملك قسطنطين ... فخراً له إليه أنتساب
سمعت منه مقالا ... فيه العجيب العجاب
ولاح منه التجني ... والوجد والالتهاب
قالوا وارخ ريبا ... القات للقتل باب
وليس ذاك ببدع ... البدر قالوا يعاب
وذاك أن صح ظني ... وزال عنه النقاب
محصول أفراط مضغ ... لم يُرعَ فيه النصاب
فالقات من خير مجد ... نفعا عداه العقاب
هذا وأني بعجزي ... أدري وحسبي جراب
أحوي به رأس مالي ... إذا أظل السحاب
فرأس مالي سراب ... وهل ينال السراب
وللبلاغة قوم ... قبلي بهذا اجابوا
والنظم ارخ (أقفِل ... بالقات للقتل باب)

٢٠٠   ٤٣٤   ٥٩٠   ٥

سنة ١٣٤٠

جواب زيد الديلمي

وأجاب أيضاً السيد العلامة زيد بن علي الديملي :

آلٌ ضحًىً ؟ أم سراب ؟ ... أم روضة تستطاب ؟
أم غادةٌ إذ تجلت ... وما عليها نقاب ؟
قالت بنغمة صوب ... (القات فيها عجاب)
فقلت أعجب شيء ... للروح راح حباب
هذا البخاري(١) فيما ... قد صحح الاصحاب
الهم يطرد عنه ... والغم والاكتئاب
قالت به كل داء ... فقلت عنه يذاب
تَرياق كل عليل ... منه الهوى يستطاب
ومن بخارِ كثيف ... والهضم منه العجاب
وكم سرور ونفع ... ونشوة لا تعاب
وكم كسا الفكر نوراً ... إذا عراه ضَباب
وكم مسائل علم ... رقّت ورق الجواب
والاهدل الفضل علما ... إذ قال وهو العباب
في القات سر عظيم ... وما عليه حجاب
أهل الطريقة قالوا ... قوت لنا وشراب
وعنه للذكر نقوى ... لا يعتز بنا اكتئاب
والقول عندي فصلا ... إلى زعيم يُجاب
أن القليل دواء ... يرضيك منه الرضاب
ومن يجاوز حدا ... اكلا فضر يثاب
تاريخه (جاء حقا ... ترياقه مستطاب)

١١٢ ... ٧١٦ ... ٥١١

سنة ١٣٤٠

قوله : و"الاهدل الفضل " اشار إلى أبيات السيد العلامة "محمد بازي بن عبد القادر الاهدل" وهيِ :

(١) قات البخاري مشهور جداً

إنمــا الـقــات نعــيم أكــبــر
فــبــــهِ عنا يـزول الـكـدر
شــرحـــه لـلصـــدر أمــر ظاهر
مــا لـه قـط لبـــيب منكـر
يدفـع الصـــرع وكــابوســا كـمـــا
قـد حكاه عــارفــون اخــتــبـروا
وإذا مــا لـم ينقــه جــاهـل
فــهــو بـالجـهل له قــد يعــذر
أو تـغــالت فــئــة فـي ذمـه
فـــأعـــذروهم إنمـــا هـم بَقــر
فــهنيــئــاً لـلـــذي يأكـله
وهـو عن فـــوت صــلاةٍ حَــذِر
وكـــذا تـبّـــاً لـمن يعـلـفــه
وبأوقـــات الـصـــلاة لا يشــعـر

جواب محمد بن عبد الرحمن شرف الدين

وأجاب على قسطنطين أيضاً السيد الأديب محمد بن عبد الرحمن شرف الدين بقوله:

خـمـر عــلاهـا حـبـاب	دارت بـه الأكـــواب
أم الـنـجــوم تـدلـت	وطـار منهـا شـهـاب
إلـى المـفـوه "ينّي"	مـن شـأنـه الأداب
فـصـاغ مـنه نـظامـا	تـعـنـو لـه الانـجـاب
وقــال في الـقــات قــولا	يـرتـاح مـنـه الـشـراب
وذمـــه وهـو عـنـدي	أحـق مـا يـسـتـطـاب
ولا أرى فـيـه شـيـئـا	ولا أراه يـعـاب
إلا إذا أكـثـرت في	الـتـخـزين منه الـصـحـاب
فـيـصـدق القــول منه	فـي ذمـه والـخـطـاب
القــات خـيـر كـثـيـر	ونـعـمـة وثـواب
إذا تـنـاولـت مـنـه	القـليـل فـهـو الـصـواب

فإن فيه نشاطا | إن نامت الاعصاب
وفيه راحة روح | أصابه أوصاب
وفيه أيضاً خشوع | عند الذين إستجابوا
لربهم وأقاموا | صلاتهم وأنابوا
إلى بديع السماوات | ذي الجلال فطابوا
ما كل قلب عليه | من الغموم سحاب
إلاّ وفرّقها القات | فهو للخير باب
فالغم يهرب منه | وينفر الاكتئاب
هذا وقد لاح منك | البديع والاطناب
وراق منك نظام | تناقلته الصحاب
وأسلم بقيت أديباً | ترضى به الأسباب
يا ناظم الشعر في القات | قد أتاك الجواب
أرخه (مجد بشعري | والقات في المجد باب)
٦٢٩ | ٥٣٨ | ١٧٣

سنة ١٣٤٠

جواب الامام وولي عهده

ثم أجاب الامام "يحيى" وخمسّهُ ولى عهده "أحمد" بقولهما:

قال الذين أستجابوا لربهم وأنابوا

وللحلال استطابوا القات ليس يعاب

ياأيها الأصحاب

به تزول البلايا به تطيب السجايا

به تهون الرزايا لأن فيه مزايا

لم يحصها الإسهاب

له فضائل تترى تُعد شفعاً ووتراً

فليس تدرك حصراً وسوف تنشر عشراً

منها ويطوى العباب

بـــــــه يزول الـعناء ويســـتطاب الهـــواء
وتكثـــر الـضـــــواء فللـعـــيـــون جـلاء
للضـعف مـنهـا ذهاب

بالقـات يقــوىَ الدمــاغ به الــبــديـع يصــــاغ
به الــقـــراح يســـاغ وللشـــغــور صـبــاغ
زمـــــــــردى يـذاب

إذا شــــدت بصبـــوح ورقــاءُ ذات صـــدوح
وأنشــــدت بمـــديح أكـــرم بشــغـــر مليح
له المـــذاب رضـــاب

مـــورد الخـــد ألمـــا أن سيم مـضناه يومـاً
من الــواذل ظُلـمـــا يامـــا احيــلاه ظَلـمـا
يُشـــفى به الاحـــبـــاب

نديمــــه مـــستــريح لـلـكرب مـنـه نـروح
وللصـــدور شَـــروح وللنـفــوس مـــريح
وللهـــمـــوم شـهــاب

للحـــزن منه إنكســار وللشـــجـــون فـــرار
وللـعـــقـــول مـنار وللغــمـــوم اندحـــار
وللســــرور أقــتــراب

وللســـقـيـم إنتـفـــاع ولـلأوام إمــــــتـاع
للفكر مـنه إجـتـمـاع وللبـــخـــار اندفـــاع
وللـنـشـــاط انجـــذاب

وكم روى الـنـاس عـنه نفــعـا به صـــار يزهو
فـهـو الشـفـا فـاعلمنه لـكـل مـن نـال مـنـه
مـهـما كـفـاه النصـاب

له خـــصـــائص شـــتى خـــذها إذا مـــاإســـتـــزدتنا
يـــبت داءك بـــتـــــاً ويشـــحـــذ الــكر حـــتى
يخـــاف منه إلتـــهـــاب
يدعـــو المـــحب له أن لا تخش شيئاً ولا تحزن
فليـــس آكلي يهـــجن ويطـــرد النوم عَـــمّن
له الجـــليس كـــتـــاب
أو عن عـــيـــون مُكب على كـــتـــابة كـــتب
أو حـــارس قوم حـــرب أو عن عـــيـــون مُـــحب
آبان مـــنه إنتـــخـــاب
لمـــا نأى عنه شـــادن قد حـــار كل المحـــاسن
قلبـــه عـــنهـــضـــاعن وافـــــاه من نالـــه مَنْ
جـــفـــوة وعـــذاب
قـــد حن شـــوقـــاً اليـــه يـــبـــغي الوقـــوف لديه
وقـــــام بين يديـــه وزاره وعـــليــــــه
من الـــدياجـــي ثيـــــاب
خـــدين حُـــسن ولطف فـــوصله لم يـــطب لي
وهجـــره مـــســـتطاب
هذا المـــقـــال هو الأس فـــرســـمـــه ليس يُدَرس
إذا كنت لـــلحق تلـــمس وها إحتـــجاجي يشـــهد
أما الذي قاله قسطـــنطين فهو سراب
إياك بالـــلمع تعـــتـــد إن رمت بالخـــير تســـعد
وها إحتـــجاجي يشـــهد أليس من جـــاوز الحـــد
أكـــله والـــشـــــراب

ولم يسم نفس حرٌّ على إقتصاد ببر
في رغد عيش وفقر ويكون عرضة ضر
ويعتريه إكتئاب

ينال داء عضالاً وسقمه يتوالى
فليس يُصلح حالا والأكل والشراب مالاً
به الكرام تعاب

فخذ من القات قدراً ما لم تنل منه ضُراً
فليس ذلك نُكراً وإنما العيب سراً
فمنه يبدو العجاب

فهاك حكما هو المستقم يا أيها القس
فاسمع لما قلت وادرس هذا الملفق يا
ياقسطنطين منا جواب

هذا النظام إليه فغض من مقلتيه
لما أستقر لديه يهدَى إليك عليه
من الحياءِ نقاب

فقل لنظمك عفواً يتفق من الفضل عفواً
ولا تقل فيه عدواً لأنه ليس كفواً
للدر وهو تراب

فإنه قد تهيأ والفكر بالشغل يَعيَي
فالطف بذاك المحيا واستر ملفَّق يحي
فالستر فيه ثواب

والمحاور كلها تذم الاكثار من القات ....

رجوع قسطنطين عن ذم القات

وتشطيره «ادر غصونا»

ولما تواردت الجوابات على قسطنطين ومنها جواب الامام وولى عهده رجع عن ذم القات وشطَّر وعجَّز قصيدة العلامة الأديب "عبد الله بن الامام شرف الدين" بقوله المناسب للأصل في مدح القات :

(أدر غصونا يواقيتاً من القات)
على الندامى وأرباب المسرات
رشيقة القد باتت فى محاسنها
(زبرجديات أوراقٍ وريقات)
يجلو تناوله قلبى ورؤيته
(عينى وفى طعمه كل الملذات)
يحلو فمي فيه صدري والدماغ به
(طرفي ويحلو به حالي وأوقاتي)
(قلوبه تحمل الاسرار تودعها)
منا الجوارح في ليل المهمات
وثمة تنقلها أثر السرور الى
(قلوبنا ثم تسري في السريرات)
براق معراج قلبي حين يصعده
فكري فيوحي إلي شعري بأيات
كأنما ليلة الاسراء يحملها
(جبريل روحي الى اعلى سماواتي)
زيتونه زيتها الاضوا بها إتقدت
فكل اعمى يراها في الدّجُنات
فتبعث النور فيه مثلما فعلت
(فتيله النور في مصباح مشكاتِ)
(رأيت قلبى اليه قلبُه مقةُ)
يرد عنها اقاويل المنمات
وكل من ذاق اغرته نكهتُه
(فليس بدعا اذا ما ذاق للقات)
(كل المرادات فيه جُمِعَت فلذا)
احبَّه سُوقة منهم وسادات

سيرهم فى لياليهم لذلك قد
(توجهت نحوه كل الارادات)

لـين الـقـــــدود وتـلويـن الخـــــدود
(وتنســـيم الورود ولـذات المـــذاقـــات)
طيب الـمــهـــود وتجـديـد السـعـــود
(وتنغـيص الحسـود وتـنضـيـذ العـبـارات)
(وكم خـصـائص ترويهـا مـشـأئخنا الأعـلام)
عن نـفــــعــــه فى كـل حـــــالات
قـــد جـــربـوه وجــاؤا بعـــد ذلك
بـ (الإثبــات عن ســادة فى الديـن أثبـات
(امـــا ترى قلـم الرحـــمن خط عـلى)
غـــضـــونـه ان فــيـــهــا كـل لذات
وكم تـمنىً مـــحب القـــات لو طبــعت
(الـواح اوراقـــه رسم الـجـــلالات)
(كلـه لمـا شـــئت مـن دنيـا واخـــرةٍ)
تكسب جَـمـيل الجـزا في الـعـالَم الاتى
فـيـه ســلامـة جسِم مع صـفـاء حـجى
(وجَـلَب نـفع ودفـع للـمــــضــــرات)
(وأكلـة منه قـــال الـمـــرشـــدون بهـــا)
تفـــيــــد أكلـهــــا جُـلّ الافـــادات
وتعـــتلي بالهـــداة البـــاحـــثـين الى
(تنـوير ســـر إعــــتكاف الاربـعــيـنات)
(فـمـــا اردت إرتـقـاءً في ســمـــا نظري)
الا وكـــان به تــســهـــيل غـــايـاني
ومـــا بـحـــثـت بأمـــر كنت اجـــهـلـه
(فى الكون الا جــعلت القـات مـرقـــاتي)
(فـــيــرتـقي بي الــى اعلـى مــواطـنه)
وتُجلِس النفس في اســمَـى المـقـامـات
ويبـــعـث الحق فـى روحى فــيـــملـؤُها
(والبـــيـن ينهبــه عـن وجـه مـــرآتى)
(فـتنجلي فى صــفـا ذاتـى فـتـحـسـبني)
مُـــخلـدّا بين احــيـــاءِ وامـــوات
وانجـلي انـا فـــيــــه كى اخـــال له
(ذاتّــا لــــه واراه انـــه ذاتـــي)

(تكـســيــره منتج فى الانتـــهـــاء تُـقّى)
مــبــرهـنا انـه من غـــرس جنات

لا فـــرق فى لـفظه مـــا بـين احـــرفـــه
(وعَـــدهُ عَـــدهُ فـــافـــهـم اشـــاراتي)
(قلـوبُ أحـــرفـــهِ تُـقـــراً وتـأمـــرنا)
بـطـاعـــــــة الـلـه فـى كل الـديـانـات
با لقـــات فـــاق مـــحـبـــوه لنيـل تقًى
(بالاتقـــا في فـــصيـــحـــات العبـــارات)
وبالـصـــــلاة على طه وعـــتـــــرته
القـــائـمـــين لتـــبـــديـد الضـــلالات

البيت الأخير كله لقسطنطين

ولما اطلع قسطنطين على ما قيل :

يا اهل أعطونا جَزيتم ، أى يا اهل «شار» أعطونا قات جزيتم نعيما وملكا كبيراً

٥٠١ ٥٠١ ٥٠١

و«شار» من مواطن القات نظمه فى هذا المثلث :

لـهـــذا المـــثـلث شـــمنا الـرواة
نؤرخ فـــيـــه كـــلامـــا خطـيـــرا
فـــيـــا اهـل (شــــار) نُؤمّل قـــاتا
جـزيتـم (نعـيـمـــا وملكا كــبـيـــرا)

وقد مدح القات "محسن بن عبد الكريم اسحق" بقوله :

سـقى الحـيـــا عـــافش و"العـبـسًـا"
مـــواطـن القـــات فـلـن تبـــؤســـا
إن اخـــذ القـــوم بخـــارُ الـكوى
وكـــادت الاعـــين ان تـفـــســـا
رعـــه الـقـــات كـــتـــرويـع
ذكـــر الـلـه ابلـيـس اذا وســـوســـا
لا وقـت فى الـدهـر كـــاوقـــاتـه
اروح لـلانـفـس او انـفـــســـا
حـــمـــائـم الافـــراح من غـــصـنه
تُـصـــــاد كي تـنـهـب هـذا الأسَـى
فـــعـــــاطـني منه انـابـيـب مـن
زبرجـــد قـــد كـــســـيت سندسـا

وللاديب "محمد بن احمد بن ابراهيم الشامى" مشبها ومضمنا :

لمـــا بدا ادعـج العـيـنين مـبـتـسـمـا
كـــأنه الـبـــدر يجلـو ظلمـــه الـغـــسق
والقـــات في فـــمـــه فـيـروزج وشِـفـــاتُ
الثـــغِـــر يـاقـــوته والوجـــه كـــالفـلق

فـــقلـت من عـــجب هـنا بمـــبـــســـمـــه
(فـــيـــروزج الصـــبح ام يأقـــوتة الـشـــفق)

تخاميس "ادر غصونا بواقيتا من القات"

ولقصيدة (ادر غصونا) اربعة تخاميس:

اولها "لعلي بن الامام شرف الدين" :

يا راح روحــي وريحـــــانــي وراحـــــاتي
بأنـصب عـــيـنـي وراحي في مـــــســـــراتي
ادر عــلى ولا تـخش الـمـــــلامـــــات
ادر غـــــــصـــــــونـــــا . . .إلـخ

ثاينها -" للحسين بن علي بن المتوكل اسمعيل" : :

يا قـــدس قلبــي ويا مـــحراب مـــيــقـــاتي
ونور عـــــقـــلي فـي حــــال المـناجـــــاة
بـــروح روحـــك يـــاراحي ولا حــــــاتي
ادر غـــــــصـــــــونـــــا . . .إلـخ

وثالثها - "لاحمد بن حميد" :

يا من عـــلا مـــا عـــلا زهر الســمـــاوات
ومن ســـمـــا مـــا ســـمـــا اعلى المـقـــامـــات
ومن حـــوى كل اســم في العـــبـــارات
أدر غـــــــصـــــــونـــــا. . .إلـخ

رابعها - "لعبد الله بن ابراهيم بن احمد" :

يا مــن بدت شـــمـــــســـــه بين الـدريات
لا تسـقـنـي قـــرقـــفـــاً مـــالي بقـــهـــوات
ولا بصـــهـــبـــا غـــبـــوقـــاً فى العـــشـيـــات
ادر غـــــــصـــــــونـــــا . . .إلـخ

وكلها موجودة بخط المؤرخ زباره رضى الله عنه .

وللسيد "احمد بن شرف الدين القاره" في مدح القات :

القـــات فـــيـــــه حـــيـــاة الـروح والذات
وفـــيـــــه طيبٌ لا ســـقـــام الســـريرات
يجـلو الـهـــمـــوم عن الـقلب الـكـلـيم
ويـنـفي الـغم عـنه ويأتـى بالـمـــســـرات
ســـر من الـله فـــيـــه مـــودع فـلذا
تلقـى اســـمـــه في شـــريفـات الـوريقـــات

بـه ترق قـلوب وهـي قـــاســيـــة
من مــخــتل فـي عــبـادات وطـاعـات
للصــالــحـين مــقــامــات بحـضــرته
يـرقى بـهم ســــررا نـحـــو العـنايـات

وللقاضي العلامة علي بن عبد الله الارياني في ذم القات :

تولـعـــتمُ بالقـــاتِ والقـــاتُ قـــاتلُ
وفى حـــذف حـــرف الـلام منـه دلائل
وكم قـــد رأيـنا من رجـــال تـولعــوا
فــقــد ثكلتــهـم بعــد ذاك الثــواكل
اضـــاعــة مـــال ثم فــقــر وفـاقــة
ويـبس يـضــــر الجـــسمُ ناحـل
ومـا هو الا الضــر من غـبـر شـبـهـة
ويُـقطـع بالاكــــثـــار منه التـناسـل
وكم فـــيـــه من داء عـظيم واتـمـا
لأجل الـتـداوي بـعــضُــه يتّـناوَل
قليــلا لاذهاب البــخــار وانه
يُفــرح احــيـانـا وتلـك قــلائل
ولكـنه مـن بعــد يـورث غــمــة
علـى القـلب منهــا الـكرب لا شـك نازل
ومنـه يزول العــقل من غــيــر مـرية
ومنـه الســهــاد الاعظـم المــتـطاول
فــلا تكـثــروا من اكله يـا احــبـتي
وقــد يقـبـل النصح الـرجــال الافــاضل
وقــدر الـذي يُعـطى المــريض تـداوياً
ثـلاث من الـربط الـذي يتــفــاضـل
تـكـون مــــلان الـكـف دون زيـادة
وقــدر الذى يُعطَـى الصــحـيح الحــلاحل
الى ربـطة والـخـــيـــر في نـصف ربـطة
فـــهـــذا الـذى أومى الـيــه الاوائل
ومن رام قـــولا غـــيـــر هذا فـانـني
احــاكـمــه يومـا بمـا هو قـــائل

بقوله :

سمعت نظاماً صاغه الماجد الذي
به آريان فخراً في البلاد تطاول

علي بن عبد الله عمته رحمة
من الله ما دامت تسير المنازل

ابان خواص القات فيه مخففا
وقدرَ الذى منه يباح التناول

فقلت مريدا ان أُنيّله بما
يُقَّر بما قررت فيه الافاضل

ألا انه لا شك في الطبِع يابس
وقل هو ايضاً باردُ ياحلاحل

ومختلف حسب البلاد بزرعه
وبالطبع ثم الذوق لا يتشاكل

فطوراً نراه فى اليبوسة غايةً
مع الضر والتحذير والبعض عاطل

وفيه مضرات وفيه منافع
وبينهما ان كنت تدرى فواصل

ففيه من الاضرار تقليل باءَة
ويبس الى الَقولنج لا شك واصل

وهذا الذى قررته في كثيرة
وليس يضير المرء منه القلائل

فان نصاب القات فيه مقدر
بضعف الذى ضمت عليه الانامل

وان كنت في ارض الوباء وخفت ان
تسوق لك الامراض تلك المنازل

فأحُسِن باكل القات فى حفظ صحة
اذا اختلفت للشاربين المناهل

وفيه من النفع العظيم بانه
يزيل بخاراً اغفلته الصياقل

ومن يك من ضر الرطوبة خائفا
ففي القات تخفيف الرطوبة حاصل

ويطرد نوماً أن أردت تهجدا
فنعم المعين أن تقام النوافل

يزيل الهموم النازلات على الفتى
فتهرب عن قلب الكئيب الشواغل
ويعطيك افراحاً ورَوحاً وراحة
كأنك مابين السماكين نازل
ويغني عن الصهبا وليس بمُسكر
وليس بمحظور فيأثم أكل
ولاسيما قات البخاري أنه
اصح كما قال الرجال الافاضل
وليس يجاريه بميدان فضله
كجرأن فاترك مايقول العوازل
فما "شاَر" ما "المعكى" ما "البحرين"
وما "السماَوي" و"قات العافشي"(١) يماثل
فشرح البخاري صح فينا رواية
وفضلاً وأن قال الحسود المجادل
تعض على ماقاتهُ بنواجذ
شِداداً فان الحق فى ذاك كامل

وقد اعتذر بعض آل اسحق عن تاخره عن الحضور إلى مجلس أخوانه بقوله:
مولاي عفواً أن تأخرت عن
مجلس أُنس ماله ثاني
فحسن ظني بك فى العفو قد
اطمعني والقاتُ جَرانِي

وقال الاديب ابراهيم بن صالح الهندى المتوفى سنه ١١٠١ هـ مشبها :
أشَبّهُ ثغزه والقات فيه
وقد لانت لرقته القلوب
لآل قد نبتن على عقيق
وبينهما زمردة تذوب

(١) البخاري وجران وساور المعكم والبحرين والسماوة وعافش : أسماء محلات مشهورة بالقات

ولمزيد الفائدة نلخص باختصار من :

ندوة عن القات عُقدت بمركز الدراسات

اصدر مركز الدراسات اليمني (كتاب اللقات فى حياة اليمن واليمنيين وفى اخره ندوة نظمها المركز في الفتره مابين ١٨-١٩ / ٣/ ١٩٧٩ م حضرها الاستاذ احمد المروني والدكتور "عبد العزيز المقالح" والاستاذ "أحمد جابر عفيف" . والدكتور "محمد عبده" ، والدكتور "باهر عتلم" ، والدكتور "شوبن"(المانى الجنسية) ، والدكتور "سيد مصطفى سالم " والاساتذة : " زيد حجر" و"عبد الوهاب المؤيد" ، و"عبد الرحمن قاضي" و"احمد المقالح "و"احمد الصرفي" والاطباء : "عبد الله الحربي" و"عبد الرحمن الشَّرعى" و"مُحيِى الدين عتله" و"عبد الرحمن الحداد" ، "وفاطمه الاكوع" و"عبد العزيز السياغي" و"امينَ قائد اسعد" و"فاروق حسن" و"محمد الحدايا " و"ابوبكر القربي" .

وفي المقدمة كلمة للدكتور "عبد العزيز المقالح منها قوله :

ان القات ليس كالحشيش والافيون أو أي المخدرات كما ذهب اليه بعض الاقطار وليس إدمانا فليس الشعب اليمني مخدّرًا ، وتناولُ القات عادة يمارسها رجلُ الدين والموظف الكبير والمثقف والعالم والطبيب والتاجر والقروي والحضري فهي عادة بريئة والمخيف فيها انها تطغى على سائر المحاصيل الزراعية وفي مقدمتها البن ويتزايد المعتادون للقات فى الريف والمدينه بعد أن كان في المدينه ثم الاهم الغلاء الفاحش المؤدي إلى حرمان الاسرة من الضروريات وإلى الاختلاس والرشوة ولو أرتفعت المرتبات وانها قد جرت ابحاث عن القات فى كاليفورينا وفلسطين ومستشفى الكويت بصنعاء ، ومنظمة الصحة العالمية بسويسرا (والدكتور صالحوف في باكو)

ان من ايجابيات القات اللقاءات اليومية التى تجمع الاصدقاء في ندوات فكرية او تاريخية وادبية او احاديث متنوعة عن العالم والوطن ووسيلة للقراءاة الجادة والمناقشة المثمرة يندر وجود مثلها في غير اليمن حتى ان بعض الدارسين المصريين اخذوا فى تناول القات لذلك .

وقال د . "شوبن" الالماني ان مجالس القات عادة ظريفة ومسلية تشد الاجانب اليها وهى طريقة إعداد المكان لها والجلوس على المداكي وتناول اوراق القات ومضغها وشرب الماء تدريجا الى غيرها من التقاليد .

وينبغى توفير التهوية وتوفير الكؤس لكل شارب منفرد للصحة .

اما الاقتصاديون فقرروا ان المال يغادر المدينة الى الريف الى صناديق قديمة قد لا يستثمر في تدعيم الاقتصاد ، والقات هو المتهم البرىء قد يلعنه آكله ويقرر ان يهجره ابداً ، وفي اليوم الثانى يهرع اليه ناسيا قراره للعادة لا للادمان فمن يتركه لا يحس بأي تغيير قد يدركه تارك الدخان ،

وانقسم حاضرو الندوة الى قسمين :

ـ قسم يحارب القات لمساوئه الكثيرة . . .

ـ وقسم يدافع عنه كعادة يمنيه كالتُّنبُل فى الهند. . .

وسأل احدهـم ايهما اخطر على الصحـة القات ام السيجـارة ؟ فاجاب الاطباء بـالاجماع ان السيـجارة اخطر، ثم سأل ثانيـا ايهما أخطر على الاقتـصاد فاجـاب الاقتصاديون بالاجـماع ان السجائر اخطر لانها مستوردة كلها او موادها .

(احمد المرونى) : من اسباب ما دعانا الى دراسة القات قرار الجامعه العربية بادخاله فى قائمة المخدرات ، ومضاعـفة اسعاره ، ومشكلته الاجتماعيـة والاقتصادية ، وانه ابتلع البن . وعنصر القناعة هو الحل الامثل ويعتـمد على سلوك المثقفين ، والإجرأات الـقسرية لا تلائم فالمطلوب وضع منهج اعلامي لمدة طويلة يشتـرك فيه الطبيب ، والاجتماعي ،والاقـتصادي ، كما انه لابد من نشر وسائل الترفيه في النوادى وغيرها .

د. الحريبي : عادة القات لعبت دورا في التقاء الشعراء والعلماء وارباب الفكر فنتجت دراسات دينية واجتماعية وادبية ، وتناوله عادة لا ادمـان ونسبة التخدير فيه ضئيلة جدا لا تضـر بالصحـة كـالمخـدرات الاخرى ،والمـقـارنة بينه وبين المـخدرات ظالمـة والمهـاجرون لا يتأثرون بغيـابه ، ومن السهل تركه واليـمن زراعي والقات اكثـر ربحاً كزراعة ولا تحتاج زراعته الى عناء وهو الملجـأ الوحيد للاجتماعات وهو منشط عكس المخدرات ، وانتشار حـصَى الكلىَ للطقوس التى يلتزم بها متعاطيـه وهى عدم تعاطيه للسوائل في الصباح ، والمـشيءَ الكثير والحمامُ البخاري يفـقدان السوائل بالعرق وهو يفعل ذلك ليلتذ بمضـغه ، وشرب الماء البارد بحرارة ، وفقـدُ الجسم للسوائل يُسبّب قله إفراز الكلى للبول فتترسب الامـلاح في الكِلَى ومسالك البول ، إذًن فالطقوس هى السبب لا القات .

وامراض مسالك البول تشجع على السل والبلهارسيا وغيرها ، ونقص الشهية والغثيان عند البعض قد يكون عن القات او الكيماويات التى ترش عليه او الحشرات العالقة به وضغط الدم يرتفع عند تعاطيه ويشكو بعض متعـاطيه من افرازه سائل منوى بعد التبوُّل فينصحهم الاطباء بأخذ الزر أثناد مضغ القات فـتنجح الوصفة ، ويسبب لكثرين امساكا شديدا قد يسبب البواسير وقد يسبب السـهر والشرود عند البعض بعد القات وقد يسبب تجلّطاً فى الاوعية الدموية للسيقان بسبب الجلسة التى تدوم ساعات ، والقات القليل لا يترك اثراً مما ذكر .

د. عوده: فى القات تحرير الناس من أتعاب العمل لكنه حلّ محلّ البن وحوّل المال من المدينة الى الـريف الذى يفترض انه المُـموِل للمدينة وسـبب فى عدم الاستـقلال

الاقتصادى وفى استيراد المواد الغذائية وعدم الاعتماد على النفس . وقد تنقطع المواصلات بحرب كونيه فيتعذر استيرادها وحينئذ لا جدوى فى القات مع عدم كفاية المواد الغذائية ، والقات ليس المشكلة الوحيدة فيُهاجَم بمعزل عن سائر المشكلات الحَلاّن تكتيكى واستراتيجى : فالتكتيكى بالإعلام ووسائل الترفيه الاخرى والاستراتيجي بخطة بعيدة المدى خاصةً ان ضرب المصالح الاجتماعية بمنع القات لهذا المجتمع ،والمزارع عقلاني يزرع الذى يدر له ربحا سريعا واقناعه امرٌ صعب ، والتحريمُ بالقانون امرٌ خطرٌ طالما ان القات مقبول في المجتمع فيجب ان تفكر فى العلاقة بين القات والانتاج وتخصّص جلسات لظاهرة القات والمشكلات الاجتماعية ضمن خطة التنمية فى الدولة .

د. عتلم : القات لَعِبَ دورا في تطوير الريف بتحويل المال الى الريف .

د. شوبن : بعد الثورة انتشر القات بشكل اشمل وبسرعة . مثلا في عامي ٧٤ و ٧٥ أُستبدلت الاراضى الشاسعة المزروعة في عَمران بزراعة القاًت .

د. الحدّاد : للقات ايجابيات يساعد على التركيز في الاعمال الذهنية ويرسّخ ويزود الروابط الاجتماعية ، وسلبيات اقتصادية ونفسية يَهدم الاقتصاد ويضيع الوقت وميزانية الاسرة ويقود الى الاكتئاب واستعمال المشروبات الروحية .

د. المقالح : معلوم ان المخُزّن يعمل خمس ساعات دون كلل فليس عاملا فى تضييع الوقت .

د. سيد مصطفى : بعض الفلاحين والفلاحات يخزنون صباحاً ومساءً فيخفف من متاعبهم ويساعدهم على اعمالهم وجلسات القات للمثقفين جلسات عمل .

احمد المقالح : القات عامل استنزاف ومُخدّر اعتبرته منظمة الصحة العالمية والجامعة العربية محرما دوليا ، واليمن ضعيفة الاقتصاد لا تشير فى خططها الى ظاهرة القات ومشاكله ومن غير الطبيعى ربط استنارة الرأي العام والانتاج الفكري والادبي بتأثير القات.

عبد الرحمن قاضي: للقات تأثير ايجابي في العطاء الفكري . ومساواته بالمخدرات وتحريمه تهمه ويساعد على السيولة النقدية التى تحل كثيرا من المشكلات .

د. المقالح : القات مرض اجتماعي له جذور تاريخية ويجب البحث عن الاسباب لزيادة انتشاره بعد الثورة .

د. امين قائد: يصعبُ الجزم بمضار القات واتضامن مع الاخ الحريبي وعلى الرغم من وجود اثار سلبيه على البروستاتا بسبب تعاطي القات فلا يؤدي الى السرطان ولا يؤثر على أى جهاز تناسلي أو بولي أو هضمي ولا يؤثر على أى جهاز فى الجسم

،واتضامن مع الاستاذ المروني ، واضيف اقتراح تحديد ايام تعاطي القات وتقنين زراعته كالربع من الارض والباقى للحبوب والفواكه .

د. زيد حجر . اكدت الباحثة السويدية "آنا" ان المُخزنات لا يكفي حليبهن لاطفالهن عكس غيرهن من غير المُخزنات فالحليب متوفر فيهن لأطفالهن .

د. محيى الدين عتلة : مرض السكر قليل في مدمني القات بالنسبة لغيرهم أجريَتُ تجربة على خمسة عشر مريضا بالسكر في مستشفى الكويت غير مدمنين للقات لم يسبق ان عولجوا فتم اخذ ٥٠ غراما من القات المسحوق ممزوجا بـ ٥٠ غراما من الكلوكوز وصِيفت وخُفض الحجم الى ٢٥٠سم ثم أُعطيت للمريض ما بين نصف ساعة وساعة ونصف وبقى اسبوعا دون علاج يتناول اكلا محدودا وكررتُ التجربة مرة اخرى فاتضح من الرسوم البيانية ان الخط الثانى كان في البداية موازيا للخط البياني الاول الذى يعكس حالة المريض المتعاطي للقات خارج المستشفى والذى ياكل كيفما يشأ . وبحكم ان المريض قد خُصصت له مواد من الأكل نسبة النشويات والسكر فيها قليلة انخفض الخط سريعاً فدلّ على ان القات يؤدي الى تخفيض نسبة السكر فى دم المريض إذاً ما هو التعليل العلمِي ؟ القات مرغوب من اليمنيين بسبب مادة «الكاثين» Cathine التى تم الحصول عليها بطريقة نقية فوجد انها تعود الى مادة (نوسوادفرين) تبين انها ترفع سكر الدم فمادة« الكاثيين» اذاً هى التى تعمل على تنشيط الجهاز العصبي وعلى رفع نسبة السكر في الدم وهذا يقودنا الى البحث عن مواد لانخفاض في مكونات القات حامض (التانك) Tannic وبعض المعادن كالماغنسيوم وثبت بيولوجيا ان هذه المعادن تقلل من نشاط المعده والامعاء ونشاط الافراز والهضم والامتصاص فقلة امتصاص الدم هو السبب في انخفاض نسبة السكر فيه ، وبعد ساعتين ونصف وصل انخفاضه بتأثير القات المشروب الى الحد الاقصى ثم عاد وارتفع ثانيةً بسبب إتحاد «التانك» مع البروتينات التى تفرزها المعدة اما «الماغنسيوم» الذى يؤدي نفس التأثير فقد امتُص وتم التخلص منه بطريقة اخرى ومما يقود الى ارتفاع السكر مرة اخرى ان معوقات القات قد ازيلت ثم ينخفض من جديد بسبب غياب السكر في الامعاء فقد امتص تدريجاً خلال ساعتين وتبين ان مواداً اخرى في القات تؤثر على مادة (الانسولين) Insulin التى تساعد على احتراق السكر واستعماله فى الجسم . وتبرز افتراضات. . هل فى حالة المرض بالسكر يكون الانسولين متحدا بنوع من البروتين فيعيق الوظائف الخاصة به ؟ هل توجد في القات مادة تفك هذا الرباط فيزاول الانسولين نشاطه كما هو الحال فى غير المريض ؟ هل ضمن مكونات القات مواد قلوية اخرى تساعد البنكرياس على افراز الانسولين وتكوينه ؟

وثمة افتراضات أخرى ، وعملنا بحثا آخر لمعرفة تأثير القات على البروتينات والمواد الدهنية والمعادن فى الجسم وارسلنا عينات من التحليل الى جامعة عين شمس ولم تنشر النتائج بعد ، ومتعاطو القات ثلاث مجموعات :

الاولى : بعشرة ريالات

والثانية :بعشرين ريالا

والثالثة : بثلاثين ريالا فاكثر

والرابعة: لا يتعاطون القات

واتضح ان جميع مكونات الجسم لا تتأثر كثيراً عند الاولى ، والعكس عند الثالثة الذين يتأثرون كثيراً بالفعل الحاد عن نسبة الدهون فى الدم وتقل نسبة البروتينات مما يؤدى الى زيادة نسبة تكسيرها وبالتالى الى ظاهرة التهديم فى الجسم فيؤثر على تجديده كما اتضح ان كميات الكالسيوم CALCIUM البوتاسيوم POTASSIUM عالية عند جميع متعاطي القات ، ونتائج البحث لم تنته بعد ، واذا كان متعاطي القات يرغب في الراحة فيتناول مادة نوسوا ندرين ولا يتناول القات الذى يحتوى على جوانب ضارة وتحديد ايام للقات لا يفى فقد يحتفظ به لأيام قادمة .

د. فاروق حسن : اشار الدكتور محيي الدين الى المادة الاساسية المكونة للقات (الكاثيين) واتضح من بحوث اخرى انها تدخل قلويات اخرى في مكونات القات هى (الكالوتيس) -CAL-OTHIS او الكاتين CATHINE والكادنيل CADNILE والكاتنيل CATHNILE اما مادة الكالوتيس فلا تزال مجهولة اما مادة التانك اسيد TANNIC ACID فهي معروفه والتاثيرات غير ناتجة عنه بقدر ما هي ناجه عن الكاتنيل والكادنيل .

د. القربى : جعل القات علاجا للسكر يحتاج الى دراسات تفصيلية وما قاله د. "محيى الدين" له تفسيرات فامتصاص السكر يتم بحكم دخوله في عمليات اخرى لان كمية السكر الموجودة في الأكل يمتصها الجسم وفي حالة عدم إمتصاصها تنزل الى الامعاء الغليظة وتسبب مضاعفات اسهال عكس التى يسببها القات وهى الانقباض فالمدخل الصحيح للبحث التركيز على مختلفين من ماضغي القات ومن المصابين بالسكر ومن مناطق مختلفة .

د. الحدايا : القات انواع منه مالا يسبب الاكتئاب بل الانبساط وآخر يسبب الانزواء والقات الاثيوبى يختلف عن اليمني وهذه نقطة يجب اعتبارها .

د. السياغى : القات يسبب سوء الهضم والامساك والضعف الجنسي والسهر والارهاق .

د. الشرعى : دراسة د . محيى الدين بداية واختلاف القات واختلاف تاثيره على

الجهاز العصبى والتناسلى واختلاف تاثيره على شخص وآخر يستحق دراسة جادة .

د. الحريبى : الدولة مسئولة عن الحل بالاستفادة من المتخصصين في الاقتصاد والاجتماع والتربية والصحة ، وقد اوضح الدكاتره "محيى" و"فاروق" و"القربى" مكونات عملية للقات فالطريق لن يطول .

انتهت بإختصار الندوة الى نحو ثلثها وهى كاملة فى كتاب القات بمركز الدراسات .

من بحث

(القات منبه)

منشورات منظمة الصحة العالمية

. ترجمة بلقيس الحضرانى

يسُتخدم القات كوسيلة للترفيه الاجتماعى وللتنبيه ، يستخدمه القبائل اثنا سفرهم والعمال اثناء عملهم ، والسائقون ، والطلبة ايام الامتحان ، وكان يشار اليه سابقا (بالشاى العربي) او (الاثيوبى) كمشروب يحدث متعة وتنبيها فهو كنشاط اجتماعى فى مجتمعات اليمن وجيبوتى واثيوبيا والصومال ، آثاره البدنية على الجهاز الهضمي والتنفسي والدوري والتناسلي وعلى الغدد ويحدث التهابا في اجهزة الفم والمعدة وسوء هضم نظراً لمفعول حامض التنيك القابض ، ولوحظ في مستشفى عدن الرئيسى ان نسبة حالة البواسير والفتق الناتجة عن الامساك كانت مرتفعة ، وما يتركه حامض التنيك السام من اثر على الكبد يساهم فى وجود حالات تليف الكبد فى اليمن ، اما في الصومال فقد استخدم منذ القدم لمعالجة الربو ، وينعكس تأثير القات على الجهاز الدوري تبعا للكمية التى يتناولها المخزن تظهر على شكل احتقان في الوجه وزيادة النبض وارتفاع ضغط الدم وما يسبب في خفقان القلب . والارق ظاهرة عامةً خاصةً المتبدئين او الذين لا يقدرون الكمية التى تناسبهم والارق قد يسبب مشاكل نفسية معقدة ولمحاولة إبطالها تتخذ كثير من الوسائل تعرف محليا (بالتفسيخ) كتعاطي الكحوليات والعقاقير المسكنة المنومة ففي اليمن الديمقراطى يكثر تعاطي العقاقير مثل NITC AZSPAM و CIUTHIMIDC .

اصبح القات يحل محل المحاصيل النقدية كالبن ، يصرف المستهلك ٢٥٪ من دخله ينعكس عليه وعلى اسرته فى حالتهم الاجتماعية ، ونظراً لمشاكله الاجتماعية والاقتصادية والطبية نظرت بعض الدول نظرة جادة لمنعة لم يكتب النجاح فى بعضها . اول محاولة فى الصومال البريطاني عام ١٩٢١م ، وفى سنة ١٩٤٥م حاولت حكومة كينيا منعه تدريجا واوصت ان يتولى منعه قادة القبائل لنفوذهم .

اما فى عـدن فقد حُظر اسـتيراده من اثيوبـيا سنة ١٩٥٧م الا انه رُفع سنة ١٩٥٨م . وبعد الاستـقلال قيُدت زراعته وخُـصّصَت ايام الاجازات لتناوله وفى جيبوتى اعـتبرت فرنسا القات مخدرا فمنعته ثم أُلغي المنع ثم اُتخذت قرارات لمنعه فى دول اخرى ففى المملكة العربيـة السعودية صدر مرسوم ملكى سنة ١٩٥٦ بمن زراعـته او تناوله اما فى اليمن واثيوبيا فلم تتـخذ سوى محاولات بسيطة باستـثناء القانون الصادر فى اليمن سنة ١٩٧٢ بمنع زراعته في الاراضى الحكومية وعدم تناوله في الدوائر الرسمية الا انه قوبل بمقاومة عنيفة فأُلغى .

القات .. تركيبة واثارة الصحية

د. عمر حسن العطاس

وصف القات الطـبيبُ النباتي السـويدي "بيتـرور فورسكال" في رحلته للـيمن سنة ١٧٦٨م في كتابه : FIORAAE & RPTIACO ARABICA ونظراً لوفاته قام رفيقـه "نيبور" بنشر تلك الدراسة عـام ١٧٧٥ م وتخليدا لذكرى رفيقه اسـمى شجرة القـات «كاثا ايديولس فـورسكال» وابن بطوطة الرحـالة وصف : ان الناس فى جنوب الجزيرة العربية ومـقديشو يمضغون اوراقـا خضراء من خصائصها ادخـال البهجة على النفس . ان اهم مـا يحتـويه القات هى القلوانيـات المنبهـه واسمـها الكيـماوى .هو دكسترونوريسود وافدرين وبقية القلوانيات هى «قاتدين وقاتنين والافدرين والايدبرلين» . والاحـماض الامـينيـة ومادة الكولـين ، والتنين وهى مـادة قابضـة تسـبب الامسـاك والفيـتامينات والمعـدن خاصة فيـتامين سى (ج) «نباسـين ، ثيامين ، ريبوفـلافين ، كاروتين ، رماد ، الياف ، كالسيوم ، حديد » الا أن نسبتها ضئيلة فلا تعتبر غذائية .

التاثيرات الجسمانية

١- سرعة ضربات القلب . وضغط الدم . ٢- ازدياد التنفس
٣- ارتفاع الحرارة والعرّق ٤- اتساع حدقة العين .
٥- التهاب الفم والمعدة . ٦- الامساك ٧- تلُيف الكبد
٨- ضعف الشهيه . ٩- ضعف الرغبة الجنسية وسيلان المني .

القات واثره السلبى على اطفالنا

د. عباس على زيارة : اخصائي امراض الاطفال

الطفل بحكم تركيبة الفسيولوجي يحس برباط وثيق نحو والديه والحوار معهما ، وقد لا يجدان الوقـت الكافي لرعايتـه لذهابهمـا الى جلسات القـات فيعكس الحـزن عنده

ونسبـة موت الاطفال فى بلادنا كبـيرة وقد تكون لقصـور رعايتهم لاحتـجاب الوالدين عنهما فى المدكا او التفرطه ، ويقال ان ارتفاع نسبة الوفاه فى الرّضع سببه القات لتاثيره على الغدد اللبنيه لان مضغ الامهات للقـات يؤثر سلبيا على ادرار الحليب المنتشر بين نساء اليمن بشكل خاص ، ومن ناحية اخرى قـد تتعرض الام وطفلها لمرض مُعْدٍ من جلسات القـات ساعات فى غرفـة مغلقه مع الدخان وتناول النسـاء قصبة المـداعه مع دخان السجـائر والبخور واكواب المـاء والمباصق المشـتركة الى ما يقـتطع القات من ميزانية الاسرة فيؤثر على غذاء الاطفال . .

ليس في القات ادمان فتركه ممكن

فى عام ١٩٦٥م قام بعض خـبراء منظمة الصحة العالمـية بدراسات ادت الى انه ليس في القات ادمان جسدي والى الفرق بينه وبين مادة «الامفيتامينات» التى تتوفر فيها خاصة التحـمل TOIIERANCE أى الميـل الى زيادة الجرعـة ولا تتوفر في الـقات هذه الصفة فيسهل على الشخص الذى يتعاطاه تركه دون أى اثر .

وفى دراسات الدكتور "سعد قاسم"
بالمنظمة العربية للتنمية الزراعية ما يلي عن القات :

(١) تاثيره على الدورة الدمويـة لوجود «الافيدرين» فيرتـفع ضغط الدم ودقات القلب ومادة «الكاثين » المنبهه تنشط عضلة القلب فتنهكها .

(٢) ويوثر على الجهـاز الهضمي ويُحـدث التهابات للغـشاء المخـاطي المُبطن للفم والتهابات اللثة وربما يعود ذلك الى سوء التغذية الناجمة عن القات .

من بحث للسيدة "انجراس"
التى زارت اليمن قبل الثورة بنحو عشرين سنة او اكثر

كان من المـمكن ان اليمنيين يشكلون مـجتمـعاً اكثر ازدهاراً مـن مجتمع الحـضارة لخصـوبة ارضهم لكن لم تكـن هناك رغبة فى ان يتـخطوا القرون الوسطـى الى القرن العشرين ويسـتفيدوا من البلدان المتـقدمة والسبب إدمانهم لـلقات (كاثا ايدوليس) وهو بلاء يُبدد الوقت ويُشعـر ماضغه انه على قمة العالم وانه قـادر على حل كل المشاكل

وما ان يزول تاثيره حتى يحل الكسل وعدم المبالاة والاكتئاب معظمهم يقضى بعد الظهر مع اصدقائه فى مضع القات وبصقه وشرب الماء في احاديث دون اى فعل . وانني لا ارى أي امكانية لتطوير اليمن والقات يستنفد مواهبه ، من الصعب ان يكفوا عنه وهو فى متناول ايديهم ، وربما زودهم القات ببعض فيتامين ج ، هناك اجماع بين الذين سافروا من اليمن الى الخارج انهم استطاعوا ان يتركوا القات بسهولة اما "نسيولى" و"باربنيلو" اللذان بقيا باليمنِ اكثر من ١١ عاماً فقد اشارا الى السهولة الواضحة للامتناع عن القات بخلاف المدُخِن فلا يستطيع ان يفعل نفس الشيء بالدخان

كما ان المهاجرين الى العربية السعودية يقولون ان احد الاسباب التى تدفعهم الى الهجرة تتمثل فى الهروب من الضغوط الاجتماعية لتخزين القات ولو حصلوا في اليمن على نفس الاجور أو اكثر لما تركوا بلادهم ، والكثيرون من خريجي الجامعات بالخارج يعودون الى اليمن بنظرة ازدراء لعادات القات وسرعان ما يجدون انفسهم يمارسون التخزين خلال اسابيع والا فهم منبوذن عن مجتمع اقرانهم ،وبالرغم من عدم وجود اعراض ارتداديه فسيولوجيه في ترك التخزين فقد حاول بعض المفُرِطين تركه مرارا لكنهم يعودون لتعب ووهن فى الطاقة وكسل عام واحلام مزعجة لليالي بعد تركه بانهم يتعرضون فى حلمهم للهجوم والخنق والمطاردة وجثوم اجسام ثقيلة فوقهم ، اما الذين يخزنون قليلا فلا يحدث لهم عند تركهم التخزين ، لا يشعر الاجانب الذين مضغوا القات لأول مرة بتأثيرات نفسية فسيولوجية على الاطلاق ويتفقون مع "نيبور" ان مذاقه لا يُعطى اية دلالة على تاثيرات VIRTUES غير عادية .

ومن بحث ليوسف محمد المدفعي

القات من اسباب عزلة اليمن وعدم تصديره فائضات زراعية يظل منغلقا غير متطلع الى ما وصل اليه العالم من تحسين الاقتصاد ، شجرة القات لا تنقطع صيفاً وشتاءً وتعمّر نحو عشرين سنة او اكثر في بعض البلدان وفيها مرونه على تحمل البرد والرياح وتصلح في التربه السيئة ولا تحتاج لمجهود كبير ولا لماء كثير ولا مكافحة الحشرات والجراد ، كثير من اليمنيين يرفعون اجورهم لارتفاع اسعار القات ويعتبر البعض اسعار القات مقياسا لاسعار كل شيء ، ولا يساهم في الحصول على عملة اجنبيه فهو كعملة داخلية ونسبة المتعاطين له من الذكور ٧٠٪ ومن الاناث ٢٠٪ ومتوسط متعَاطيه اكثر من مليونين ، ما ينفقه المتوسط ٥٠ ريالا فالمبلغ فى اليوم مائة مليون ريال ، الكُتاب واهل المهن يدفعهم القات الى عمل اكثر والى نشاط الفكر وغزارة الانتاج وتفتح القريحه للشعر والنثر ، جلسات القات وسيلة للاجتماع وتوثيق الصلات لكنه يفكك

حيـاة الزوجين والاسرة فـالقات يحول بين الرجـال والنساء والاطفال ولا يقـوم النساء والاخرات تقـام الام فيضـيع الاطفال ؛ واول ارتفاع المـهور فى مناطق القات لحـاجة المرأة فى قطفه ونحوه ولكثرة دخل القات .

حول اسباب تناول القات اجابت : فـئة تمثل ٤٩٪ بان القات يُعطي نشاطا وقوة ، وفئة تمثل ٢٠٪ لقضاء الوقت والهروب من الملل وفـئة تمثل ١١٪ للالتقاء بالاصدقاء ، وفئة تمثل ٥٪ لتجنب النوم بعد الظهر ، وفئة تمثل ٥٪ لانه يعطى راحة وسعادة وفئة تمثل ٤٪ لتعمل عملا جيدا ، وفئة تمثل ٣٪ لانه يُهدِّيء الاعصاب ، وفئة تمثل ٣٪ لانه ليس حراما . والقات لا يترك أى اثر الا بعد فترة من مداومة استعماله وتاركه فجأة لا يصاب باي شيء من تلك النكسات التى يصاب بها مدمـنوا المخدرات لان مستعمل القات لا يصـير عبـداً له فالخلاف اسـاسي بين القات وبين المـخدرات التى تُولد في مستعملها تعـوداً مرَضياً على الرغبة فى المزيد كما فى المـورفين والافيون مثلا وهناك إجماع على ان القات مفيد للمصابين بالسكر كما يقلل من السِّمَنه .

في عهد حكومة "نعمان " صدر قرار بتواجـد الموظفين بعد الظهر لسد فراغهم الذى يشدهم الى القـات فلم يتم . في حكومة "العيني" صدر قـرار بقلع القات من اراضي الحكومة والاوقاف ومنع الموظفـين من تناوله فلم يتم ، وبعد ١٣ يونيو سنة ١٩٧٤م صدر قرار بزيادة الضـرائب على القات ثم أُلغي ، وفشل القرارات لانهـا ارتجالية ولان الاصرار على تنفيذها سيؤدى الى اضرابات داخلية .

الاهتمامات الدولية بالقات

دعت المنظمة الدولية العـربية للدفاع الاجتماعي بالقـاهرة سنة ١٩٧٣ الدُوَلَ الاعضاءَ الى تقديم المـعونات المادية والفنية والعـلمية الى جمـهوريتَي اليمن بما يُمكنّهـما من مواجهة هذه المشكلة والقضاء عليها واتخذت دول الخليج قرارا بمنع زراعته واستعماله . اما السودان فعندمـا بدأ القات يرد عليها سنة ١٩٥٧ قررت منع زراعته واسـتعماله . وفي المغرب أُضيف القات الى النباتات المخدرة وكذلك مصر ، اما الحبشة فقررت انه لا يدخل فى المخدرات فلا سبب لمنع زراعته واستعماله ، وفي فلسطين المحتلة زرع في المناطق التي فيها يهود يمنيون . وفي عدن كان الناس يخزنون وعندما منع الانجليز استيراده سنة ١٩٥٧ م بجرة قلم إنطلق الناس من عدن الى «لحج» و«دار سعد» لتخزين القات ونتجت عن ذلك أزمة في اليد العاملة اضطرت السلطات الى الغائه بعد سنة .

أنباء ٩٥١ هـ

(تسعمائة وواحد وخمسين)

وفي سنة ٩٥١ هـ (تسعمائة وواحد وخمسين) نهض جند الأتراك من زبيد بقيادة "حسن بهلوان" الذي كان قد وصل إلى الإمام إلى صنعاء وتقدموا عن طريق «وادي سهام» يريدون الطلوع إلى الجبال وهي طريق سهلة قريبة لمرور الخيل والجمال ، فجهز الإمام أولاده فالتقوا في "وادي لعسان" ودارت مع الأتراك معركة انتهت بهزيمة الأتراك بعد أن خسروا جماعة من رجالهم ومما قيل في ذلك من قصيدة للفقيه "صلاح بن داود بن علي داعر المرهبي" :

سعدت بسرٍ وجودك الأيامُ
وغدت بجودك تفخر الأعوام
وافتر ثغر الدهر من جذل كما
سر الهدى والدين والإسلام
وبنوك سادات الأنام ومن لهم
في كل ناحية سطاً وصدام
بهرت بسالتهم وقد علمت بذا
الأعراب والأتراك والأروام

... إلخ .

وفيات ٩٥١ هـ

(تسعمائة وواحد وخمسين)

"عبد القيوم بن الإمام"

في الرابع من محرم سنة ٩٥١ هـ (تسعمائة وواحد وخمسين) مات بـ «الجراف» السيد النجيب "عبد القيوم بن الامام شرف الدين" عن دون اثنتي عشرة سنة من مولده ومع صغر سنه فقد كان يذاكر العلماء وجلس يوماً بجامع «الحشحوس بالجراف» فسمع العلماءَ يتذاكرون في مسألة البهائم إلى أين تسير بعد البعث وقد طال البحث بينهم فقال: لعل الله يخلق لهن رَحَبَةً يتنعمن فيها فأعجب الحاضرون بجوابه وكتبوه ، ولما ختم القرآن غيبا عمل الإمام وليمة الختم وأركب "عبد القيوم" علَى جواد فسقط عن ظهره ومات من حينه فحزن الإمام والناس أشد الحزن وقال الإمام قصيدة مرسومة على حجر عند مشهده غربي «الجراف» يقال إنه أخذها بعض المصريين إلى مصر ومنها :

حمدت الله ربي يابنيا
على يوم نعيت به إليَّا

نفضت حشاشتي والروح لما
نفضت تراب قبرك من يديا

ولما إن ختمت الذكر غيباً
قدمت به على الباري صبيا

وكنا في زفاف الختم نسعى
فقال الرب زفوه إليَّا

لأحد عشرة معْ نصف عامٍ
وطئت بهمة هام الثريا

وكنت قد امتلأت من المعالي
فلم تترك من الإحسان شيا

وحسنُ الصبر دأبُ العبد إلاّ
على صابي فراقك لو تهيا

ولما لم أجد لي عنه بدّاً
صبرت تكلفا بعد اللتيا

وماتيّا بتصغير لها من
رزية هالك حَرّى لتيا

ومهما رام قلبي الصبر كيما
أثاب كراه حر الوجد كيا

وكيف يلام ذو وجد على من
يميز في الصبا رشْداً وغيا

وكم يوم ملأت بما أرى من
مخائل فيك صالحةِ نَدِيًا

وهذه من المحن على الإمام وتنكَّر الدنيا له بعد نحو أربعين سنةً من السعادة .

أنباء ٩٥٢ هـ

(تسعمائة وإثنين وخمسين)

ابتداء النقص

في دولة الإمام شرف الدين

وفي سنة ٩٥٢ هـ (تسعمائة وإثنين وخمسين) ظهرت أسباب النقص في دولة الإمام قال صاحب «أنباء الزمن»: فيها ظهر النقص في دولة الإمام وإنحلال عقد ملكه وإقبال الدولة العثمانية وكان السبب فى ذلك هو ما حدث بين الإمام و"شمس الدين" من جهة والمطهر من الجهة الأخرى من التنازع والاختلاف حتى تفاقم الخطب وذلك أن الإمام لما سالمته الأيام ودخل في طاعته الخاص والعام شرعت العقارب تدب فيما بينهم حتى تمكنت العداوة بينهم ، وكان أول ماظهر أن الإمام أراد النقلة من «الجراف» إلى فِدَة بوادي ضهر لما وقع في «الجراف» الطاعون من بعض الوافدين من المدينة المنورة وكانت «فدَة» في يد المطهر فأخرج منها أولاده وما يتعلق به ثم إن" شمس الدين " أشار علىَ والده بعمارة سور قرية «القابل» وأماكن فى جبل «مرثد» شمالي «وادي ضهر» فأسعده الإمام ومازال ساعيا في تلك العمارة مطاوعا للنفس الأمارة حتى صرف فيها جملة من المال.

ظهور الخلاف

بين"شمس الدين" و"المطهر"

ظهرت للمطهر الألمعي شواهد الحال بأن شمس الدين لم يرد بعمارة تلك الأماكن إلا لغرض كامن في نفسه وهو محاصرته في «طيبة» فزادت الوحشة في قلبه ولم يزالوا على هذه الحالة حتى اجتمعوا لصلاة الجمعة في المسجد الذى بناه "المطهر" في «وادي ضهر» وأجرى إليه النهر وقد أزمع "شمس الدين" على قبض "المطهر" بعد نزول الخطيب من المنبر وإيداعه السجن فنبهه بعض خاصته بأن كتب لظاهر كفه (أن الملأ يأتمرون بك) فقام "المطهر" إلى باب المسجد موهما انه يريد إزالة نخامه وأمر بعض الخدم بالإسراع إلى« طيبة» لإيصال عسكره فلم يتم الخطيب خطبته حتى وصل الجند المطهري فلما عرف وصولهم نهض مسرعا إليهم ولم يقم أحد اليه ولا سمت نفس أحد للقبض عليه حتى وافى طيبة وبطل على "شمس الدين" تدبيره ورمى جنده

إلى المطهر وهو بمدرج «طيبة» وحينئذ برح الخـفاء وتكدرت موارد الصفا وظهر الأمر للناس وما برحت طائفة من العلماء والأعيان يسعون في الصلاح فلم يتم وكان أمر الله مفعولا ، ولما اتفق ما اتفق وأعيى رتـق ما انفتق نهض المطهر بمن يتعلق به من أقاربه وأصحابه إلى حصن «ثلا» وناهيك به معقلا ثـم غزا الحائط من بلاد «البون» فإنتهب ما فيـه ، فأمر الإمـام ولده "شمس الدين" بالخـروج على المطهر بجمـيع من عنده من العسكر وأمـر ولده "صلاح الدين بن شمس الدين" بالتقـدم إلى حصن «علب» وعلم المطهر بخلو «الجراف »من أهل الرماح والأسيـاف ، فأرسل طائفة من عسكره قائدهم الأمير "عبد الله بن الحسين الحمـزي" وكتب إلى القاضي بُنيَّان والأمير" جوهر أبكر" وهما قائدا عسكره بطيـبة بأن ينضما بمن عندهما إلى الأمير "عبـد الله الحمزي" وأمر الجمـيع بالتـقدم إلى« الجراف» والـقبض على والده من غـير أن يحـدثوا فيـه حدثا، فتوجهوا إلى «الجراف» وشرعـوا فى نهب السوق أوان الشروق وفزع الناس فزعاً شديداً فكان من ألطاف الله بالإمام أن عامل الإمام بحراز النقيب "مبارك" قدم إلى مقام الإمام في ذلك الأوان ومعه خمسمائة رجل من العسكر فـتولى أمر المدافعة عن الإمام وأقبل إليه من صنعاء أهل النجدة والحمية فانهزم جند المطهر وقتل منهم جماعة ورجع بقيتهم بالخيبة، وكانت هذه من القضايا الشاهدة للإمام بالفضل ، ثم إن المطهر كتب إلى أهل اليمن يحـرّضهم على نزع أيديهم عن طاعة الإمـام وكتب فى ليلة واحدة ثمانين كـتابا وكتب إلى قائد الأتراك بزبيد "الباشا أويس "يُحرّضـه على التحرك على البلاد الإمامية ولما وصلت كـتبه إلى أهل اليمن أعلـنوا الخلاف على الإمام ، وقد كـانت البلاد إلى شمس الدين فلم يخافوا جانبه وإنما كانوا يرهبون صولة المطهر .

نهوض الأتراك الى «تعز»

ثم نهض "الباشا أويس" بالأتراك من زبيـد إلى تعز وجر المدافع العظيمـة وكان أمير تعز الفقيه "يحيى النصيري" قد دافع عسكر الأتراك أشد المدافعة وانقطعت عن الأتراك المواد حتى كادوا أن يعودوا عن تعز ولكن كـان من الأسباب لبقائهم أن عامل" شمس الدين" على حصن «التـعكر» وهو "مرجان الزبيـدي" قد اشتـد جوره على أهل تلك الجهـة ولم يرفق بهم فى مثل هذا الوقت فأخـرجوه من الحصن وكـادوا يفتكون به ، وكان أكثر العـسكر الذين مع أمير «تعز» "النصيري" من بلاد جبـلة فلما بلغهم خلاف أصحابهم وطردهم للعامل خرجوا إلى "الباشا أويس "مذعنين بالطاعة وتتابعت القبائل الأخرى إليه فالتجأ "النصيري" بمن معه من عسكر البلاد العليا إلى جبل« صبر» فوقف فيه إلى اللـيل ثم انحدرانحدار السيل ولم يَصِلْ إلى "المطهـر" إلا بعد جهد جـهيد .

وأما "الباشا أويس" فإنه دخل بجنوده إلى« تعز» يوم عيد الأضحى ومن غريب ما جرى أن الإمام بلغه دخول الأتراك «تعز» عقيب منصرفه من صلاة العيد .

إستعطاف الإمام "للمطهر"

ولما تحقق الإمام و"شمس الدين" دخول الأتراك تعز علموا أنهم قد أساءوا بمعاداة "المطهر" ، وأنه كان فى العجل الزلل فلم يبرحوا في إقدام وإحجام حتى قال لهم بعض ذوي النظر إن العليل إذا أصيب بداءين مختلفين حَسن منه أن يبدأ بعلاج أشدِّها خطراً فالرأي تقديم الخصم الذى جرعتموه الغصص وترقبتم فيه الفرص وأن "المطهر" كالداء الباطني والأتراك كالخارجي وتقديم الباطني أهم فكتبوا إلى "المطهر" باستعطاف وبذل الأنصاف والحث على جمع الكلمة وترك الخلاف وأن عند الشدائد تذهب الأحقاد فلما وصل إلى "المطهر" بثلا أنشد متمثلا :

واذا تكون كريهة أدعَى لها
واذا يحاسُ الحيس يُدعَى جندب

ثم أجاب إني لا أدفع عنكم شرا ولا أسُد ثغرا ولا أقابل العدُّو إلا بتسليم صنعاء وجميع الحصون وما فيها من المخزون ، ولما وصل جوابه لم يجدوا بداً من إجابته إلى ما طلب .

وقد تُخرج الحاجاتُ يا أمَّ مالك
كرائم مَن رَبٍّ بهن ضنين

وانتقل الإمام بجميع أهله من الجراف إلى حصن كوكبان إذ هو مما استبقاه لولده شمس الدين وكذلك حصن العروس ولولده على بن الإمام حصن ذي مرمر ولولديه الحسن ورضى الدين حصن كحلان تاج الدين وبنى عشب . وبقية البلاد والحصون للمطهر وكان انتقال الإمام إلى كوكبان في آخر الحجة وأول المحرم سنة ٩٥٤هـ .

أسباب الخلاف الغريب بين "الإمام" و"المطهر"

في «اللآلىء المضيئة» أن سبب معارضه "المطهر" لوالده إستخلاف الإمام لولد العلامة "علي بن الإمام" وأنه كتب بذلك فى ١٢ جمادى الأولى سنة ٩٥٢ هـ إلى كل ولاة الحصون والثغور والمدائن من «السراة إلى نجران» و«المشارق» و«مأرب»

و«المصعبين» و«رداع» و«يافع» و«التهائم» و«صهبان» و«تعز» و«وصاب» و«ريمة» و«حراز» و«ملحان » و«حجة» و«الشرفين» و«الأهنوم» و«صعدة» وغيرها بذلك .

ومن الأسباب ميل "الإمام "إلى "شمس الدين" وتقديمه في الخطبة على المطهر. فإن "المطهر" قد عرفت قسوته وتعطشه للدماء فحاذر بطشه القريب والبعيد وكان الإمام قد سمع صرخات من قسوته ووصلته نصائح في ذلك من مجهولين إلى ما كان يُلقيه "شمس الدين" الذى كان ينازع المطهر الزعامةَ فكان لهذه العوامل أثرها في قلب الإمام ومازالت تنمو حتى صارت فكرة يجب تنفيذها وانقلب "المطهر" عدواً فى نظر الإمام يُهمه القبض عليه وكسر شوكته ، ولما انتقل الإمام إلى «فدَة » و«حصَّنَ شمس الدين القريةَ» والجبلَ فوقها المُطل على «طيبة» مركز المطهر أَوحَى إليه ضميره بما أزمعوا عليه من قبضه وسجنه إلى أن يموت ولكنه لم يتسرع إلى أىِّ عمل وأخذ بالحذر وأصبح فاقد الثقة بأبيه وأخوته ورجالهم و"المطهر" شديد الشكيمة لاطائش الجنان يعمل بالحكمة :

إذا المـرء أولاك الهـوان فـأوله
هوانـا وإن كـانت قـريبـاً أواصـره
فـإن أنـت لم تقـدر على أن تهـينه
فـذره إلى اليـوم الذى أنت قـادره
وقـارب إذا مـالم تكـن لك قـدرة
وصـمم إذا أيقـنت أنـك عـاقـره

ثم بقي "المطهر" بين أمرين هل يحترم الأبوةَ ووشائج القرابة أو يجزيء الشر بالشر

ثم استشعر الإمام اتساع الخرق وضياع الأمر وتشتت الشمل فأرسل طائفة من العلماء إلى "المطهر" ليتوسطوا في الإصلاح والعود إلى محجة الفلاح فاستعطفوا "المطهر" بما يحل السخائم والأحقاد . ويرد الصعب سلس القياد فأجاب إلى السلم والموادعة على أن يبقى في أي المعاقل أراد ويختار لنفسه ما أحب من البلاد وأنه لا يأمن من هجماتهم إلا بكفالة من يختارهم هو فلم يتنازل الإمام إلى هذا المطلب وهناك استفحل الخطب وأصبحوا فى شقين مختصمين . ولقي "المطهر" أعوانا كما أن للإمام أنصاراً

(وما قرعَت عصا على عصا إلا حزن لها قوم وسر آخرون)

(والنار قد تلتظي من ناضر السلم)

وصار لسان حال الإمام :

قـد كـان عُـدتَي التـي أسطو بـهـا
ويدي إذا اشـتـد الزمـان وسـاعـدي

فـــرمِـــيت منه بـضـــد مـــا أملتُـــه
والمــــرء يـشَــــرق بالـزلال البــــارد

وندم "الإمام" على إهاجة "المطهر" ولاتنفع ساعة ندم ، وأصبح بمنزلة الأمر الواقع فوز "المطهر" وأن خضوع البلاد إنما كان بفضل سلطته وفتكاته .

أنباء ٩٥٣ هـ

(تسعمائة وثلاث وخمسين)

دخول المطهر صنعاء

في سنة ٩٥٣ هـ (تسعــمائة وثلاث وخمســين) تم إعطاء "المطهر" ما شــرط ، فدخل صنعاء وضرب السكة باسمه ودخل الناس في طاعتــه وحكمه ، وقبض على كثير ممن تولَّى أعمــال والده واستخلص منهم مــا جمعوه من الأمــوال الواسعة والذخائر النافــعة وطلب من أبيه الامر لأخيه" عز الدين" بتــسليم «الزاهر» في «الجوف» وأخيه "شمس الدين" بتسليم «سوق دعام» فسلماهما .

إستيلاء الأتراك على عدن

في آخر سنة ٩٥٣ هـ (تسعمائة وثلاث وخمســين) أخذ علي بن سليمان البدوي صاحب خنفر مدينة عدن واتحدت كلمته مع الإفرنج على محاربة الأتراك وطردهم من عدن

أنباء ٩٥٤ هـ

(تسعمائة وأربع وخمسين)

في سنة ٩٥٤ تجهزت عساكر الأتراك إلى عــدن وحصروا "علي بن سليمان البدوي" ودخل إليه القبطان التركي برجال شجعان فقتلوه وأخذوا عدن قهرا.

نهوض الأتراك إلى اليمن الأسفل

وفي سنة ٩٥٤هـ (تسعــمائة وأربع وخمسين) بعــد أن تجهزت عســاكر الأتراك إلى عدن وتعز ومعظم اليمن الأسفل هرع إليهم جماعة من «اريان» و«بني سرحة» من بلاد «يريم» يحــضّونهم على النهــوض إلى اليمن الأعلى فــترجح "للــباشا أويس" تــقديم الأمــير "ازدمر" أميــر الصناجق التركيــة في أربعمائة فارس وأربعــمائة من الرجال فســار حتى

دخل« ذمار »وتبعه "البـاشا أويس" على كثرة أثقاله وصعـوبة انتقاله إلى أن وصل إلى «وادي خبان» فوجده إحدى الجنات ،أنهاره جارية وأشجـاره بالثمار دانية ، فاستقر فيه وأرسل إلى "ازدمر" البارود والرصاص وحـجارة المدافع الكبار وما يحتـاجه المحارب فامتلأت قلوب الناس منه هيبة ورعبـا وكان الباشا أويس قد أساء إلى أصحابه ولم يف لهم بما وعدهم قبل فتح تعز ولما طالبوه بالوفاء أمر بضرب أعناق جماعة منهم فتمالوا على قتله وبعث "ازدُمُر" جـماعة لإعانتهم فـدخل "حسن بهلوان" على "أويس" في مجلس قد عقَدَهُ لشرابه وغفل عن تغير الدهر وانقلابه ، فقتله "حسن بهلوان" ، طمعا في التقدم على الأقران ، ثم استمال العسكر إلى طاعـته وظن أن ازدمر وجماعته بذمار يجيبونه ويقـدمونه فأظهروا إجابته وطلبوا وصوله إلى «ذمـار» فلما وصل خرج "إزدمر" ونشر سنجـقا سلطانيا ونادى فى الناس أنه من كـان فى طاعة السلطان دخل تحت هذا الظل الممدود واللواء المعقود فانثـال إليه العسكر ، فلما ظهر لـ "حسن بهلوان" الشر من «أزدمر» هرب من «ذمار» في اثني عشر من أصـحابه إلى أن وصل بنى غُصَين آنس وهم تابعون "للمطهـر" فقتلوا "بهلوان" وأصحـابه وبعثوا برأسه إلى المطهـر بصنعاء فسكن اضطراب الناس وخوفهم بعد قتل "أويس "و"بهلوان" .

نهوض "أزدمر" إلى صنعاء وفظائعه بها

بعد قتل "أويس" و"بهلـون" أقام "ازدمر" مدة بـ «ذما»ر وضـبط أمور عسكره وهو يترقب الفرصة لقـصد صنعاء ولكن فاجأه خبر أن رجـلا من أصحاب "بهلوان" يُسمَّى "حيدر" وثب على «زبيد» وساعـده جماعة منهم "الكيخيا صفـر" و"محمد كاشف" وغيرهما فجهّز "أزدمر" "الأميـر موسى" فأخضعهم ونهب دورهم ثم قتلهم مع أربعة عشر ممن تمالوا على قتل "أويس" .

ثم نهض "ازدمر" إلى صنعاء في جمـادى الآخرة سنة ٩٥٤ هـ فرجح "المطهر"عن الخروج إلى طيبة ليمكنه الغاره على صنعاء، ولما استقر "ازدمر" خارج صنعاء باغتهم المطهر فوقع القتال واشتـد النزال في «باب المنجل» وأغار مع "المطهر" جنده بصنعاء فقتل من جند "ازدمر" زيادة على عـشرين ورجع "المطهر" الى «السنينات» وفي اليوم الثاني ضربت مدافع الأتراك على صنعاء وشددوا عليـها الحصار فأعاد "المطهر" الكره عليهم وكانت معركة حامية الوطيس انتهت بهـزيمة "المطهر" فتوجه إلى كوكبان فشدد الأتراك حصار صنعاء، وكان على «خندق باب شـعوب» رجل من أهل «الرحبة» يعرف "بالعنجري "خان وطنه وساعد الأتراك بدُخُولهم مـن جانبه فلم يشعر أهل صنعاء عند

شروق شـمس اليوم السابع من حـصار صنعاء إلا بالأعـلام التركيـة على دوائر صنعاء مركوزة والرماح نحوهم مهـزوزة ، فعظم واشتد الكرب وارتفع الصراخ وقتل من أهل صنعاء ألف ومائة ونـهبت البيوت وانتهكت المـحارم وبيعت النساء في الأسـواق كإماء ومنهن من زال عقلها ومنهن من قتلت نفسها وفقد من أعيان صنعاء عدة وكان "صلاح الدين بن شمـس الدين بن الإمام" ومن عنده من الجند قـد برزوا اول النهار لمـحاربة الأتراك في «سائلة صنعاء » ثم انهزموا إلى القصـر وخرجوا من بابه ولم يتبعهم الأتراك لاشتغالهم بنهب صنعاء ، ولمـا بلغ الخبر إلى "المطهر" بـ «ثلا» ندم على أمره لأهل صنعاء بعدم التـسليم للأتراك وهي إحدى نداماته الثلاث والثـانية عصيـان والده والثالثة عمارة «طيبة» العمارة البالغة ، وحين استقر "ازدمر" بصنعاء وسمع الأذان من المنارات أمر برفع السبي والنهب والسيف بعد ثلاثة أيام .

"عز الدين ابن الامام" وسوء تدبيره

ولما بلغ أمـير «صـعدة» "عز الدين بن الإمـام" استـيلاء الأتراك على صنعـاء جمع الجيوش من بلاد «صـعدة» لمحاربتهم ووصل إلى «بلاد الظاهر» فـاشتدت وطأته على أهلها وانخزل عنه «الحمزات» ووالوا الأتراك .

وكان المطهر قد كتب إليه بانتقاله من «الظاهر» إلى «جبل عيال يزيد» ليتقاربا لتعاونهما فلم يسعـد ثم لم يشعر إلا بهجـوم «الحمزات» ومن انضم إليهم من الأتراك وانتـهابهم محطته ووقع القتال وكانت الدائرة أول اليوم على «الحمزات» في «جبل صبيح» ثم كتب "عز الدين" إلى أبيـه بطلب إمداده برجـال فاعتذر وكـتب "المطهر" إلى أبيـه بإرسال "شمس الدين" من «كوكبان» و"المطهر" يلقاه من «ثلا» لإعانة عز الدين فاعتذر الإمام ببقـاء "شمس الدين" لديه وخشى "المـطهر" إذا خرج من «ثلا» أن يخلفـه "شمس الدين" على «ثلا»

أسر "عز الدين" وموته في ينبع

كان "عز الدين" كثير الإعجـاب بخيله ورجله ورأيه وفعله فوثق باهل «الظاهر» ولما أراد قصد مـحطة «الحمزات» أرسل قـائدهم الشريف ن"اصر بن أحمـد الجوفي" إلى قبـائل «الظاهر» رجلا من أهل «خمـر» يقول لهم إن الأشراف يقـولون لكم إنما أرادوا مدافـعة "عز الدين" عنكم لمـا في نفسه من الغـيظ عليكم فإن أحبـبتم قيـامنا معكم اجتمعتم معنا عليه وإلاَّ تركناكم وإياه ومضرته عليكم فمالوا إلى هذه المقالة وإلى الغدر بـ "عز الدين "في أسـرع حالة ثم توجه "عز الدين" لمـحاربة الأشراف والأتراك ولم يترك في محطته من يحفظ أثقاله وخزانته وحين التقى الجمعان وثب أهل «الظاهر» على

محطته فانتهبوها فانهزم إلى حصن «ظفـار» وكان له فيه شحنة وعدة فبادر إليه "ازدمر" وجر المدافع على «ظفار» ففر "عز الدين" متـخفياً فإذا صارخ من أعلى الحصن يقول للأتراك إن "عز الدين" خرج من الحصن في صورة امـرأة فأحفظوا الطرقات فآيس من الخروج ورجـع إلى يد "أزدمر" فـقبضـه أسيـراً وتوجه به إلى صنعـاء ثم أرسله الى الأبواب السلطانيـة فمـات «ببندر ينبع» غـريبـا عن ٣٩ سنة من مـولده في رجب سنة ٩١٥ هـ وقد تقدم ذكر فتُوْحاته فى سنة ٩٤٢ هـ ببلاد صـعدة وغزوه وفتحه في شمال «تهامة» ووصوله إلى والده سـنة ٩٤٥ هـ وكان قد امتدحه أخوه العـلامة الأديب "عبد الله بن الإمام" بالقصيدة الشهيرة أكثر من ثمانين بيتاً منها :

خطـرت فـــقل للـغـــصن صل عـلى النـبي
وبدت فـــقلـنا لـلنجـــوم تغـــيـــبي

شـــمس تـقـــول لمـــقـلة الرائي لهـــا
من قـــبـل مـــرآها اذهـبي لا تـذهبي

لا حت لـنا كـــالبـــدر ثم تـبـــرقــعت
فـــرأيت بـدرا حل قلـب العـــقـــرب

وبخــــدها خـــال أراه عـــمـــهـــا
حـــسنا ونـاســـبـــهـــا بـلون أجنـبي

نـظرت إلـيَّ بطـرف أحـــوى أحـــور
فـخــجلت فَـابتـســمت لمـا قــد حل بي

وغـــــدت تـسكّـن روعـــتي بتلطـف
مـن لفـظـهـِـــا وتـأدُّبِ وتـحـــبُّـب

مـــالى إذا غـــربَـت فـــيك تشـــرّقي
عني وان شـــرقتُ فـــفـــيك تـغـــرّبي

أصـبـحت مـــثل النجم يـنحـو مـشـرقـا
وترده الأفـــلاك نحـــو المـــغـــرب

يا قـلب مـــالك مـــا انقلبـت عن الهـــوى
والقـلبُ قـــد قـــالـوا كـــثـيـــر تقـلّب

خل الـنسـيـب فـقـــد أطلت وعـــد عن
ذكـــر البـطالـة واشـــتـــغـل بالأنـسب

بصـــفـــات عـــز الـدين والدنيـــا ومن
مـــا قـلت فـيـــه مـن الحـديـث الأطيب

ندب أقـــــرله جـــلالُ كـــمـــا له
في صـــدر مـــجلسـه وقـلب المـــوكب

أسـد تـخـاف الأسـد ثـعلب رمـحـه
فـعـجـبت من خـوف الأسـود لثـعلب

بســـمــاحـــةِ تهبُ الْمِنَـى وحـــمـــاســـة
تهب الَمـنَـىَ يا خـيـــر مُـعط مُـــعطب.. إلخ

وقد ذكرت بـ «نزهة النظر» فى ترجمة" أحمد بن محمد شرف الدين" :

ملاحم «ثلا» بين "المطهر" و "ازدمر"

ثم بعد أن أسر "عز الدين" داخل "ازدمر" التـيه ، فكتب للمطهر بتسليم ما فى يده من المعاقل أوتسليم مـال فأجابه المطهر على تسليم المال فظن "أزدمـر" أنه قد عجز عن الحرب فقصـده للحرب وجر المدافع وقد كان الأكثر من عـسكر "مطهر" فارقوه ولم يبق لديه إلا الخلّص ، فوصل الجند التركي إلى المائدة شمالي «ثلا» وحاولوا أخذ «الناصرة »وكان فيها من الحماه شرذمة يسيـرة فوجهوا المدافع إليها حتى أخذت سورها وحطمت عمائرها ثم حملوا عليها حملة رجل واحد فـثبت من فيها غاية الثبات وقتلوا من الأتراك فـوق مئـتي تركي ودام القـتـال نحو أربـعين يومـاً . ولمـا علم الناس أن "المطهر" قد امتنع فى غيلة وآيس محـاربوه من نيله أتوا إليه أفواجاً من كل مكان حتى حاصروا الأتراك وانقطعت عنهم المادة فطلبوا من المطهر الأمان فطلب منهم العهود فى ترك الحرب والمكيـدة فأجابوه إلى مـا طلب فأرسل إليـهم السيد "يحـيى بن الحسن المؤيدي" والفقيه "صالح داعر" لأخذ العـهود المطلوبة ، روى الفقيه "صالح داعر" قال : لمـا وصلنا إلى المائدة وجدنا الأتراك في ضـيق شديد فقابَلَنا "ازدمـر "بأحسن قبول ، وكان من أهل الرجاحة والعقول واصطفـت أجناده صفين فأخرج السيد "يحيى بن الحسن" مصحفا وكـان كلما قال "لازدمر" قل :والله العظيم ،قال: والله العظيم وقالت العساكر التركية: والله العظيم ، ثم قوّض "ازدمر" أطنابه وقلقل ركبانه وعادت الأتراك إلى صنعاء خـاسرة صاغرة . . . ولمـا انفصل "ازدمر" عن حـرب "المطهر" داخل "شمس الدين" الخـوف من أخيه "المطهـر" فأرسل ولده" محمـد بن شمس الدين" إليه وطلب منه الصلح ، ليدمل بالتودد الـجرح، وقد كان" شمس الدين" مع الأتراك على "المطهر" فأجابه "المطهر" إلى مراده وعاد إلى إشفاقه ووداده .

أنباء ٩٥٥ هـ

(تسعمائة وخمس وخمسين)

حروب «البون»

وفي سنة ٩٥٥ هـ (تسعمائة وخمس وخمسين) نقض "ازدمر" الصلح واستخف بالعهود فحشـر الجنود وجنح إلى قول الحسـود ، فنهض إلى «البون» وانضم إليه "محـمد بن

الحسين الحمزي الجوفي" في مئتي فارس من الجوف فخرج إليهم "المطهر" من «ثلا» بجنده الأوفر ثم اقتتلوا قتالا شديدا آلانَ الحديد وأضعف الشديد إلى أن آل إلى انهزام الأتراك والأشراف عن ذلك المصاف بعد أن قُتل منهم عدة، واستولى "المطهر" على ما في محطتهم من العدة . ومما قيل في ذلك من قصيدة :

وسل «البون» عنه ينبئك
البون شفاها بصادق الأنباءِ

من آباد الأعداءَ منهم بسيفين
من المرهفات والآراءِ

وسما بالخميس يقتحم
الموت دواما بليلة الأربعاء

قد نضا كفه عصبصب سيف
لامع كالشهاب في الظلماء

واثنى والرؤس في البيد تترى
قد سقاها بديمةٍ من دماء

أيد الله بالملائك اسمى
ملكٍ شاد ملةَ الحُنَفاءِ .. إلخ .

ثم رجع "المطهر" إلى مقر عزه «ثلا» مؤيدا منصورا . وعاود "شمس الدين" الخوف والوجل فسار بنفسه إلى صنعاء وبذل جهده في تحريض الأروام على أخيه "المطهر" ورجح لهم عمارة «عمران» ، وأن يبقى فيه عصابة منهم واستمد جماعة منهم للوقوف معه في «شبام» .

وفيها كتب الإمام من «حصن كحلان تاج الدين» قصيدة إلى «خولان الطيال» يحثهم على الجهاد للأتراك وأرسلها بواسطة ابنه علي وهو بـ «ذي مرمر» منها :

أبلغ سلامي هداك الله خولانا
جزاهم الله بالإحسان إحسانا

أنصار دين الهدى والقائمين بما
قد أنزل الله في معناه قرآنا

أهل الحمية للدين الحنيف فقد
شادوا لدينِ الهدى والحق بنيانا

هم الأسود إذا صالوا رأيت لهم
حماهم الله مضرابا ومطعانا

بخ لخولان قد أرضى جهادهم
ربَّ العباد بلا شكٍ وارضانا

حاموا على الدين ياخولان لا تهنوا
كونوا على طاعة الرحمن أعوانا

وأبشروا بالذى ترجونه عجلاً
نَصراً عزيزا وتمكينا ورضوانا
طبتم فطاب لكم أجر الجهاد وقد
فزتم به وعلوتم في الورى شأنا
ولا نزال لكم ندعو ونشكركم
فالله يرعاكمُ طرّاً ويرعانا
وآخر القول نظما مثل أوله
أبلغ سلامي هداك الله خولانا

وفيات

"محمد بن يحيى القاسمي"

في رجب سنة ٩٥٥ هـ (تسعمائة وخمس وخمسين) توفى في مدينة «عيان» السيد العلامة "محمد بن يحيى بن صلاح القاسمي العياني" مؤلف «الأنوار،المتوسط ما بين التذكرة والأزهار» في الفقه في مجلد .

أنباء ٩٥٦ هـ

(تسعمائة وست وخمسين)

خروج "ازدمر" على من في «بيت عز» وغيره

وفي سنة ٩٥٦ هـ (تسعمائة وست وخمسين) طلب شمس الدين من «الاروام» خروجهم لمحاربة أصحاب "المطهر" في «بيت عز» ، وكانوا نحو ثمانين وهو قريب من كوكبان فوصل ازدمر وشدَّد عليهم الحصار ورماهم بالمدافع فصبروا حتى نفد ما عندهم وعيل صبرهم، ثم خرجوا على حكم "ازدمر" فضرب أعناقهم عن آخرهم ورجع الى صنعاء

ثم ما برح يتردد إلى الظاهر ويتربّصُ بالمطهر الدوائر فلم يظفر منه بمراده فارتفع إلى «قاع الضلع» لمناصرة "شمس الدين"بكوكبان ثم أراد القدوم إلى «شماة» وكانت منقسمة بين "شمس الدين" و "المطهر" فخرج "المطهر" من «ثلا» ووقع الحرب الشديدة قـُتل فيها من الأتراك أكثر من مائة ومن جند المطهر أقل ورجع المطهر إلى « ثلا» ولَم يجد أهل «شماة» بداً من الخروج إلى "ازدمر" بأمان فخانَ ومال عليهم نهبا وأسرا وكان ذلك قوةً للمطهر. فإن قبائل «جبل تيس» و«بلاد الحيمة» كانوا قد هموا بالدخول تحت طاعة الأتراك فلما رأوا ما فعل "ازدمر" بأهل شماة أعرضوا وخافوا غدر الأتراك ، ثم توجه المطهر إليهم واجتمعت إليه القبائل فارتفع ازدمر عن تلك المحطة ورجع إلى صنعاء وأمر بسرعة جر المدافع فوراً خوفا من استيلاء المطهرعليها

وسلكوا بها نقيلا صعب المسالك فهلك من الأتراك جماعة ومما قيل فى ذلك :

لولا دفاع الله عنا بالذي
لولاه لم يطلع لهَدْيٍ كوكب
الماجد الملك المطهر غوثنا
حامي حمى الدين الأعزُ الأطيبُ
وتكررت فتكاته فبمشرق
حيناً وحيناً في الجهات يُغِرّبُ

أنباء ٩٥٧ هـ
(تسعمائة وسبع وخمسين)

وفي سنة ٩٥٧ هـ (تسعمائة وسبع وخمسين) تكررت الحروب بين المطهر والأتراك واشتدت الخطوب .

وفيات

"محمد بن يحيى بهران"

وفى رمضان سنة ٩٥٧ هـ (تسعمائة وسبع وخمسين) توفي بصعدة القاضي العلامة الكبير شيخ الإسلام "محمد بن يحيى بن محمد بهران الصعدي" علامة اليمن ومحدِّثه المبرز على أقرانه في كل فن ، كان في أول أمره يتنقل في البلاد اليمنية للتجارة وسافر إلى بلاد الحبشة وهو مع ذلك يطلب العلم في كل محل يتجر فيه حتى تفرد برئاسة العلم فى عصره وصنف المصنفات العديدة النافعة الحافلة منها : «شرح الأثمار فى الفقه» في أربعة مجلدات شحنها بجواهر الأخبار باستيفاء الأدلة وتخريجها من الكتب المعتمدة . ومنها كتاب «المعتمد في الحديث» جمع فيه الأمهات الست ورتبه على أبواب الفقه ، ومنها «جواهر الأخبار في تخريج أحاديث البحر الزخار» ، ومنها «التفسير الكبير» ستة مجلدات جمع فيه بين «الكشاف» و «تفسير ابن كثير» وغيرها من التفاسير وسبق احتفال الإمام به ومنها فى أصول الفقه «الكافل» شرحه "لقمان" و"حابس" و"الطبري" . وله في العربية «قوت الأرواح» وله «مختصر» في العروض . و«التحفة» فى العربية . وشرح «القصَص الحق فى مدح ومعجزات خير الخلق» و«بهجة الجمال ومحجة الكمال في الممدوح والمذموم من الخصال في الأئمة

والعمال» وهو كتاب مفيد طبع بمصر سنة ١٣٤٩ ضمن الرسائل اليمنية وحذّر فيه من التأديب بالمال . وكان ورعا زاهدا يستنفق من كد يده مع إفاضة الإمام شرف الدين عليه الأموال الواسعة كما هو شأنه في تعظيم العلماء ورعايتهم .

اللامية الصعدية

«الجد فى الجد»

وله الأشعار الفائقة منها قصيدته اللامية التي سلك فيها مسلك الطُّغرَّائي وغيره سأله نظمها تلميذه "محمد بن علي بن عُمر الضّمَدي" وهى تزيد على ستين بيتا خمّسها "سعيد بن داود الأنسي" المتوفي سنة ١٠١٠ هـ :

الجدَ فى الجِد والحِرمان في الكسل
فانصَب تصب عن قريب غاية الأمل

وشم بروق الأماني في مخائلها
بناظر القلب تكفي مؤنة العمل

واصبر على كل ما يأتي الزمان به
صبر الحسام بكف الدارع البطل

وجانب الحرص والأطماع تُحظّ بما
ترجو من العز والتأييد في عجل

واقن القناعة لا تبغي بها بدلا
فما لها أبدا والله من بدل

وصاحب العزم والحزم اللذَين هما
فى العقد والحل ضد العي والخطل

والبس لكل زمان ما يلائمه
في العسر واليسر في حل ومرتحل

واصمت ففي الصمت أسرار تضمنها
ما نالها قط إلا سيد الرسل

واستشعر الحلم في كل الامور ولا
تبدر ببادرة سوءٍ إلى رجل

وإن بليت بشخص لاخلاق له
فكن كأنك لم تسمع ولم يقل

ولا تمار سفيهاً في محاورة
ولا حليمًا لكيْ تنجو من الزلل

ثم المزاح فدعه ما استطعت ولا
تكن عبوسا ودار الناسَ عن كمل

ولا يغـــرك مــن يـــدي بشـــاشـــتـــه
منهم إليك فـــإن الـسم فـي العـــسل
وإن أردت نـجـــاحـــا أو بلـوغ مُنًّى
فـــاكـــتم أمـــورك عن حـــاف ومنتـــعل
وأبكـر بكور غـــراب فى شـــذا نمــر
فـى باس لـيث كـــمي فـي دهـا ثعـل
في جـــود حـــاتم فـي اقـــدام عنتـــرة
في حـلم أحـنف فـي علـم الإمـــام علـي
وهن وعـــز وباعـــد واقـــتـرب واعـــد
وابخل وجـــد وانتـــقم واصـــفح وصِل وصُل
بـلا غلـو ولا جـــهـلٍ ولا ســـرف
ولا تـوانٍ ولا ســـخـط ولا مـلـل
وكن أشـــد مــن الصـــخـــر الأصـمّ لدى
البـأسـاء وأسـيـر في الآفـاق من مـثل
حلـو المـــذاقـــة مـــراً لـينا شـــرســـا
صـعـبـا ذلـولا عظيم الـمكر والحـيل
مـــهـــذبا لـوذعـيـا طـيـبـا فكهـاً
غـشـمـشـمـا غـيـر هيّــاب ولا وَكِل
صـــافى الـوداد لمن أصـــفـى مـــودته
حـقـا وأحْـــقـــدَ للأعـــداء مــن جـــمل
شـــهم الـفـــؤاد وقـــورا حُـــوًّلا يقـظا
وارى الزنــاد أبيًـــا غـــيـــر ذي وهل
لا يطمـــئن إلى مـــا فـيـــه منقـصـة
عليـــه إلا لأمـــرمـــا علـى دخل
ولا يقـــيـم بأرض طاب مـــسكـنهـــا
حـــتـى يقـــد أديم الـســهل والجـــبل
إلـــى داع إلـــى طـــمـــع
ولا يـنـيـخ بـقـــــاع نـازح الـعـلـل
ولا يـصـــيـخ الـى داع الـى طـمـع
ولا يـنـيـخ بـقـــــاع نـازح الـعـلـل
ولا يُضَـيّـع ســـاعـــات النهـــار فـلن
يعـــود مـــا فـــات من ايامـــهـــا الأول
ولا يـراقـب إلاّ من يـراقـــبـــه
ولا يـصـــاحـــب إلا كـل ذى نُـبُـلِ

ولا يعـد عـيـوب الـناس مـحـتـقـراً
لهـم ويجـهل مـافـيـه من الخَـلَل
ولا يـظن بـهم سـوءاً ولا حَـسنـا
يصـاب من أصـوب الأمـريـن بالغـيل
ولا يؤمـل آمـالاً لصـبـح غـد
الأ عـلّـى وجـل من وثـبـة الأجـل
ولا يـنام وعـيـن الـدهر سـاهـرة
في شـانه وهو سـاهٍ غـيـر مـحـتـفل
ولا يصـدُ عن الـتـقـوى بصـيـرته
لأنهـا للـمـعـالـي أشـرف السـبل
من لم تـكن حُلَل الـتـقـوى مـلابسـه
عـارٍ وإن كـان مـغـمـورا من الـحلل
من لـم تفـده صـروف الـدهر تجـربة
فـيـمـا يحـاول فليـرعى مع الـهـمل
من سـالمـتـه الليـالي فليـثق عـجـلا
منهـا بحـرب عـدوٍ غـيـر ذي مـهـل
من كـان همـتـه والشـمس فـي قـرن
كـانت منيـتـه فـي دارة الحَـملَ
من ضـيع الحـزم لم يظـهـر بـحـاجـتـه
ومن رمـى بسـهـام العـجب لم يـنل
من جـالس الـغـاغـة النوكى جنى ندمـاً
لنـفـسـه ورُمي بالـحـادث الجـلل
من جـاد سـاد وأضـحى الـعـالمـون له
رقـا وحـالة جـعـد الكف لم تـحل
من لم يصـن عـرضـه سـاءت خليـقـتـه
وكل طـبع لئـيـم غـيـر منتـقل
من رام نـيل العُلَـى بالمـال يجـمـعـه
من غـيـر حـل بلى مـن جـهله وبـلي
من هاش عـاش وخيـر العـيش أشـرفـه
وشـره عـيش أهل الجـبـن والبـخَلَ
عـاجـمتُ أيام دهري شـدةَ ورخـاً
وبؤت فـيـهـا بأثقـالٍ علـي ولي
وخـضت في كل وادٍ مـن مـسـالكهـا
بلا فـتـور ولا عـجـز ولا فـشل

طورا مقيما مقام الدر في صدف
وتارة في ظهور الاينق الذلل
بالشرق يوما ويوما في مغاربها
والغور يوما ويوما في ذرى القلل
وتارة بين أحبار جهابذة
وتارة أصحب الغوغاءَ في زجل
وتارة بين أملاك غطارفة
شم العرانين بين الخيل والخَوَل
هذا ولا ارتضي حالاً ظفرت به
إلا وثقت بحبل غير منفصل
ولا ايمم بحرا جاش غار به
إلا وجدت سرابا أو جُرى وشل
ولم يلذ لعيني منظر أبدا
ولم أزل وبنات الدهر في جدل
حتى إذا لم ادع لي في الثرى وطنا
أقصرت من غير لا وهن ولا ملل
فاليوم لا أحد عندي له ادب
ولا فتىً أبداً ذو حاجة قبلي
وفي الفؤاد أمورٌ لا أبوح بها
ما قرّب النأي أيدي الخيل والإبل
فإن امت فلقد اعذرت في طلب
وإن تعمرت لا أصغي إلى عذل
تمت برسم أخ مازال يسألني
إنشاءها أبداً في الصبح والطفل
فقلتها لأداء مفروض طاعته
والقلب في شغل ناهيك من شغل
ولم أبالغ بتنميقٍ لأكثرها
ولا ذكرت بها شيئاً من الغزل
لكنها حِكَم مملؤة هِمما
تغني اللبيب عن التفصيل بالجُمَل
بذي الغباوة من إنشادها ضرر
كما يضر نسيم الورد بالجُعَل
ثم الصلاة على أعلى الورى شرفاً
محمد وأمير النحل خير ولي

مـا أومض البــرق في الديجـور مـبتـــسـمـاً
ومــا ســفـــحن دمـــوعُ العـــارض الـهطل

انتهت القصيدة لابن بهران الصَّعْدي وقد غلط بعض أهل المطابع بنسبتها إلى "خليل الصَّفَدي السوري" ولعله التبس عليه الصعْدي بالصفَدي .

أنباء ٩٥٨ هـ (تسعمائة وثمان وخمسين)

وفي سنة ٩٥٨ هـ (تسعمائة وثمان وخمسين) خرج "ازدمر" من صنعاء لحرب "المطهر" بـ «ثلا» وجر المدافع معه فلما وصل «المُنقَّب» استقر فيه وعَمّر قبة حول البركة لحفظ خزائن ولم تقع حرب .

وفيها تصدى الشريف "صلاح بن أحمد" إلى قبض حصن «الطويلة» والتمرد فيه، وظن أن "المطهر" في شغل بمقاتلة الأتراك وكتب الشريف إلى أهل «لاعة» وغيرهم وكان في الحصن رجل من أصحاب المطهر اسمه "براز" فرجموه إلى خارج الحصن فأقبل أهل «الطويلة» لمحاصرة الشريف وأصحابه وكتبوا للمطهر بصفة الأمر فخرج من «ثلا» مبادراً إلى قريب الحصن فلما شاهد الشريف جيش "المطهر" لم يقر به قرار فنزل على حكم "المطهر" فلامه ثم ربط أصحابه الذين ساعدوه إلى جمال وسُحبوا على وجوههم وضرب عنق الشريف .

إنفصال "ازدمر"

ووصول "مصطفى نشار باشا"

بينما كان ازدمر يعُد عدته لمقاتلة المطهر وافته الأنباء بخروج "مصطفى نشّار باشا" خلفا له من السلطنة . وكان الإفرنج قد أخذوا بلاد الحبشة واستولوا على بعض البلاد الإسلامية ، ولما وصل "مصطفى" إلى تهامة خادع "المطهر" بأنه وصل للصلح والموادعة، وأن السلطان أمره برفع جميع العساكر من اليمن لقتال الإفرنج المتغلبين على الحبشة .

كتاب السلطان الى "المطهر" وجوابه

وأرسل "مصطفى" إلى "المطهر" من «تعز» رسالة من السلطان "سليمان بن سليم" يحثه على الدخول فى طاعته ويحذره من مخالفته منها :

«هذا مثالنا الشريف السلطاني وخطابنا المنيف الخاقاني إلى الأمير الكبير الشريف الحسيب فرع الشجرة الزكية وطراز العصابة العلوية السيد مطهر بن الإمام شرف الدين

نفيد لعلمه الكريم أنه لم يزل بمسامعنا الشريفة إخلاصه لسدتنا وقيامه بقلبه وقالبه في مرضاة سلطتنا ، ثم بلغنا أنه وقع بينه وبين أمرائنا بتلك الجهات خلاف كبير ووقائع عم ضررها المأمور والأمير، وهذا عين الخطأ المحض وعساكرنا المنصورة حيث سلكت ملكت وحيث حلت فتكت، ولو شئنا لجاءكم منها شرذمة قليلون مائة ألف أو يزيدون لكن غلب حلمنا عليه كونه من سلالة سيد المرسلين فلزم أن ننبهه قبل اتساع الخرق عليه وكونه آوى إلى جبال يتحصن بها ويزعم أنها تنجيه وذلك عين المحال :

أين المفر ولا مفر لهارب
ولنا البسيطان الثرا والماثر

إلى آخره تاريخه شوال سنة ٩٥٧ هـ (تسعمائة وسبع وخمسين)

ومن جواب المطهر :

وبعد فإنه ورد إلينا من تلقائه . أطال الله للإسلام والمسلمين في بقائه ، مرسوم سطعت أنواره وطلعت بالمسرات شموسه وأقماره ، وتضاحكت في عرصات المجد كمائمه وأزهاره ، وذخرت بما تقرُّ به العيون ، وتصلح به الأحوال والشئون بحاره ، فوجدناه أشفى من الدرياق ، وأبهى من الأثمل في دعْج الأحداق فتعطرت الأفئدة بنشره ، وأعلنت الألسن بحمده وشكره ، وهبّ في البوادي والامصار نسيم ذكره ، ودخلت الناس أفواجا تحت نهيه وأمره :

فإذا المدْرَجات كانت سلوكا
فهو فيها وبينها أكليل
مُدْرَجُ فيه للبهاء غُدوّ
ورواح ومسرح ومقيل

وعرفنا ما ذكره سلطان الأمم . ومالك رقاب العرب والعجم . من الإحاطة بطاعتنا لجلاله ودخولنا تحت لواء أقواله وأفعاله ، ومن استمسك بعروتكم الوثقى فاز بمطالبه ، وحاز الغاية القصوى من مآربه ، وكان في أمن من حوادث الدهر ونوائبه . ونحن من مودتكم على يقين . ونرجو أنكم لا تصغون إلى أقوال الفاسقين . ولا تهملوا رعاية الصالحين والمتقين . ولا تقطعوا حقا لذرية النبي الأمين . . **﴿ قل لا أسالكم عليه أجراً إلا المودة فى القربى ﴾** نص الكتاب المبين ، وأنتم أولى برعاية ما أمر الله به أن يرعَى وكم لكم من محامد مذكورة ومفاخر مشهورة نؤمل أن تشقوا بحسامها يوافيخ الوشاة ،وتردوا كيد كل كائد لا يراقب الله ولا يخشاه ، والذى نقله إليكم أرباب الزور ، وذوو الإفك من الناس والفجور ، تحوّلنا عن طاعة السلطان الأعظم ، ومخالفتنا لما سبق من مودتنا وتقدم ، كذب يعلمه الداني والقاصي ، ومَعْنَى الَمْين الذي لناقله أشد الاختصاص . وحاشا الله وكلا أن نرضى بمخالفة . أو نميل عن تلك الأحوال السالفة ،

نعود بالله من الَحـوْر بعد الكَوْر ، ومن التقـاعد عن طاعتكم وهي التي يجب السـعي لها على الفور ، وآل رسول اللـه (صلى الله عليه وآله وسلم) أعرف الناس بالصواب ، وأدراهـم بمعاني السنة والكتاب ، والذى أشرتم إليه من مخالفتنا لعساكركم المنصورة ليس له صحة ولا ثبات بل قصدونا إلى هذه الجهـات وجلبوا إلينا تُركاً وأرواما . ،وهتكوا عهوداً بينـنا وبينهم وذماما . وما راعوا لأوامركم الشريفة فيها أحكاما . وضيقوا علينـا مسالك المعيشة خَلْفاً وأماما ورمونا بمدافع لا يُرمى بها إلا الذين يعبدون أوثانا وأصناما . ولم يعلموا أنا ممن أوجب الله له رعايةً واحتراما ومن الذين يبيتون لربهم سـجداً وقياما . فدافعنا عن أولادنا ونفـوسنا بما أمكن من الدفاع ونحن في مهاجـر يسير ومكانٍ يأوى إليـه الضعيف من الأمة والصـغير . ولو أن عساكـركم المنصورة الألوية ـ المسلّمة إن شاء الله تعـالى من صروف الأقضية ، وجهوا همـمـهم العلية ، إلى جهاد العصابة الكفرية . لنالوا من الخـير نيلا عظيما،غير أنهم تشاغلوا بحـربنا عن جميع الحروب . وفوّتوا بذلك كل غرض مطلوب ، وحين وصل المرسوم المشرّف طبْنا به نفوسا ، وسكنّا به محلا من الأمن مأنوسا ، فإن امتـثل من حولنا من الأمراء الأكابر ما صدر منكم من النواهى والأوامر ، فذلـك البغية المقـصودة والضالة المنشودة ، وإن خـالفوا أوامركم المطاعة ، وقابلوا نواهيكم اللازمة بالإضاعة ، فحسبهم عذابكم الوبيل وما تعدونه لمن خالـفكم من التنكيل وحسـبنا الله ونعم الوكـيل حرر ١٣ رجب الحـرام سنة ٩٥٨ هـ (تسعمائة وثمان وخمسين) .

وحـين وصل رسُل "المطهر" إلـى تعز قـابلهم الباشـا "مـصطفي نشار" بالإكـرام والتبـجيل والإعظام وحـقق لهم ما في نـفسه من مـحبـة الصلاح ثم أرجـعهـما إلى "المطهر" ومعهما الشـيخ" أحمد بن عثمان العمودي "من علماء الشافـعية ليعرف ما عند "المطهر "من الطاعة للسلطان فلما وصلوا إلى «المنقب» وبها محطة "ازدمر" منع "ازدمر" وصول رسول "مصطفي نشار" إلى المطهـر لـ «ثلا» يطلع على حقيقة الأمر ونهض "مصطفى" إلى اليمن الأعلى وكـتب إلى "المطهر" أن يرسل إليه أحد أولاده إلى «ذمار» . ولما اجتمع بـ "أزدمر" في «ذمار» حضه "أزدمر" على حرب "المطهر" فانتظر "مصطفى" وصـول أحد أولاد "المطهر" وكان "المطهر" لم يسـتحسن إرسال أحد أولاده قبل معرفة الحقائق وأجاب على "مصطفى" أن ذلك لا يكون إلا بعد عقد الصلح وتسليم ما وصل إليه من السلطان من الخلع والتحف للمطهر فعلم "مصطفى" أن حيلته على المطهر لم تعمل شيئًا واجتمع رأيه مع "ازدمر" على حرب "المطهر" .

المراسلة بين "المطهر" والأتراك

ثم جلب الأتراك المدفع الكبير من« تعز» وتقدموا إلى «المنقب» ووصل "شمس الدين" إليهم فعزّز الأتراك الكتابة إلى المطهر بأن الرأي إرسال أحد أولاده إلى السلطان كما فعل شريف مكة ثم عقبوا بإرسال بهرام الدفتردار إليه لتمام القواعد فلما وصل إلى قريب «ثلا » منعه الموكلون بحفظ الطرق من أصحاب المطهر عن النفوذ إليه حتى يأذن وكان رجلا عظيما في نفسه فتكبر وظن أن ذلك التوقيف مختص به دون غيره ورجع إلى أصحابه مغاضبا فنهض الأتراك فورا وتقدموا إلى منكل وخيموا فيه وتكررت المراسلة بينهم وبين المطهر في الصلح وكاد الأمر أن يتم وتعقبه الاختلاف .

أنباء ٩٥٨هـ

(تسعمائة وثمان وخمسين)

قيام الإمام "أحمد بن عز الدين" في «فللة»

في صفر سنة ٩٥٨هـ (تسعمائة وثمان وخمسين) وقبل صفر سنة ٩٥٩هـ قام داعيا الإمام الهادى "أحمد بن عز الدين بن الحسن بن الإمام عز الدين بن الحسن بن الإمام علي بن المؤيد بن جبريل" .قال السيد "عبد الله الوزير" في تتمته للبسامة:

ثم الإمام ابن عز الدين إذ لحظت
إليه شزرا فأقصاها عن النظر

دعا بتسع مئين بعد تسعة أعوام
وخمسين في الاثناء من صفر

وثار ثأراً من الحمزي منتدباً
أسكندرا للورى عن راي ازدمر

حتى قضيده وغدا
من بعد ذلك معدوداً من الهجر

وقلت في تحفة المسترشدين:

وقد دعا الهادى الإمام أحمد
سليل عز الدين يامنتقد

بفلل في تاسع الخمسينا
من قبلها التسع من المئينا

وعام حفظ قد ثوى بيسنم
٩٨٨
وعمره عج بلا تلعثم
٧٣

في أنباء الزمن : أن الإمام "شرف الدين "بعد انتقاله من « كوكبان» إلى «ظفير حجة» حرر رسـالة إلى السادة "آل المؤيد" بجـهات صـعده يحـرضهم على إقامـة من يصلح للأمانه وأشار إلى السيد العلامة "أحمـد بن عز الدين" أو السيد" محمد بن الحسن بن أحمد" وأخبرهم بما قد ابتلي به من ذهاب بصـره فأجابوا عليه أنه لا يمكنهم نصب إمام مع وجوده فإنه وإن ذهب بصره فـفيه من الخير والتدبير مالم يمكن في غـيره في العصر فعاد جوابه بإلزامهم مالمح إليه فحينئذ أجمع الحاضرون على مبايعة السيد "أحمد بن عز الدين" وأجابوا على الإمام بذلك فـشكرهم واستحسن ما صنعوه واستـقام الأمر للإمام "أحمد بن عـز الدينِ بن الحسن" في جهات صعـدة وبلغت دعوته إلى «الأهنوم وعِذَر والسودة » وقبض عمّاله واجبات تلك البلاد ثم نابذه الشريف" ناصر بن أحمد الحمَزي الجوفي" وجرت بـينهما حروب شديدة وآل الأمـر إلى استيلاء "ناصـر الجوفي" على صعدة فـتوجه الإمام "أحـمد بن عز الدين" إلى الحـرجه واستقر فـيها وتوجه الـسيد "أحمد بن الحسين بن عز الدين" إلى "ازدمر باشـا "وهو في أبي عريش بتهامة وطلب منه الإعـانة على الأشراف الحـمزات فـوعده بذلك ثم جـهز مـعه من صنـعاء الأمـير "اسكندر" في جند ووقـعت الحرب فكانت الدائرة على الأشـراف فانهـزموا ثم وصل "ازدمر" بنفـسه إلى «صعدة» ففـر الشريف "الحمزِي" إلى« الجـوف» وحصل مع أهل صعدة مالا مزيد عليه من الخوف من "ازدمر" فـأمَّنهم ثم استعمل على صعدة الأمير" اسكندر"وجعل أعمال البلاد الشاميه إلى السيد "أحمد بن الحسين "ورجع "ازدمر" إلى صنعاء ووفـاة الإمام "أحمـد بن عز الدين بن الحسـن" كانت سنة ٩٨٨هـ (تسعـمائة وثمان وثمانين).

أنباء ٩٥٩ هـ
(تسعمائة وتسع وخمسين)

حروب وخطوب "ثلا"

وفي سنة ٩٥٩ هـ (تسعـمائة وتسع وخـمسين) في محـرم نهض الباشـا "مصطفي نشار" بعساكره إلى رأس المعنيين فلم يلقه أحـد من عسكر المطهر ، وكان "ازدمر" قد تأخر وجنح إلى الهدنة وإطفاء نار الفتنة بعـد أن أثارها وأطار شرارها فلما علم استقرار مـصطفى في المعنيين بدون قـتال نهض بعـده فلبـثا في المعـنيين أربعة أيام ، ثم وجـه "المطهر" ابن أخـيه "صـلاح الدين بن شمس الدين" وغـيره في عسكـر عظيم لحرب الأتراك في المشهد القـريب من ثلا فوقعت بينهم الحروب واشـتدت الخطوب وتعاظمت الكروب وثبت جند المطهر ثبـاتا لم يُعرف مثله مع كثـرة أجناد السلطان واتساع الآلات وضربهم بالمدافع والزبارط والبنادق حتى أن أجناد المطهر اتخذوا لهم أخاديد في الأرض

يعتصمون بها من أحجار المدافع واشتدت المداناة بين الفريقين وكاد أن يتصل سواد الفيلقين وقتل من رجال المطهر عدة من أعيانهم "الحسن بن عز الدين المؤيدي" والشيخ محمد العبدي" وأصيب الفقيه" يحيى إبراهيم النصيري" وغيره وانهزموا عن موضعهم محلق فقبضه الأتراك ولم يشعر جند المطهر إلا والسيف يعمل فيهم ولما رأى المطهر ما نزل بقومه ارتفع نحو الحصن فوجد بابه قد غص بالرجال والنساء والأطفال فرقَى على الأعناق وقد التقت الساق بالساق وصاروا في أمر مريج ومات بالزحام عدة وكان يوماً عبوسا قمطريرا . وأما الأتراك فإنهم اشتغلوا بنهب مدينة «ثلا» عن لحاق أهلها فكان ذلك من الألطاف فإن المطهر أمر أهل المدينة بالخروج فورا إلى حيث يأمنون على أنفسهم وأهليهم قبل أن تصدهم الأتراك عن الخروج وتزداد الشدة على المحصورين ببقائهم أجمعين ، فسار أهل المدينة في نجاة وأمان ولم يصبهم من الأتراك ما أصاب أهل صنعاء سابقاً ولم يبق عند المطهر بالناصرة إلا من يعتمد عليه وجعل عليهم ابن أخيه "صلاح الدين بن شمس الدين" في أعيان العسكر ودام القتال وطال وجرى من الحروب ما يقصر عن وصفه الواصفون.

السرداب إلى «ثلا»

وحاول الأتراك أخذ الناصرة بكل ممكن حتى حفروا حفيراً في أحد جوانبها واجتهدوا في حفره حتى انتهوا إلى قريب وسط «الناصرة» فكانوا يحفرون ليلا ونهارا ففطن بهم بعض حَفَظَة الحصن بأن سمعوا وقع الفؤس في الحجر فأشعروا المطهر بذلك فأمر أن يحفروا أمام ذلك الحفير ثم أمر جماعة من شجعان عسكره أن يكمنوا فيه فلما وصل الأتراك إلى ذلك الغار لم يشعروا إلا بالسيوف فقتل بعضهم وفر الباقون ، ولما اشتدت الحرب وأطبق وطال الكفاح وضاقت الأرواح وعظمت الشدة وامتدت في الحرب المدة طلب الأتراك الصلح من "المطهر" .

الصلح بين الفريقين

فانعقد الصلح على أن المطهر يترك للأتراك مدينة الطويلة وبلادها وتبقى له بقية بلاده وحصونه ووضعت الحرب أوزارها ثم إن "ازدمر" عقد للمطهر لواءً سلطانيا واجتمعا في عارضة حصن «ثلا »وتعانقا بحرارة ولما رآهما "شمس الدين" قال ياالكما من جبلين اصطدما وبحرين التطما ، ثم صنع "المطهر" لهم ضيافة سنية أحضر فيها أنواع المأكولات والفواكه الطرية وقدّم للخيل والبغال غرائر الشعير لتأكل من أعلاها وأظهر المطهر كرما وسعةً فعجب "أزدمر" من ذلك بعد طول الحصار .

ويحكى أنه كان للمطهر طريق خفية يخرج منها من الحصن ويعود وأنه انتصر على قبائل خالفوه قريب السودة وأعلن المطهر النصير لذلك فعرف" ازدمر" ذلك فقال إذن

ليس هو المحصور ونحن المحصورين فأسرع في طلب الصلح وتعهد كل منهما للآخر ثم دخل "مصطفى نشار " فلم يحصل بينه وبين "المطهر" من الأنس مثل "ازدمر" ثم انفصل الباشتان بعد تقرير القواعد وقوّضا خيامهما وأمرا بجر المدافع ورجعا إلى صنعاء. ثم توجه "مصطفى نشار" إلى الأبواب السلطانية وسار "ازدمر" لاستفتاح اليمن الأسفل والتهائم حتى انتهى إلى جيزان وسار المطهر لتمهيد بلاده وكانت جملة المعارك بين "المطهر وازدمر" نحو الأربعين. ويحكى أن "ازدمر" كان يعتقد في الحساب ومعه حسّاب ماهر فسأل بـ «ثلا » عند عقد الصلح هل سيتم أو ينتقض فقال له سينتفض ويُخرِج "المطهر" الأتراك من اليمن إلى البحر ويحكم اليمن سنتين ونصف السنة فاستفهمه "ازدمر" من أين عرف فأوضح له وكان "ازدمر" يعرف الحساب فصدقه ،ثم كان كذلك ثم عاد الأتراك وتمكنوا من اليمن بعد موت المطهر كما سيأتي .

الوفيات

علي راوع الخولاني وصنوه محمد

فيها توفى بوادي «عاشر بنى سحام خولان الطيال »القاضي الحافظ المجتهد الكبير "علي بن عبد الله بن علي بن راوع السري الصنعاني الخولاني" وسبب موته أنه سقط من سطح داره بخولان وبيت راوع من قرية الشرقة في أعلى وادي السر » وهم بطن من بطون «خولان» وكان والده من عوام أهل السر فسلك ولداه "علي" و"محمد" مسلكه ثم قصدا صنعاء للقراءَه فأخذ "علي" عن الإمام "شرف الدين" والسيد "محمد بن عبد الله بن محمد الحسيني" والقاضي "محمد بن أحمد مرغم" والقاضي "محمد بن يحيى بهران" وغيرهم .

وله مؤلفات منها «الشرح الكبير على الأثمار والشرح الصغير عليها» أيضاً و «تفسير القرآن» في مجلدات ، وعَرَض عليه الإمام شرف القضاء بصنعاء بعد أن كان مدرساً بجامعها وأمره أن يحكم باجتهاد الإمام كسائر الحكام فقال "راوع" أما أنا فلا أدخل القضاء لأنه يجب أن يحكم الحاكم المجتهد باجتهاده ، ثم سار إلى خولان وقام بالقضاء صنوه "محمد راوع" . ومن شعر علي إلى شيخه "محمد بن يحيى بهران" :

سلام وما التسليم يقضي لنا فرضا
إذا لم نقبل بين أيديكم الأرضا
فلا تحسبوا طول المدى عن مقامكم
لأجل ملالٍ في القلوب أو البَغضا
ولكنها الأقدار تجري على الفتى
ضرارا بمالا يشتهيه ولا يرضَى

وصنوه العلامة "محمد بن عبد الله راوع" أخذ عن الإمام "شرف الدين" وغيره

وتولى القضاء بصنعاء وكان من أكابر الإعلام ومات بصنعاء.

أنباء ٩٦٠ هـ (تسعمائة وستين)

وفي سنة ٩٦٠ هـ (تسعمائة وستين) أسمع السيد "أحمد بن محمد بن المنتصر الظفيري" وغيرُه «بحصن الظفير» في كتاب «البحر الزخار» على الإمام "شرف الدين" سماع بحث وتحقيق.

وفيها طلب السيد العلامة" أحمد بن عبد الله الوزير" الإجازه من الإمام فأجازه إجازةً شاهدة بعلو رتبة الإمام في العلوم، وفيها وصل إلى الإمام كتاب من الأشراف آل سليمان بن عبد الله الحَسنىَ من المخلاف السليمانى يذكرون ما تيسر لهم من النصر على العسكر المصريين فأجاب عليهم الإمام بقصيدة منها:

الحمد لله مولى النصر والظفر وجوه آل النبى الطيب الطُهِر
شوقاً إليكم لقد سرت علومكمُ قلبى وردت قوى الأسماع والبصر
وافت لرد ضيا عينى مقارنة فازداد والله محمودٌ ضيا بصري
وذكرتني جهادات مضت وبها أرجو من الله ربي وافي الأجر

قيام "المهدي الحسن بن حمزه" في « شظب »

في سنة ٩٦٠هـ (تسعمائة وستين) كانت دعوة الإمام الناسك "الحسن بن حمزة بن علي بن محمد بن علي بن محمد بن سليمان بن اسحق بن سليمان بن على بن عبيس بن القاسم بن علي بن محمد بن صلاح الدين بن القاسم بن إسماعيل بن عبد الله بن محمد بن الإمام القاسم الرسي بن إبراهيم". إلخ ، كان من العلماء الفضلاء الأتقياء كانت دعوته في بلاد «شظب» سنة ٩٦٠ هـ (تسعمائة وستين) والإمام "شرف الدين" بالظفير و"المطهر بن الإمام" في بلاده فأوجب بعض العلماء على هذا "السيد الحسن" القيام بالإمامة، وكتب إليه القاضي" محمد بن أحمد بن يحيى حنش" قصيدة منها:

قـــد طـال شكـوى ملة الـمـــخـــتـــار
بـتـظـلـم وتـالـم وخـــوار
وقـــفت بصـــعـــلة مـــلة تـشكو بهـــا
مـــا نـابهـــا من نـائب الـفـــجـــار
وتـرددت مـــــــا بـيـن أهـل الـحـل
والإبـرام والإيــراد والإصـــــــدار

وهي في «اللآليء المضيئة» إلى ١١٩ بيتاً أجاب عنها الإمام "الحسن بن حمزة" بقصيدة أولها:

أبـلـغـت فــي الإِعــــذار والإنـذار
وذريـت بـــذراً مـــــــاذراه ذاري

ثم كانت دعوته، فأجابته بعض القبائل فانتقل بأهله وأرحامه إلى «بلاد الأهنوم» فأجابته الأهنوم وظليمة وعذر وسار إلى حجوز الشام فأرسل المطهر من طارده عن «حجور» فرجع إلى ا«لأهنوم» وكان قد وضع زكاةَ أهلها عند مشايخها فاستهلكوها ثم خذلوه فاشتدت حالته حتى أكل الشجر ونحوها وكان غرضه الوقوف في بيته في قرية «اللسان شظب» عقيب دعوته فالجأته القبائل إلى المسير بأهله فأخرب "المطهر" بيته ثم صالح "المطهر" فعمر "المطهر" بيته وأجرى له كفايته فلبث بعد رجوعه من لدن "المطهر" نصف شهر ثم مات في بيته سنة ٩٦١ هـ وأشار إليه "الوزير" في «تتمة البسامة» بقوله:

وقـــابـلـت حـــسـنا بالـغـــدر في شـظب
وأقنعـتـــه بيـيـت شـامـخ الحـجـــر

وقلت في تحفة المسترشدين:

وقـــد دعـــا المـــهـــدي إلى دين العَـلِي
الحـــسن بـن حـــمـــزة نـجل عـلي
بعـــام ســتـــين عـــقـــيب الـتـسع
فـي شـظـب وحــــول ذاك الـربـع
ثم انـثـنى إلى حـــجـــور الـشــام
وكـــان مـــا كـــان من الصـدام
وبعـــدها في واحـــد الـســتـــينا
وقـــد ثـوى في شـظـب دفـــينا

أنباء ٩٦١هـ

(تسعمائة وواحد وستين)

عزل "ازدمر" وتولية "مصطفى نشار" ثانية

في سنة ٩٦١ هـ (تسعمائة وواحد وستين) بلغ "ازدمر باشا" عزله عن اليمن بـ "مصطفي باشا نشار" الذى في اليمن، فكتم "ازدمر" الأمر وسار نحو الأبواب السلطانية عن طريق الحبشة وحسّن للسلطان فتح الحبشة فأذن له السلطان بفتحها وأمر على نائبه بمصر أن يعينه فأعانه بثلاثة آلاف مقاتل فسار إليها عن طريق البر من مصر واستفتحها وبنى فيها القلاع الحصينة ولم يزل بها إلى أن مات بها.

ومن مآثره بصنعاء القبة جنوبى «باب شعوب» ووقف عليها وعلى التكية التى كانت تحتها لإطعام المساكين وقد هدمت القبة والتكية وعَمَر" المنصورُ على بن المهدي عباس" في مكانها وما حولها مسجد الإيمان ولكنه لا يزال يُعرف بمسجد "ازدمر" . وقد قيل أن جميع الأوقاف من "ازدمر" كثير جعلها كأروش جنايته على أهل صنعاء وديات قتلاهم عند احتلاله لصنعاء في حربه مع "المطهر" كما سبق.

أنباء ٩٦٢هـ

(تسعمائة واثنين وستين)

وصول "مصطفى نشار"

وموته بزبيد وتصالح "المطهر" و"شمس الدين"

في سنة ٩٦٢ هـ (تسعمائة واثنين وستين) وصل "مصطفي نشار باشا" بولاية اليمن وسارع بإشعار "المطهر" وطلب "محمد بن شمس الدين" إلى بيت الفقيه فأقام عنده أياما ظهر له من نفثاته ما غيّر خاطره فرجع وأخبر والده وأشار بمصالحة "المطهر" فأرسل ولده "صلاح الدين" إلى «ثلا» فتم الصلح بينهما على أكمل الوجوه ، وكان "المطهر" في «الرُغَيل » فانتقل إليه" شمس الدين" ببعض أهله أياما وخرج لطيافة بلاده . وأما "الباشا مصطفى" فمرض قبل دخوله «زبيد» فحمل إليها ومات بها.

وفي سنة ٩٦٢ هـ (تسعمائة واثنين وستين) ارتفعت أسعار الطعام حتى بلغ الزبدي الصنعاني من الحنطة أربعين أوقية والأوقية درهمان والذرة ثلاثين أوقية واستمر القحط إلى آخر السنة .

وفيها وقع الاختلاف بين السيد "أحمد بن الحسين المؤيدي" وبين "الأمير اسكندر" بصعدة وحصلت بينهما حرب شديد فانهزم "اسكندر" عن « صعدة» وخرج إلى محل العينا وأقبل الإمام" أحمد بن عز الدين" معينا للسيد "أحمد بن الحسين" في مائتي

فارس فانهزم "اسكندر" ثم خرج إلى الحضائر فقصده "أحمد بن الحسين" وكانت بينهما معركة انهزم في آخرها اسكندر وتعقبها خروج الأتراك من صنعاء لحرب "أحمد بن الحسين "فاستدعاه المطهر فسار بأهله إليه فأكرمه غاية الإكرام وأسكنه «حصن الجاهلي» من بلاد «حجة».

أنباء ٩٦٣ هـ (تسعمائة وثلاث وستين)

وفي سنة ٩٦٣ هـ (تسعمائة وثلاث وستين) أقام الأتراك بزبيد أميرا عليهم "سليمان الدفتردار" ناظر السلطنة وكان قد عهد إليه الباشا "مصطفى نشار" قبل وفاته فغلب عليه الأمير "ميرزه بن نصوح" كاشف تعز ومنعه عن التصرف وضبط البلاد وقصد أهل وصاب وأوقع بهم وأخرب دياهم وقتل الفقيه العارف "عبد الوهاب الخولاني الشافعي" وكان عليه مدار أهل «وصاب» في القضاء والفتوى . ولم يزل "ميرزة" متغلبا على «تعز» حتى قدم بولاية اليمن "الباشا مصطفي عزت" فدخل آخر سنة ٩٦٣هـ وهو أبو ا"لباشا رضوان" و"بهرام" الآتي ذكرهما .

وفيها خرجت ذئاب بجوار صنعاء كانت تأكل الناس فقتلت كثيرين.

الوفيات

وفاة "شمس الدين"

في صفر سنة ٩٦٣ هـ (تسعمائة وثلاث وستين) توفى الأمير الخطير "شمس الدين بن الإمام شرف الدين" في حصن «براش كوكبان» ونقل إلى حصن «كوكبان» ودفن به عن ٦٨ سنة وقبره معروف مع جماعة وهو شقيق "المطهر" ، أمهما الحرة "ألبها بنت الشيخ شمس الدين" وكتموا موته عن أبيه الإمام إلى أن مات بعد سنتين . وكان الإمام يحبه كثيراً ، ولما رجع هو وصنوه "المطهر" من الجهاد بـ «زبيد» إلى صنعاء سنة ٩٤٣ هـ خرج الإمام لتلقيهما وقال صنوهما العلامة "عبد الله" قصيدة منها:

أشرقت بالهنا مدينة سام
وتجلت غياهب الإظلام
قمرا هالة النبوة أضحت
بهما الأرض وهي ذات ابتسام
فخر دين الهدى المطهر
لازال به الدين محكم الأحكام
سيف حق شهاب صدق عفيف
طاهر الكف ثابت الأقدام

علماً يهتدي الملوك بما قال
ويمضي في الحل والإبرام
وتحدث بما تشا عن همام
أريحي سميدع قمقام
شمس دين المهدي ابن يحيى بن شمس الدين
ليث الطعان عند الصدام
ميقظ ما أخف سعياً وما أثبت
جأشاً حين النجور دوامي

ومن قصيدة "لشمس الدين" عند رجوعه إلى «الجراف» بعد طيافته حصون «ثلا» وغيره سنة ٩٤٤ هـ :

عد سالما في نعمة ياحادي
نحو الجراف فقد بلغت مرادي
حمداً لرب العرش قد نلنا المنى
بطيافة الأوطان والأطواد
شم لها سحب السماء مآزرٌ
والنيرات قلائد الأجياد
فالله يحرسها بحفظ إمامها
وإمامنا من للبرية هادي
يحيى ونحن بنوه سادات الورى
الطيبو الآباء والأجداد...إلخ

وقرضها صنوه "عبد الله" بقصيدة منها:

عرج بربع أحبتي يا حادي
هذى منازلهم وهذا النادي
واعد لسمعي ما حلوت به فقد
ملكت معانيه صميم فؤادي
كرر على فدتك نفسي منشداً
(عد سالما في نعمة يا حادي)
شعراً لشمس الدين نجل إمامنا
أزرى بشعر لبيدهم وزياد

...إلخ

وسبق في سنة ٩٤٨ هـ (تسعمائة وثمان وأربعين) أمر الإمام للخطباء بذكر أولاده المطهر وشمس الدين وعبد الله وعلي . وكان يقول الخطباء بعد ذكر الإمام:
(اللهم واشدد أزره بتوفيقك وتأييدك ولطفك وتسديدك لولديه عبديك المجاهدين معه

في سبـيلك واقرن حركاتهم وسكناتهم بمـطابقة مرادك ورضاك الناصـر لدينك بفضلك وحولك وقوتك ، "المطهر" والمؤيد بنصرك وحمدك وشكرك "شمس الدين" ، والمعز بعزك وكنفك وحرزك "عز الدين " ، اللهم وأدم جميع أصناف العلم الشريف وأقم قناة حياة الدين الحنيف بزيادة رعاية الصدر العالم الراسخ الحـبر البحر الطود الشامخ "محيى الدين أبى محـمد عبد الله المفـضل بن أمير المؤمنين" ، اللهم وبلّغ الرجـاء من فضلك المألوف ، في حراسة الملة الدينية وطولك المعروف ، في حيـاطة القواعد الإسلامية في عبدك الشاب التقي الطاهر النشأة النقي ناظر عيون حافظ السنة النبوية باقر علوم الشريعة المحمـدية مصنفا كتـاب الشمس والأقمار في تـخريج الأدلة العلمية "جـمال الدين أبى الحـسن علي المرتضى بن أمـيـر المؤمنين" ، اللهم واصلح سـائر أولاد أمـيـر المؤمنين وذرياتهم كما أصلحت به عبادك المخلصين. . . . إلخ.

وأكثر العلماء والأمراء والنبهـاء من آل الإمام "شرف الدين" إلى عصرنا هذا من ذرية الأمير "شمس الدين".

أنباء ٩٦٤ هـ (تسعمائة وأربع وستين)

وفي سنة ٩٦٤ هـ (تسعـمائة وأربع وستين) أمرت الأتراك بإزالة (حي علـى خير العمل) من الأذان وكانوا من قبل مبقيين عليها حتى وصل "الباشا مصطفى عزت"

أنباء ٩٦٥ هـ (تسعمائة وخمس وستين)

الطاعون ووفاة الإمام "شرف الدين"

وفي سنة ٩٦٥ هـ (تسعمائة وخمس وستـين) وقع الطاعون في صنعاء ،فذهب فيه كثير من الناس والأعيان .

وفي ليلة الأحد سابع جمادى الآخرة سنة ٩٦٥ هـ (تسعمائة وخمس وستين) توفى بحصن «الظفيـر» الإمام الأعظم المتوكل على الله "يحيى شـرف الدين بن شمس الدين بن الإمام المهـدي أحمد بن يحيى بن المرتـضى" عن ٨٧ سنة وتسعة أشهـر من مولده وعن ٥٣ سنة من دعوته وحضر وفاته والصلاة عليه من أولاده "المطهر" و"عبد الله" و "رضي الدين" ، ولقد كـانت دولته غرةً في جبين الزمـان ، عُمِرت فيـها ربوع الدين وشيدت أركان شريعة سـيد المرسلين وظهر الحق وسبق ، وذهب الباطل وزهق . ومع هذا لم ينس نصيـبه من الدنيا على الوجـه اللائق بحاله المعروف مـن سيرة أمثـاله مثل الترفيه على الأهل والأولاد والأصحاب والعلماء والأعيان.

عَمَر في «صنعاء »و«الـروضة» و«الجراف» العمائر العجيـبة المحفوفة بالبسـاتين الرحيبة المشتملة على اصناف الأشجار المتدليـة بأنواع الثمار ومن ذلك حصن «فاضل» في أعلى

«حدة بنى شهـاب» ودور كثيرة في «الجراف »لازالت آثارها إلى هذا القـرن الرابع عشر ولم يبرح يتنقل في تلك الحـدائق والمبانى ويفك من صروف الزمـان الضعيف والفقـير والعاني ويلبي طلب المساكين والعفاة القاصي والدانـي . ويقال إنه استغرب إقبال الأيام بسعادته السنين الطويلة ولم تصبه طوارق الحدثان لا في نفسه ولا في أهله وأولاده وماله ودولته كما كان نصيب أئمة الهدى من أهل البيت قبله حتى أصابته أول محنة سنة ٩٥١ هـ بموت ابنه "عبد القـيوم" في حال زفافه لختم القرآن وسقوطه من فوق جـواده كما سبق ،ثم باختـلاف "شمس الدين" و"المطهر" وميله مع "شـمس الدين" حتى كانت الكوارث المهيلة وأعظمهـا تمكن الأتراك من تملك اليمن ثم بفقده لبـصره نحو سنتين أو ثلاث فتـرك الدنيا وسكن الظفيـر وأعاد الله له بصره سنين إلى وفـاته ونسخ بخطه بعد عود بصره مصحفين شريفين .

ودُفن في القبة التى بناها لنفـسه بالقرب من قبر جده الإمام "المهـدي أحمد بن يحيى المرتضى" وأعظم سكناه بـــ «الجراف» وسـماه «هجـرة الإيمان »وبلغ شأواً كـبيـرا في العمران والأشجار والأثمار والمساجد وكانت تجرى إليه ثلاثة أنهار وقد ذهبت تلك الدور الزاهية وحدائقهـا الناضره ولم يبق إلا بعض محاسنه منها الأربعـة مساجد والمدارس بـ «كوكبـان» و«ثلا» و«صنعاء» و«ذمار» وزيادته الواسعـة في مسجد الفليحـي بصنعاء فإن أصله دعامـتان فقط شرقـيه الجنوبي ثم مده ووسعـه الإمام "شرف الدين" غرباً عـشر دعائم إلى حـد الباب الغربي الموجود الآن وعـمر له الصرح والمطاهيـر للوضوء ومنازل للمهاجرين .

ولما انتقل الإمام من «الجراف» إلى «حدة» كتب إليه ولده العلامة عبد الله قصيدة على لسان «الجراف» منها :

يـاواحـــــــد الأزمـــــــــان يا مـن لـه
ظـل عـلـى كـل الـبـــــــــرايـا ظـلـيـل

ومـــــعـــــــدن الفـــــضـل ورب العُـلَى
وصـــاحـب القــــدر الـنـبـــيــــه الجليل

مـن هجـــــــــرة الإيمان تـصـــــــديرهـا
مُـــسـهْــدِيةٌ رائـق عــــتـب جــــمـــــيل

منشـــــدة بيــتـين فــاســمــعــهــمــا
واحكـم بما شـــئـت فـلن نسـتـــــقـيـل

إن كـنت أزمـــــــعــت على هجـــــرنـا
من غـيـر مــا جـرمٍ فـصـبـر جـمـيـل

وإن تـبــــــدلّت بنـا غـــــيـــــرنـا
فـــحـــســـبنا الله ونعم الـوكـــيـل

قـــائـلة بـعـــــلهمـــا بعـض مـــا
في نفـــــهـــا إذ قـــد يفـــيـــد القـليل
مـــولاي مـــا هذا الجــــفـــاء الذي
بـدا ومـــــا تجــــــعـلـه من بـديـل
ولـيس فـي حـــــــدة مـــــالـم يكـن
فيّ فـــيـــســــتـــوجب هذا الـرحـــيل
لـن تجــــــدوا مــــــثـل هواي الـذى
صـحّ بـه ذاك الـنـســـــيم الـعـلـيـل

. . . إلخ

وهى طويلة .

الوفيات

"عبد الرحمن التبريزي"

في سنة ٩٦٥ هـ (تسعمائة وخمس وستين) توفى بصنعاء الشيخ العلامة العارف الفلكي "عبد الرحمن بن محمد التبريزي" وشيع جنازته الباشا" مصطفى عزت" وهو الذي أهدى "للمطهر بن الإمام" كتاب «الأسباب والعلامات في الطب وشرحه» بخط مصنفه "عوض نفيس المصري" .

وكان "التبريزي" من رجال "الباشا ازدمر" ولا يفارقه وسأله في سنة ٩٥٦ هـ (تسعمائة وخمس وستين) عقيب الصلح مع "المطهر" بـ «ثلا» هل ينتقض الصلح ويملك "المطهر" عموم اليمن فقال نعم يملكه سنتين ونصفا فقال له "ازدمر" من أين أخذت ذلك؟ فقال الشمس في العاشر من بيتها وقوفها فيدل على أن المسئول عنه عظيم القدر بعيد الصيت ولكونها كذلك يدل على أنه يملك القطر اليمني ، والباقي للشمس في برج الأسد درجتان ونصف والبرج دليل السنين فعرفت أن لكل درجة سنة ثم وقع ما قاله "التبريزى" لكن التأثير لمكوّن الكائنات وخالق المخلوقات والمتصرف في النجوم وكل البريات.

وفي ذى القعدة سنة ٩٦٥ هـ توفى مسجونا بالدار الحمراء بقصر صنعاء الأمير" عبد الله بن أحمد بن حسين الحمزي الجوفي" .

أنباء ٩٦٧ هـ (تسعمائة وسبع وستين)

عزل "مصطفى عزت"

وتولية "محمود باشا"

في محرم سنة ٩٦٧ هـ (تسعمائة وسبع وستين) بلغ "مصطفى عزت باشا" عزله بالباشا "محمود"، فتجهز للمسير إلى الروم وكان عادلا بالنظر إلى غيره.

وفي صفر وصل "محمود باشا "إلى اليمن وكان جبارا سفاكا للدماء وأول ما كان منه فتكه بالفقيه "عبد الملك اليمني" أمير «دار الضرب» واستولى على جميع أمواله وقتل معه "الكيخيا كيوان" بسبب ما كان منهما من غش السكة الفضة بالنحاس وجعل "كيخيا مراد" خلفا لكيوان ثم صار" مراد" نائبه على اليمن الأسفل وأقر "محمود" مواد الصلح مع "المطهر" ولم يتجاوزها.

الوفيات

محمد بن علي والد الإمام القاسم

في سنة ٩٦٧ هـ (تسعمائة وسبع وستين) توفى في بني مديخه الشرف السيد العارف محمد بن علي بن محمد بن الرشيد الأملحي الحَسَني والد الإمام القاسم وابنه القاسم رضيع كما سيأتي.

أنباء ٩٦٨ هـ (تسعمائة وثمان وستين)

وفي سنة ٩٦٨ هـ (تسعمائة وثمان وستين) وصل إلى صنعاء الباشا "محمود" وأرسل إلى "المطهر" بتقرير قواعد الصلح فقابلَ "المطهر" رسولَه بالإكرام وخلع عليه. وفي آخر سنة ٩٦٨ هـ (تسعمائة وثمان وستين) جهز "الباشا محمود" الأمير "اسكندر بن حسام الكردي" بطائفة من الجند لمقاتلة الفقيه "علي بن عبد الرحمن النظاري" صاحب «حصن حب» في بلاد «اب».

أنباء ٩٦٩ هـ (تسعمائة وتسع وستين)

قتل "محمود" "للنظاري"

وفي محرم سنة ٩٦٩ هـ (تسعمائة وتسع وستين) تجهَّز "محمود" بنفسه لمحاربة "النظاري" وكانت قد وقعت الحرب بين "النظاري" و"اسكندر" في جبل «الشعرِ» وانهزم "النظاري" إلى حصن «حب» فتقدم "محمود" إلى قريب «الحصن» وخيَّم هنالك وحاصره من كل جانب فاشتد على "النظاري" وأصحابه الكرب لعدم الماء فمال "النظاري" إلى يد الأمير" محمد بن عبد الله بن جعفر الداعي الإسماعيلي" وكان غداراً مكارا فدار الكلام على خروج "النظارى" بأهله وأولاده ومن عنده إلى حيث يريدون وتقرر الصلح بهذا وأرسل "النظاري" ولده إلى الباشا فكساه وأعطاه عهدا على تمام الصلح وفي اليوم الثانى نزل"النظاري" إلى الباشا بجماعة من عبيده وأصحابه فأمر الباشا بضرب أعناق الجميع في ذلك الموقف وارتفع من فوره إلى الحصن فاستولى على جميع ما فيه وسبيت حريم "النظاري" وبيعت جواريه وكان ذلك بتحسين "الداعى الإسماعيلي" للباشا بغدر ممقوت فجزاه الله بمثل ذلك كما سيأتي.

أنباء ٩٧١ هـ (تسعمائة وواحد وسبعين)

الأمير الكذوب

في سنة ٩٧١ هـ (تسعمائة وواحد وسبعين) وصل إلى صنعاء أمير يقال له "القرماني" يدَّعي أن في يده مرسوما من السلطان العثماني بولاية اليمن وكان الباشا "محمود" في تعز ونائبه في صنعاء الأمير "محمد بن حسن قُزل باشا" فلما ظهر عدم صحة دعوى "القرماني" أمر بمحاصرته وكان قد قبض على دار الجامع بصنعاء وظن أنه قد أخذ بمجامع صنعاء وفي خلال محاصرته فتح بعض كُوىَ الدار ـ لحاجة ـ فلاح شخصه لرجل من اهل «شعوب» فرماه وكان آخر العهد بالأمير الكذوب .

وفيها طبق الآفاق سحاب متراكم وتلبدت وهطلت الأمطار ديمة وطفاء وحجبت الشمس لمدة شهر ، وتخربت بعض الدور وهلك بها ناس،فسبحان الفعال لما يريد.

قتل الأمير" اسكندر الكردي"

فيها قتل الباشا "محمود" الأمير "اسكندر بن حسام الكردي" وكان أحد الرؤساء

الأمجاد العـقلاء ، وله آثار حسنة مناهل وسـبل منها : بركة حورة بحـجة وبركة في الصفقين في بلاد حفـاش وأصلح بركة متنة في بلاد البستان وقبة مـسبلة سقاية في باب السبحة تعرف بقبة محسن ومسجـد الاسكندر وجدد عمارة الجبّانة مصلى العيد شمالي صنعاء وعمـارة مسجد الأبرز أعلى صنعاء على الأصح وعـمارة مسجد عـقيل بصنعاء وغير ذلك . ولما بلغ المطهـر قتله تعب لذلك وقال والله ليؤْسف عليـه ويحُزن ولو كان من جهة الغير لعقله ولعل قبره في مسجد قبة محسن .

ولما سار قاتله "محمود" إلى مصر سنة ٩٧٥ هـ قتل غيلة وقيل في تاريخه.

إن محمود قتله بغتة كان موعظة

قيل أرخت قتله قلت تاريخه (عظة)

٩٧٥

الوفيات

"صلاح بن شمس الدين"

وفي جمادي الآخرة سنة ٩٧١ هـ (تسعمـائة وواحد وسبعين) توفى بمدينـة «ثلا» الأمير القمـقام المجاهد "صلاح الدين بـن شمس الدين " وكان دفنه في القـبة المعروفة بقـبة "صلاح الدين" بـ «ثلا» وحزن عليه عمه "المطهـر" حزنا عظيما لأنه لم يزل في طاعته والجهاد بين يديه وله معه من المواقف الحميدة العديدة

وفيها مات بالزاهر من بلاد الجوف الشريف "ناصر بن أحمد الحمزي" ، ومات ولده "صالح بن ناصر الحمزي" سجينا في «الدار الحمراء بقصر صنعاء».

أنباء ٩٧٢ هـ (تسعمائة واثنين وسبعين)

عزل "محمود" بـ "الباشا رضوان"

الذي نقض الصلح مع "المطهر"

في سنة ٩٧٢ هـ (تسعمائة واثنين وسبعين) توجه الباشا "محمود" عن اليمن وقد بلغه عزله بالباشا "رضـوان" وقيل إن "محموداً "عزم من اليمن بألفي بعـير وثلاثمائة فرس وغيرها مما جمعه من الثروة الطائلة في مدة ولايته التى تتجاوز خمس سنوات .

أنباء ٩٧٣ هـ (تسعمائة وثلاث وسبعين)

وفي ربيع الثاني سنة ٩٧٣ هـ (تسعمائة وثلاث وسبعين) وصل "رضوان باشا" إلى صنعاء وتغافل عما بين الولاة قبله وبين "المطهر" من الصلح ولم تبدر منه بادرة حتى وفد إليه صديقه الفقيه "صالح الكوراني" فأرسله "رضوان" إلى "المطهر" لتعديل مواد الصلح وتسليم "المطهر" بعض البلاد وقد وصل "رضوان" في أهبة عظيمة وتيه كبير وجيش جرار ولم يفعل كما يفعله الولاة السابقون من المسارعة إلى "المطهر" بالكتابة بوصوله وبالبقاء على المعاهدة بل ربما أطمعته نفسه في الاستيلاء على "المطهر" فأشار إلى "المطهر" بوصول "الكوراني" إليه فأجاب المطهر بالاستعداد بعد مرور "الكَوراني" بأخيه "علي بن الإمام" بذي مرمر فوصل "الكوراني" إلى "علي بن الإمام "فقابله بالإجلال والإكرام وجرت بينهما مذاكرة علمية وأدبية ولما أراد "الكوراني" التوجه إلى "المطهر" قال له "علي بن الإمام" :أيها القاضي إن من حق الصحبة وتمام العشرة وحسن النصيحة وأنت عازم إلى رجل ألمعي يعرف دقيق الإشارة وخفي الرمز والعبارة فإياك والاسترسال في المقال ومعاملته بالإذلال ،ولا تقس حاله بحالنا ومقامه بمقامنا ، فنحن وأنت قد رفعت عنا المودةُ حجاب المحافظة وحصل الأنس بيننا وبينك مع كثرة المخالطة والمفاوضة) .

ولما وصل "الكوراني" إلى مقام "المطهر" قابله بالإكرام وكان قد جمع عامة أجناده وعيون أهل بلاده وضرب مخيما عظيما فدخل "الكوراني" ومن معه إلى "المطهر" وسلموا ما بعثه الباشا معهم من الكسوات والرسالة فأجازهم "المطهر" بمثلها من الحلل النفيسة وصرفهم إلى دار عجيبة وأجرى عليهم الكفاية الفاضلة وبعد ثلاثة أيام طلب "المطهر" "الكوراني" وسأله عن موجب وصوله فأجاب بما أودعه "رضوان" من الأمور الخارجة عن الصلح وقواعده المتقدمة واسترسل "الكوراني" في كلامه إلى مالا يعنيه فقال" المطهر" : (إن كان الصلح على ما مرت عليه الأعوام وعمل به النظام ، فذلك المطلوب ونهاية المرام وإن كنتم تريدون الفتنة وإثارة المحنة ومعاملتي بالحيف ، فما لكم عندي غير السيف ، فارجع إلى صاحبك وإياك أن تحمله على نقض الصلح فتندم) ولما رجع "الكوراني" إلى الباشا رضوان وسأله عن حال "المطهر" قال : (شخص ما له في المخيلة نظير ، وكلامه كأنه زئير، وأنه منطو على الشر ، وإن لم يظهر له الآن أثر) ، وما زال يحسن لرضوان نقض الصلح فانخدع لكلامه "رضوان" وكانت عاقبته الوبال والخسران . . هذا كلام السيد عيسى في «روح الروح» إلى أن قال : حدثني بعض المتعلقين بخدمة "المطهر" قال كنت أختلف إلى صنعاء وعرفت القاضي "الكوراني" وكان له ميل إلى العلوم وأصحابها وكان قد اتهمني "رضوان" بالجاسوسية

للمطهر فطلبني وتهددني وتهدد "المطهـر" وفي خلال ذلك دخل "الكوراني" فقال هذا بمعزل عما اتهمتموه فأنقذني من سطوته.

الوفيات

"عبد الله بن الإمام"

في ربيع الثانى سنة ٩٧٣ هـ (تسعمائة وثلاث وسبعين) توفى بـ «ثـلا» السيد الإمام الحافظ الأديب "عـبد الله بن الإمـام شرف الدين" عن ٥٥ سنة من مـولده ، وكان من أكابر العلماء المحققين والشعراء المفلقين وله مؤلفات مفيدة ، مشتملة على أنظار سديدة ، منها «فتح العلي الحق». بشـرح قصيدة «قصص الحق في مدح سـيد الخلق» في مجلدين ضخمـين ، وله شرح على« مقدمـة الأثمار»، وكتاب في «أصـول الدين» وشرح بعض «معـيار النجـري» ، وله تراجم لكثيـر من العلماء الفـضلاء وكتـاب «اعتـراضات على القاموس»، وله أرجـوزة كبيرة تزيد على أربعمـائة وثلاثين بيتا مشهـورة سماّها «الدراري المشرقات في بواهر المخلوقـات» وصف فيها صنعاء والجراف وحـدة وسائر النزه وأنهارها وأشجارها أولها:

أقـــــول بسـم الـله فـي الـبـــدايـة
والـعـــــون فـي الأثـنـاء والـنـهـــــايـة
والحـــمــــد لـلـه بغـيـــر غـــايـة
وهـو الذي نـســـألـه الـهـــــدايـة

وكان قد هاجر إلى مكة المكرمة ثم رجع إلى بلاد الشرق ورفض الولايات بعد أن عرضت عليه وكان محققا في العلوم لاسيما في السنة النبوية مائلاً إلى الزهد والتصوف وأشعاره كثيرة منسجمة ، سبق ذكر قصيدته في القات «أدر غصونا» وغيرها إلى والده . ومن شعره:

بـين الـرجـــــاء وخـــــوفـي
قـلبي الـشـــجي مـــقـــيـم
قـــال الـرجـــــاء لخـــوفـي
إن المخـــــــــوف حـلـيـم
قـــد قــــال جـل تعـــالـى
وهـو الـعــــــــزيـز الحـكـيـم
نـبـىء عـــــبــــادي إنـي
أنـا الغـــفـــــور الرحـــيـم
فــقـــال خـــوفي فــاقـــرأ
مـــا بعـــدها يـافـــهـــيـم

إقــــــرأ : وإن عـــــــــذابي
هـــو الـعـــــــــــــذاب الألـيـم
فـــــقـــــال فـي ســــبق هـذال
ذاك سِــــــــــــــر عـظـيـم

سـل أهــل عـلـم المـعـــــــــــــاني
مــــا ذلـك الـتـــقـــــديمُ

وله:

صـحا الـقلب عن سلمى ومـا كاد أن يـصحـو
وبـان له فـي عــــــذل عــــاذله الـنصـح
ولاغـــرو فـي أن يســـتــبـين رشـــاده
وقـــد بان في ديـجـور عـــارضـــه الصبح
شـــمُـــوسُ نهــارٍ قـــد تجـلت لنـاظري
وأضــــحت لـليل الغـي من خَلَـدي تمحـــو
إذا كـــان رأس المال مـن عـــمـري انقـــضى
ضــيــاعــا فـأنَّـى بعـــده يحـــصـل الربح
شـــبــــاب تقـــضـى في مـــلاهٍ وغـــرة
وشَـيـخــوخـة جـاءت على إثرٍ تنحــو

وله:

ناصــــيـــــة الخــيـــــر فـي يد الأدب
وسِـــرّه فـي قــــرائـح الـعــــربِ
فــــاعـكف على الـنحــــو والـبـــلاغـــة
والآداب تُـحـــظَـــى بـــأرفــع الـرتــب
وتعـــرف القـــصــــد في الـكتــاب وفي
الـسـنة منٍ وحـي خــــيـــــر كـل نبـي
بـقــــدر عــــقـــل الفــــتى تأدبـه
وصــــورة العــــقــل صــــورة الأدب

ولما استجار به مستجير تشفع له إلى والده بقوله:

إني لأكـــــرم من أبي ســـــفــــيـــان
لـقــــرابـتي فـي الـطـهــــر والايمـان
فـــاجــعل أمـــيـر المؤمنين كـــبـيـتـه
بـيـــــتي وخـص جــــواره بـأمـــــان

ولما أخر عنه والده الصرف في سنة ٩٣٧ هـ كتب إليه :

أيا والداً أربى وجودي بجوده
وأصلاً نما في رأس دوحته فرعي
لما تمنعوني الصرف من غير علة
ومعرفتي قد لازمت مانع المنع
وقد أذهبت تنوين فضل إضافة
ملازمة للاتصال بلا دفع
وأني عبد الله والملك ملكه
يُصرّفنى في النصب والجر والرفع

وعند انقطاع الصرف اضطر إلى تأجير دسوت نحاس لطباخين بصنعاء يحتاجونها فقامت حالتُه بأجرتها فلم يشعر يوما إلا وقد ارجعوها واستغنوا عنها فقال : قد أجرى الله لنا هذه المادة عند انقطاع الصرف وأظن أن الامام قد أذن باعادته فصدق ظنه وله:

سقتني رضاب الثغر من كأس مبسِم
برقته والله قد ملكت رقي
ونحن بروض قد جرى النهرُ تحته
فساقية تجري وجارية تسقي

ومما اشتهر إن الإمام كان يفضل شعر ابنه عبد الله على شعره وأن عبد الله كان يفضل شعر ابنه محمد بن عبد الله على شعره ، وروى عن الشيخ العلامة عبد القادر بن محمد بن عطية الشافعي الوافد على الإمام شرف الدين أنه لما دخل زين العابدين علي بن الحسين على يزيد بن معاوية فجعل يستنطقه فيجيبه ويدير سبحة في يده وهو يُكلمُه، فقال له يزيد: لمَ تدير السبحة وأنت تتكلم؟ فقال حدثني أبي عن جدي أنه كان إذا صلى الغداة يأخذ سبحة ويقول اللهم إنى أسبحك وأمجدك وأحمدك وأهَلِّلك بعد ما أدير سبحتي ثم يتكلم وهو يديرها، وذكر أن ذلك مستحب ، وحرزٌ ، إلى أن يأوي إلى فراشه ثم يقول مثل ذلك ويضع السبحة تحت وسادته ، فقال يزيد : لا أكلم أحداً منكم إلا ويجيبني بما يفوز به وأطلقه ووصله وكان قد هم بقتله والله أعلم ، ومما أفاد أن السيوف القلعية منسوبة إلى قلعة وادي ضهر وأن بها معدن حديد وأن صنوه المطهر استخرج منه وعمل منه لكن المغنم لا يساوى المغرم فتركه ، ولما رجع من مكة إلى

مخلاف بني وهلان بالشرق هنأه الإمام المهدي الحسن بن حمزة بقصيدة طويلة منها:

تشعشع نور من جهات المغاربة
وذلك من بدر بها غير غارب
فقيل لنا ماذاك بدر وإنما
سنا وجه عبد الله لا من كواكب
أتى من بلاد الشام من بعد ما قضى
فرائضه في الحج من كلّ واجب
فخيمّ بين السادة الغر واتقى
بلاد بني هلان بين الأطايب

ومن جوابه عليه:

سلام على نسل الكرام الأطايب
حليف التقى والعلم زاكي المناصب
هو الحسن البدر الإمام بن حمزة
حميد السجايا من سما في المراتب
ونخبره أنا وجدنا بمكة
وساحاتها الغرّا نجح المطالب
بها الكفر مقهور بها الحق ظاهر
بها العدل منشور اللواء والذوائب
أقمنا بها ستين يوما كأنها
فراديس جنات الهنا والأطايب
أقمنا بها في المال والأهل والإخاء
وفي العز والإكرام من كل جانب
ملوك وأخوان إذا ما لقيتهم
فحاضرهم يغنيك عن كل غائب
ولم نرتحل عنها ملالا ولا قلّى
ولا صدنا عنها اختلاف المذاهب
ولا خوف مكر الماكرين وغدرهم
ومن ربه يحميه ليس براهب
ولكنها الأوطان تطلب حقها
وحق اب برٍ فحق الأقارب
وإنا من الرحمن نرجوه عودة
وليس الرجا في الله منا بخائب

وله موجها بكتب جده "المهدي" :

قبلته في فيه وهو نائم
فقال قوموا طالبوا بالحد

قلت له أفديك إني غاصب
وما على الغاصب غير الرد

قال نعم لو كنت غير نائم
لكان غصبا يا قليل الرشد

قلت أفي الفقه قرأت قال لا
أما ترى " الأزهار" فوق خدي

قلت وهذا الغيث فيض أدمعي
والغيث" للأزهار" معنى يبدي

"والبحر "أيضا من دموعي حاضر
إن شئت أن تقرأه فعندي

لي في هواك "مِلَل ونِحَل"
أشرحها يوم اللقاء لوجدي

عفا يدي في حبكم "قلائد"
في عنقى نظمتها في عقد

جعلت تعريضى لكم رياضة
الافهام من عواذلي في قصدي

وسيري في حبكم "جواهر"
و"درر" تشهد لي بالرشد

وتاج علم أدبي أكليله
كتمي هواكم عن أناس لدّ

و"غاية الغايات" شرحي حبكم
"ومنية السول" وحفظ العهد

وأن ترد "فوائد" الدمع على
"قلائد" فضمها في العد

وادفع بها الأوهام وأعلم أنها
أنوار سهل الأرض بعد النجد

والحق ان رمت الهدى منهاجه
فالزمه تظفر بالمنى والمجد

وخذ بواقيتا بها عجائب
في حصر تصنيف الإمام المهدي (١)

---

(١) مابين الأقواس : أسماء كتب الأمام المهدي .

الوفيات

"محمد بن عز الدين المؤيدي"

وفي سنة ٩٧٣ هـ (تسعمائة وثلاث وسبعين) توفى السيد العلامة الإمام النحوي "محمد بن عز الدين بن صلاح بن الحسن بن الإمام عز الدين بن الحسن بن الإمام علي بن المؤيد بن جبريل المؤيدي اليحيوي" ، له مصنفات منها «حاشية السيد المسمى مصباح الراغب على كافية ابن الحاجب » لا تنحصر نسخة الخطية وعبارته خالية عن التعقيد يدرسه وينسخه أكثر الطلبة وفيه بركة ومن مصنفاته «شرح على مقدمة الأزهار».

قال القاضي "أحمد بن صلاح الدواري" :

لازمت السيد "محمد بن عز الدين "وقرأت عليه «حاشيته على الكافية» و«المفصَّل» ومقدمات« البحر والأزهار »ثم شرعنا في «البحر» فتوفى رحمه الله وكان فارس العلوم في كل فن مع حسن تأدبه وتعليم ولطف وترغيب وبذل نفسه لكل طالب وهو جد السيد المفتي "محمد بن عز الدين بن محمد بن عز الدين" .

"محمد الحاج الذيبيني"

وفيها توفى في مدينة ذيبين الفقيه العلامة "محمد بن أحمد بن يحيى الحاج الذيبينى" وكان عالماً محققاً ورعاً زاهداً بليغاً في النظم والنثر وقبره بصرح جامع ذيبين الشرقي تحت الصومعة.

"بهرام " نائب صعدة

وفيها توفى الامير "بهرام" نائب السلطنة على صعدة في أيام "مصطفي باشا" وبعدها وكان هماماً ثابتا مقداما وهو الذى عمر الدار العظيمة بصنعاء ثم أخربها "سنان باشا" وأخذ أخشابها لعمل الزحافة على حصن كوكبان .

وفي سنة ٩٧٣ هـ (تسعمائة وثلاث وسبعين) قال" قطب الدين النهرواني" في كتابه "البرق اليماني " : لما رفع "رضوان باشا" إلى مسامع السلطان ما كان عليه "الباشا محمود" من قبح السيرة في اليمن لم يزل "محمود" يذكر لوزراء السلطان ويتوصل بهم أن اليمن قطر كبير لا تكفي في ولايته سلطة الباشا الواحد حتى اثر كلامه في السلطان فبعث إلى اليمن "الباشا مراد" وجعل اليه نصف ولاية اليمن .

أنباء ٩٧٤ هـ (تسعمائة وأربع وسبعين)

هزائم الأتراك

أمام انتصارات المطهر

في سنة ٩٧٤ هـ (تسعمائة وأربع وسبعين) لما تغيرت نية "رضوان "اشتدت وطأته على همدان الإسماعيلية ففزعوا إلى "المطهر" وأرسل "رضوان" كاشفا إلى «وادي السر» وكان في ضمن الصلح إلى"علي بن الإمام "فتعنت "الكاشف " الأهالي فقتلوه ، فجهز رضوان عليهم ثلاثة سناجق فوجه المطهر الأجناد وبعث رسله برسائله إلى جميع البلاد ووجه ابن أخيه الحسين بن شمس الدين إلى بلاد الظاهر بطائفه من العساكر فخاف رضوان على صعدة فأمر السناجق بالتقدم من وادي السر على محطة الحسين بن شمس الدين فانهزم أولاً أصحاب الحسين ثم أصدق الحسين الحملة فانهزم عسكر الباشا إلى عمران وكتب المطهر إلى السيد أحمد بن الحسين المؤيدي والشريف ناصر بن أحمد الحمزي بالتقدم على صعدة وفيها من قِبَل الأتراك الأمير شيخ علي فخرج بأمان إلى صنعاء واستولى أصحاب المطهر على صعدة وجهز الباشا رضوان عسكراَ على جبل بيت خولان فأمر المطهر ابن أخيه الأمير محمد بن شمس الدين بالنهوض لمحاربتهم فهزمهم إلى صنعاء ، وكان رضوان قد أرسل كاشفا إلى بلاد جَنْب لقبض خراج بلادهم فقتلوه ، وتقدم محمد بن شمس الدين إلى بلاد حراز فاستفتحها وهزم من بها من الأتراك إلى صنعاء واشتعلت نار الفتنة على رضوان من كل جانب ، ولما علم صالح الكوراني أن رأيه قد عاد على رضوان بالخيبه والنقصان عاد إلى بلاده خشية على نفسه فبالغ المطهر في قبضه فلم يظفر به.

ولما عرف رضوان عجزه عن حرب "المطهر" مال إلى الموادعة على يد "الكيخيا المسيح " ودخل تحت طاعة "المطهر" بلاد نهم وخولان والحدا وقيفة وبلاد ذي مرمر والخشب والظواهر وحراز وحفاش» وأخرجت الأتراك الرهائن من حبسهم وكان تمام الصلح في رجب سنة ٩٧٤ هـ (تسعمائة وأربع وسبعين)

وفي ذي القعدة منها خرج "رضوان" متوجها إلى الأبواب السلطانية فزحف "المطهر" بجنوده على صنعاء وحط في «ريعان» ، وتقدم "محمد بن شمس الدين" الى بيت «خولان » وواجهت للمطهر جميع بلاد «الحيمة والمخلاف وبني مطر» ووصل إليه الناس أفواجا .

حروب صنعاء

وقتل "الباشا مراد" و "المكرمي"

ثم تقدم "المطهـر" إلى «عَصُر» وكـان في صنعاء ستـة عشر أمـيراً من الأتراك ومن الجنود عدد كثير فاحاطت بهم جنود "المطهر" وأرسل أخاه "عليا" إلى «ريمة حُميد» لحفظ الطرق ووجـه الأمير "أحـمد البعداني" إلى بلاد «خـبان» وبلغ "الباشـا مراد" حصار صنعاء فنهض من اليمن الأسفل إلى «ذمار» بجـيش جرار ثم قدّم الأمير "أحمد المعروف بالمجنون" بجنوده وعدته فوجه" المطهر" لحربه الأمير "الحسيني بن شمس الدين" فوقع الحرب في «ذراع الكلب» بالحدا فأصـدق الحسين الطعن والضرب فقُتل "أحمد المجنون" واحتز رأسه وحُملت أثقاله وعدته ، ولما بلغ أهل اليمن قتل "أحمد المجنـون" أعلنوا بذكر "المطهـر" ونوّهوا به في كل منبر ومـالوا على من عندهم من الأتراك ، وبلغ أمير زبيد الأخبار فنهض من زبيد بجنوده حتى دخل الحجرية فلم يتم له ما يريد وانقطع الباشا مراد بذمار ولم يجد بداً من الفرار وترك أثقاله وخزائنه فلما وصل إلى وادي الشـلالة أقبل إليـه الأمير أحـمد البـعداني بجنوده وأجـروا في طريقـه الماء ولازموه الحرب وصعب على خـيله قطع الوحل فعمل فيهم السيف وقـتل الباشا مراد ومن معه من الأجناد ، وكان محمد بن عبد الله بن جعفر المكرمي اليامي الإسماعيلي الذي سبق غدره بمـحمود النظاري سنة ٩٦٩ أراد الفرار إلى المطهر قبـل سفر رضوان ولكنه لكثرة أثقاله وماله شُغل فلم يبرح بين إقـدام وإحجام حتى فطن رضوان بما أصره من العصيان فقد كشف سره محمد بن إسماعيل المكرمي لأحقاد بينهما فسجنه رضوان وأخذ أمواله وذخائره وخرج رضـوان من صنعاء فتبعه محمد إسـماعيل وحسّن له قتل محمد بن عبـد الله فأمر رضوان رجلا من أصحابه بالعوده لقتلـه ففعل وبين قتله وقتل النظاري خمسة أعوام ثم مات مـحمد إسماعيل بعد خمسة أعـوام ولما قتل محمد بن عبد الله انتقل أخوته ومن يلوذ به إلى المطهر .

وفي ذى الحجة سنة ٩٧٤ هـ (تسعمائة وأربع وسبعين) وقعت صاعقة في حصن عفار وأصابت دار الـعروس وهى مملؤة بـالبارود والرصاص فـارتفعت الدار في الـهوى ثم تفرقت أحجاراً.

أنباء ٩٧٥ هـ (تسعمائة وخمس وسبعين)

استيلاء المطهر

على صنعاء اليمن والتهائم

وفي محرم سنة ٩٧٥ هـ (تسعمائة وخمس وسبعين) قَدم "أحمد البعداني" برأس الباشا "مراد" إلى مخيمّ "المطهر" في «عَصُر» فأرسل الرَأسَ إلى الأتراك المحصورين بصنعاء فداخلهم الفشل والوجل وطلبوا من "المطهر" الأمان فأمنهم وخرجوا بأجمعهم وكانت خيلهم حينئذ ستمائة فرس وعسكرهم زهُاء ألفي نفر فقابلهم المطهر بالإكرام وأمر بمحمد إسماعيل الداعي اليامي وولده وإخيه إلى السجن بصنعاء وخرج الأتراك إليه إلى عصر في أول صفر فأخذ عليهم العهود وأرجعهم إلى صنعاء .

وفي نصف صفر دخل صنعاء دخولا معظما تحفه الجنود وتخفق على رأسه الرايات والبنود فابتدأ بالجامع الكبير في خاصة أصحابه وتقدم أولاده بالعسكر إلى القصر ، ولما استقر بصنعاء بعث عماله إلى الجهات فوجه الشريف قاسم الشويع إلى عدن فاستولى عليها وأمره المطهر بعمارة مدرسة ومنارة بها وجعل ولاية تعز وجهاتها إلى الشريف علي بن الشويع وولاه اب وجبلة وما ولاها لولده لطف الله بن المطهر .

ثم استفتح بلاد ريمة ووصاب وبرع وتهامة وجيزان إلى جزيرة فرسان وأمر "الشريف عيسى المهدي" بجر المدافع من «جيزان» إلى «بيت الفقيه» .

وفيها وصل "الباشا حسن ارمني" لولاية اليمن واستقر بزبيد حائر الفكرة وطلب من السلطان المبادرة بالعساكر والفرسان.

الوفيات

صالح النمازي

وفي سنة ٩٧٥ هـ (تسعمائة وخمس وسبعين) توفي بجبلة الفقيه العلامة المحدث صالح بن الصديق النمازي الخزرجي الشافعي رحل إلى زبيد فقرأ على علمائها ومنهم عبد الرحمن الديبع وعاد إلى وطنه صبيا فلم يطب له المقام فهاجر إلى الإمام شرف الدين إلى صنعاء فعظمه وكان من أعيان جلسائه ، ثم سكن بجبلة وتعز بعد خروج الإمام من صنعاء وأخذ عنه جماعة منهم السيد أحمد بن عبد الله الوزير وله مؤلفات منها كتاب في مشائخه سماه «البرق اللائح في مشائخ صالح» ، و "شرح مفيد على متن الأثمار للإمام " ، و«القول الوجيز شرح الأربعين» و «الحديث سلسلة الابريز» و«منظومة في نسب الإمام شرف الدين » وغيرها .

وفي محرم سنة ٩٧٥ هـ (تسعمائة وخمس وسبعين) توفى بشاطب القاضي العلامة اللغوي "الحسن بن علي بن حنش"، كان عالماً، أديبا مؤرخا ولتحقيقه العربية يسمونه سيبويه وله عناية بالتراجم والوفيات ونظم الفوائد وجمع الشوارد وكان من أعيان الإمام شرف الدين وكان يقال له عين الإمام لأنه يأمره بالبحث في كتبه كلما يحتاجه، وله قصيدة طويلة أنشأها بسبب رؤيا حسنه في الإمام" المهدي" الشهيد" أحمد بن الحسين صاحب ذيبين" منها:

نسيم الصبا هبت على جبلَي نجد
فأرجت الأرجاء بعنبرها الهندي

إلى أن قال:

دعا ذكر شيء قد مضى لسبيله
ولا تذكرا أسعداً وآل أبي سعد
وعُد نحو مدح القائم العلم الفرد
شهيد الرضى بدر السماء أحمد المهدي
عليه تحياتي وتلك هديتي
وإن ثواب الفضل يأمله المُهدي
هو ابن رسول الله وابن وصيه
مديحهمُ أحلى لدي من الشهد
يراه إله العرش للناس رحمة
وإرشاد من قد ضل عن منهج الرشد
وإنصاف مظلوم وقمع لظالم
وإرشاد من قد ضل عن منهج الرشد
يجود على العافين بالمال باسم
فيعطيهمُ من غير مَن ولا وعد
فما حاتم يحكيه في الجود والندى
وفي حومة الهيجاء كالأسد الوَرْدِ
فكم كان من يوم أغر كقارن
كذا غيره من قبل ذاك ومن بعد
فذاك الذي قام الهدى بقيامه
وذا في بني الزهراء واسطة العقد

قلوب عباد الله قد جُبلت على
محبته في الشرق والغرب والهند

فيا ابن الحسين الطهر إنك سيد
شبيه الحسين السبط والسبط كالجد
وإنك مهدي لآل محمد
فبوركت من هادٍ وبوركت من مهدي
وإنك في الإسلام شمس منيرة
تزيل دياجي كل أدهم مسود
فجاهدت في الرحمن حق جهاده
فكم فاسقَ عاص بسيفك قد أردي
وكم آية أعطيتها وكرامة
كرد ضيا الأعمى فيا حُسنَ ماردَّ
كذا المقعد التنّين للناس عبرة
يدب على أرباعه مشية القرد
فمسته من خير الأنام أنامل
فقام كأملودٍ من الأغصُن المُلْدِ
وشابهت خير الخَلق في الخُلق والحيا
وضاهيته في العلم والحلم والزهد
كسيرته قد سرت في أهل دينه
وألبستهم من عدلك السابغ البُرد
فيا سيد السادات أنى لعائذ
بكم من عناء الدنيا ومن ضنك اللحد
فكن لى شفيعا يوم لانو شفاعة
سوى جدك المختار أكرم ما جَدٌّ
لأني عظيم الود والحب فيكمُ
وحاشاكمُ لستم بناسين ذا الود
فحبكمُ ديني وشرعي وملتي
أكاد لفرط الحب أخرج من جلد

ومن نظمه في حصر بيت المال :

خراج وصلح ..ثم فيّ غنيمة
ولقطة أخماس جزّىً .. والمظالم

وله فيما يعتبر فيه اللفظ :

لعانٌ وإيلاءٌ وقذفُ شهادة
وإقرار ذاب لاتصح بلا لفظ

ومن أخرس قالوا تصح عقوده
مشيراً سوى ما قلت إن كنت ذا حفظ

وله فسوخات النكاح :

فـــسوخ عـــقـــود المنكـحــات لحــيــهنا
رضـــاع وعــــيب والــكفـــــاءة والعــتـق
فـــســـــادٌ لـعــــانٌ ملةٌ أي لآخـــــر
يـخـــــالف دينا والــبـلوغ كـــــذا الـرقُ

وله في الذى يجب رده إلى موضع الابتداء :

مـــعــــارٌ ورهنٌ ثم غـــصبٌ ومـــعــرَضٌ
ودين بـعــقـــد عـــاجـــلاً ومـــؤجـــلا
مـكفّـل وجـــــه والمـوجـل بعـــــده
يرد إلـى حـــيــث التـــقـــابض أولا
وأمــــا اللـواتي ردها حــــيــث أمكـنت
فـدين بِلاعـــقـــد مـــقـــود يُقـــتَـــلا
كـــذا كـــمـــعـــيب مـــودع ومـــوجَـــر
عليــــه فكـن ذا فطنـة فــــتـــأمـــلا

وله حصورات كثيرة .

أنباء ٩٧٦ هـ (تسعمائة وست وسبعين)

حروب زبيد

في سنة ٩٧٦ هـ (تسعـمائة وست وسبعـين) اشتدت وطأة "الباشـا حسن" على أهل «زبيـد» لأنه لم يبق في يده غـير «زبيـد» فألجـأته الضـرورة إلى مصـادرتهم وتحصـيل مايحتاجه للجند ومن جملة من صادرهم الفقيه "عبد الرحمن المُحرقي " كاتب الديوان صادره ثم قتله فتفرق أهل «زبيد» في البلدان .

وفيها أمر "المطهر" على الشريف "علي بـن الشويع" أمير «تعز» بالتقدم على الأتراك بزبيد فتقدم إلى «حيس» وكانت معركة انهزم فيها الأتراك وأخذ من خيلهم نحو الأربعين وأمر "المطهر" "بن الشويع" أن يبقى بـ «حيس» ويتخذها محطة فخالف ونهض إلى «زبيد» بجـيشه العديد وكـان الباشا "حسن "قـد جمع العساكـر المتفرقة في «التـهائم» وتأهب للقـتال فوقع قـتال طول ذلك اليـوم ورجع كل إلى موضـعه وفي اليـوم الثانى خرجت العساكر السلطانية بعد اجتماع شملها وضم فرعها إلى أصلها فانهزم "الشويع"

وقتل من عسكر نحو ثلاث مائة وقتل حصان "الشويع" فأركبه بعض أصحابه على جواده. بعد أن كادت المنية تذهب بسواده ولما عاد إلى «حيس» لم يستقر بها بل واصل انهزامه إلى« تعز»، فاضطرب أهل «الحجرية» على الأجناد المطهرية فكان قبض رئيسهم "أحمد عبد الوهاب الحجري" وبعض أصحابه وأرسلوا إلى صنعاء ثم أمر السلطان "الباشا مصطفى". . باشا مصر أن يمد بنفسه "الباشا حسن" إلى اليمن فلم تقو نفسه على الخروج وكتب إلى "المطهر" يحثه على مسالمة السلطان عن طريق "شريف مكة" فأجابه المطهر بجواب لم يفده شيئاً ، ثم جّهز السلطان إلى اليمن الأمير" عثمان بن ازدمر" فدخل «زبيد» في نصف جمادي الآخرة سنة ٩٧٦ هـ (تسعمائة وست وسبعين) ولما استقر بزبيد ناقش "الباشا حسن"عن جملة ماقبضه من أهل «زبيد» وإرجاعه إليهم فغضب وتوجه إلى مصر فالتقاه الوزير الأعظم "سنان باشا" فاستجار به من "عثمان" فأجاره وأخرجه معه إلى اليمن وفيها عثر "المطهر" على رسائل من الأتراك بصنعاء إلى "عثمان باشا" يحثونه على النهوض فعاتبهم على نقض العهود وسجنهم وقبض مافي أيديهم.

حروب تعز

وفيها نمى إلى المطهرخبر تجهيز العساكر السلطانية من الروم ومصر إلى اليمن ووصله كتاب من امير تعز الشويع يعرفه أن "عثمان باشا" متوجه من «زبيد» إلى «تعز» ويطلب القادة فجمع "المطهر" الأجناد وجعل أميرها ابن أخيه "محمد بن شمس الدين" وفيه بخل وسوء تدبير فتوجه بالأجناد الكثيرة والخزائن الجليلة وتأنى في مسيره حتى أخذ "عثمان باشا" «تعز» عنوة والتجأ بعض أصحاب "المطهر" إلى «قاهرة تعز» وخرج "الشويع" إلى محطة" محمد بن شمس الدين" وارادف "المطهر" الإمدادات صحبة أولاده "لطف الله" و"حفظ الله" و"الهادي" وقد انضمت أيضاً قبائل البلاد اليمنية إلى جيش "محمد بن شمس الدين" فنهض الجيش كالغمام واستقر في محل يعرف «بالجبل الأغبر» فضرب "محمد بن شمس الدين" به مخيمه وتطّير الناس بهذا الاسم وأشاروا عليه بالتحول وأن يتقدم الأمير "الشويع" إلى المداجر وأحد أولاد "المطهر" إلى جبل «صبر» ويبقى هو فئة للجميع فلم يسمع بل أمر "الشويع" بالتقدم إلى «جبل حبش» وهو غير مقصود للعدو ، ثم إنه شح على الأجناد وحبس عنهم الخزائن فانطووا على الأحقاد :

والجند لا يرعون من أضاعهم
كلا ولا يحمون مَن أجاعهم

خروج "سنان باشا" إلى اليمن

أنفذ السلطان وزيره الخطير " الباشا سنان" وأمره بالتعريج على مصر وقتل واليها "الباشا مصطفى" لتقاعسه عن النهوض إلى اليمن فأنفذ الأمر وأمّ اليمن بجنود تملأ الفضاء لم يُسمع بقوة مثلها ، **قال في روح الروح :** أن الجمال تربو على مئتي ألف جمل تسري في اليمن سريان النار في يابس العرفج وصعد من زبيد إلى تعز وفتح قاهرتها وامتنّ على أهلها ولم يتعرض لهم أحد بسوء وسرح طائفة من الجند إلى عدن فاحتلته عنوة وقتل أميرها من قبل "المطهر" "قاسم الشويع" غدرا بعد الأمان ، وزحف "سنان" في أثر "محمد بن شمس الدين" إلى باب ميتم وكان "لطف الله بن المطهر" قد صعد إلى «جبل الشماحي» المطل على «آب» فوجه "سنان" "الباشا حسن" لمنازلته. وانتقل "سنان" إلى «جبلة»

أنباء ٩٧٧ هـ

(تسعمائة وسبع وسبعين)

وفي ٩٧٧ هـ (تسعمائة وسبع وسبعين) احتل «آب» وزحف على «جبل بعدان» فثبت أصحاب "المطهر" أول الأمر وقتلوا جماعة من الأتراك ثم انهزموا وتغلب الأتراك على الجبل وفر "محمد بن شمس الدين" و"لطف الله" .

قال في أنباء الزمن: ولما وصل "محمد بن شمس الدين "إلى عمه "المطهر" لم يعاتبه على الفرار ولا مخالفه الأمر وهكذا الشجعان الذين لا يبالون بطوارق الحدثان.

ولما فرغ "سنان" من «اليمن الأسفل» نهض إلى «ذمار »وجر المدافع الكبار فدخلها وسلمت من ظلم العابثين ومنع جنوده من دخول البيوت والتعرض للأهالي .

وكان "المطهر" قد أرسل أخاه "عليا" إلى «حصن حب» فثبت به كما سيأتي .

ولما وصل "سنان" إلى «ذمار» نقل "المطهر" من صنعاء الخزائن والمدافع إلى الحصون وأذن لأهل صنعاء بمواجهة سنان فاعتمدوا كلامه وكان في عاقبته السلامة.

خروج "المطهر" من صنعاء ودخول "سنان" اليها

في غرة صفر سنة ٩٧٧ هـ (تسعمائة وسبع وسبعين) خرج "المطهر" من صنعاء ووصل مرسوم "سنان" لأهلها بالأمان واختاروا للقائه مئة رجل فأجلّهم وأكرمهم

وأرسل معهم شاوشا يمنع عساكره من دخول البيوت ودخلها "سنان" في ٨ صفر وترك خيامه وأثقاله وخيله وجماله غربي صنعاء وجهز "سنان" "الباشا حسن" إلى «وادي السر» و«ذي مرمر» فحاربوه ثم انهزموا وسُبيت البيوت والحريم وأسر الرجال وممن قُتل الفقيه "صالح العنجور" ، ووجه "سنان" "عبد الله بن محمد الداعي المكرمي" بعسكر إلى «الحيمة» و«حراز» و«المغارب» فتنقل ووصل فيها إلى «سارع» و«الشاحذية».

حروب «ثلا» و«كوكبان»

توجه "سنان" بجيوشه الواسعة لحرب «ثلا» و«كوكبان» فطبق أرجاءهما وضرب خيامه في «قاع حوشان» وأمر "حسن باشا" بالارتفاع لحصار «كوكبان» عن طريق الأهجر وشمات وأراد أن يرقى إلى الضلع فقصده "محمد بن شمس الدين" بمن عنده واستخلف على «كوكبان» أخاه "الحسين" فكانت حرب انهزم فيها "حسن باشا" وقتل من أصحابه عدة وحُزت منهم روس أرُسلت إلى "المطهر" «بثلا» وانهزم "حسن باشا" إلى «بني الخياط» فقصد "محمد بن شمس الدين" وانضم إليه "ابن الشويع" ووقعت حرب في «صيعان» ثلاثة أيام قُتل فيها "محمد بن رضي الدين بن الإمام شرف الدين" وحُمل إلى «الطويلة» ودُفن تحت حصنها ثم انهزم "محمد بن شمس الدين" إلى «كوكبان» في جماعة قليلة ورجع "علي بن الشويع" إلى« حصن بكر» وتوجه أصحاب "محمد بن شمس "إلى "المطهر" فأكرمهم ثم استولى "حسن باشا" على «حصن الصياد» في «بني الخياط» فأخربه ثم زحف إلى «الضلع» لحصار« كوكبان» وأطلق "محمد بن شمس الدين" وأخوه "الحسين" من في سجنهما من الأتراك كالأمير "محمد بن قزل باشا" والأمير "يوسف "والناظر والأمير "فُتَيح" والأمير "كراكول" ثم توجه "سنان" إلى «شبام» فافتتحها بتاريخ ٩٧٧ هـ (تسعمائة وسبع وسبعين) ودخل «شبام» وصعد من فيه إلى العارضة فتبعهم إليها جند "سنان" فما شعروا إلا بغارة من "المطهر" أرجعتهم إلى «شبام» .

ثم استمر القتال الشديد بين "سنان" و"حسن باشا" من جهة و"المطهر "بثلا و"محمد بن شمس الدين" بكوكبان من جهة ثانية أشهراً من صفر إلى ذي القعدة في «قاع حوشان »وفيما حول الحصنين بلغت المعارك إلى ثلاث وثمانين معركة . ولما انتقل "سنان" من «حوشان» إلى «شبام »ترك كمينا في محطته بحوشان ، فجهز "المطهر" الفتى "ريحان" في مئة فارس وخمسمئة رام إلى جهة «كوكبان» بعد أن ضربت المدافع من «كوكبان» إمارة بين "محمد بن شمس الدين "وعمه "المطهر" فلما توسط "ريحان" ومن معه ثار عليهم كمين "سنان" وأحاط بهم وانكشفت المعركة عن قتل "ريحان" وعودة أصحابه إلى «ثلا».

وتعقب ذلك خروج "الهادي بن المطهر" بأعيان أصحاب أبيه إلى سفح الجبل فأقبلت جيوش "سنان" وانجلت المعركة عن قتل "الهادي" وبعض أصحابه ورجع كل فريق إلى موضعه، ثم توجه "سنان" لحرب «حصن الروس» ورما بالمدافع واحتله وأخربه وعاد إلى مخيمه بحوشان وأنفذ طائفة لمحاربة أصحاب "المطهر" بحصن عز الغريب من «كوكبان» فنال الأتراك من التعب مالا مزيد عليه لأنهم صعدوا ليلاً والطريق ضيقة المسلك ،ولما شعر بهم أصحاب "المطهر" عند الصباح كافحوهم وأرجعوهم إلى مخيم "سنان" .

ثم اجتمع "سنان" و"حسن باشا" وقصدا بيت عز ليلاً في عدة وافرة وجمع كبير فوجدا الطريق قد سدت بالأبطال من أصحاب "المطهر" و"محمد بن شمس الدين" فوقع الحرب الشديدة ليلاً ثم طول النهار. فانهزم "سنان" وأصحابه إلى «حوشان» وقد هلك منهم جماعة.

وحين استقر "سنان" بمخيمه أمر بجر المدافع إلى العارضة لرمي« كوكبان» فحصل مع من فيه التعب ،وبالجملة فإن "سنان" مازال يتوسل لأخذ حصن «كوكبان» بجميع ما يدخل تحت الإمكان حتى إنه أمر بإخراب دار بهرام الفخمة بصنعاء وحمل أخشابها وأبوابها إلى القطع المعروف باب «كوكبان» ليقع المرور عليها إليه ، ولما شارف الأتراك على إتمام العمل رماهم أهل «كوكبان» بالمدفع وهم رموا «كوكبان» بالمدفع حتى أثر في جانبه القبلي وكادوا يدخلونه من فوق الأخشاب فانكسرت فبطلت حيلتهم .

صلح "محمد بن شمس الدين" و"سنان"

لما طال القتال وضاقت الأحوال وتوفي "الحسين بن شمس الدين" في شعبان وكان هماما ماجدا مقداما ملازما للحرب والمحراب جنح أخوه "محمد بن شمس الدين" للصلح فقام عمه المطهر بحمايه كوكبان ومنع محمد بن شمس الدين عن الصلح ولم يزل يحمل إليه ما يحتاجه بخفية وكان يسلم لمن يدخل «كوكبان» عشرة دنانير ذهباً ولمن يصل إليه من «كوكبان» مثلها وبالغ في تقوية "محمد بن شمس الدين " أشد المبالغة.
وكانت في رمضان معركة بين "محمد بن عز الدين بن الإمام" ومعه عصابة نافعة من أصحاب عمه "المطهر" وبين أمير السنجق السلطاني ومعه عدة وافرة من الأتراك وانكشفت المعركة عن قتل "محمد بن عز الدين "وأمير السنجق السلطاني وعدة من عسكر الفريقين، ولما عيل صبر" محمد بن شمس الدين" وضاق صدره بما يجرى وأشار الداعي المكرمي" عبد الله بن محمد اليامي" على الوزير "سنان" أن يصالح

الأمير "محمد بن شمس الدين" فكتب إليه في الحال فجنح إلى الصلح . فلم يشعر "المطهر" الابظهور إشعار الصلح بكوكبان وإعلان اسم السلطان وكان "المطهر" قد عرف ما أراده "محمد بن شمس الدين" من الصلح فراجعه وخوفه منه فلم يجد شيئاً، فلما تمت قواعد الصلح ورجع "سنان" من مخيمه بـ «حوشان» إلى «المنقب» بهمدان وصل "المطهر" إلى «كوكبان» فارتاع "محمد بن شمس الدين" وتلقاه بنفسه إلى الباب وأنشد "المطهر" :

زرناكم لا نؤاخذكم بجفوتكم
إن المحب إذا لم يُستزر زارا

ورمت المدافع من «كوكبان» واشعلت النيران إعلاناً بدخول "المطهر" «كوكبان» فسأل "سنان" عن الخبر فقالوا له إن "المطهر" بكوكبان قد استقر، فقال "سنان" : الآن تيقنت أن الكل في قبضة "المطهر" وتحت بسطته وكتب إلى "محمد بن شمس الدين" أن يكون الصلح بينه وبين "المطهر" على يديه فأجاب أن ذلك لا يتأتى إلا بعد ارتفاع "سنان" عن «المنقب» وبشروط شرطها "المطهر" .

وفي ذى القعدة سنة ٩٧٧ هـ (تسعمائة وسبع وسبعين) وصل الخبر بقدوم "الباشا بهرام" بولاية اليمن فانتقل "سنان" من «المنقب» إلى صنعاء في ذى الحجة.

موقع رسائل "المطهر" في الحث على الجهاد

وفيها كتب "المظهر" إلى «صعدة» وغيرها من الجهات يحرّض على الجهاد والمصابرة في مواقف الجلاد ، ويذكرهم ما ينالهم من الأتراك من القتل والأسر والنهب والخراب وانتهاك الحُرَم فأثار برسائله من حفائظ الرجال الأحرار ما أخفاه الخوف فقاموا بغرض الجهاد وكان أول من وصل إلى "المطهر" من صعدة الأمير "أحمد بن الحسين المؤيدي" وغيره من أعيان تلك الجهات وأمر المطهر أهل الحدا والشيخ قطران السحامي الخولاني والشيخ "علي بن بشير" بأن يشنوا الغارات على أطراف تلك الجهات، وأمر أخاه "علي بن الإمام "إلى حصن «حب » ببعدان بمكاتبة أهل اليمن الأسفل في الجهاد ففعل واجتمعوا إليه عن اخرهم وشدوا على حرب من جهاتهم من الأتراك معاقد مآذرهم وكان النائب على تلك الجهات من جهة الوزير "سنان" يعرف بالأمير "خضر القبطان" فقتلوه مع ثمانمائة من الشجعان فنمى الخبر إلى "سنان" ففت في عضده وكان "سنان" قبل وصول الخبر قد قدم عسكراً مع الأمير "كواكور "لمحاربة «ذي مرمر» فالتقاه الشيخ "قطران السحامي" والأمير "بلال" وغيرهما فوقعت حرب شديدة قُتل فيها الشيخ

"قطران" ومن عسكر ذي مـرمر وخولان وحملت رؤسـهم الى محطة الوزير "سنان" على جملين فأعلن البشرى والتنصير ولكن عقيبهما وصل خبر قتل "القبطان" وعسكره باليمن الأسـفل فانعكست البشرى وهكذا أحـوال الزمان ، ثم توجه الأميـر "كراكور" لقتال عـسكر «ذي مرمر» مرة أخرى فاشـتد القتال إلى أن قُتل الأميـر "كراكور" وقطع رأسه وأرسل به من «ذى مرمر» الأمير "لطف الله بن المطهر" الى والده .

أنباء ٩٧٨ هـ

(تسعمائة وثمان وسبعين)

وصول بهرام ومغادرة سنان

بعد الصلح مع المطهر

وفي سنه ٩٧٨ هـ (تسعمائة وثمان وسبـعين) وصل "بهرام باشا" إلى «زبيد» فلاقى أزمة وضائقة مالية شديدة ألجأته ومن معه إلى بيع ثيابهم لعدم وجود مايسد فاقتهم بزبيد فسارع إلـى تعز وأما "سنان" فبـادر بالرحيل بعد ان قرر أمـوراً لأجناده بصنعاء وزاد في نفقاتهم وضاعف الخراج المحمول من اليمن إلى السلطان فأبلغه إلى مئتى ألف دينار ذهباً في كل عام بعد أن كان قدر خمـسين ألفاً في أيام من قبلة من الولاه وانتقل إلى «ذمار» والمخابرة بينـه وبين المطهر مستمرة والسـفراء يذهبـون ويجيئـون إلى أن تم الصلح مع "المطهر" على أن يكون من البـلاد للمطهر بلاد «صعـدة» وأعمالها و«خـولان الطيال» و«ذي مرمر » و«نهم» وبلاد الـظواهر وعقد هذا الصلح بـ «ذمار» في شـعبان سنة ٩٧٨ هـ (تسعمائة وثمـان وسبعين) وكان سفير "المطهر" المـوقع على الصلح السيد" شمس الدين جحاف" ثم انحدر "سنان" إلى «زبيد» وغادر اليمن في رمضان إلى مكة المكرمة للحج وأنفق أموالاً طائلة في.وجوه البـر المختلفة وكان بذالاً للأموال جباراً سـفاكاً قال الأستاذ المعاصـر "محمد كردعلي" في كتابه «خـطط الشام » : ومن سفاكي الأتراك العظام "سنان باشا" فاتح اليـمن وصاحب الجامع المنسوب إليـه بدمشق تم إنشاؤه سنة ٩٩٩ هـ حصرت مـخلفاته التى أرسلت إلى الأستـانة بعد موته فإذا هى تسـاوي مئات الألوف من الدنانيـر بما حوت من الأعلاق والنـفائس فمن أين لسنـان هذا المال؟ وقال مؤرخوا الترك أن الخيرات التى قام بها سنان باشا في ممالك مختلفة من جوامع ومدارس وتكايا وخانات تُقـدَّر نفقاتهـا بمليوني ليرة ذهب بسكة زمـاننا وأن ما عمـره من المعاهد والمباني الفـخمة في الأقطار التى نزلها تـناهز المئة ، لا جرم انه من العتـاة الطغاة الذين

يجيزون خراب البلاد ليعمروا جيوبهم وخزائنهم ، وأعمالهم الخيرية قد تأتي بالعَرَضَ أو لحب الشهرة وأَقْبِحْ بصدقة أو عمل خير يكون أصل ما أنفق عليه من السحت وقتل الأنفس وتخريب البلاد لاستصفاء أموال أهلها:

لا نظلمنَّ لتعطى فالشحيح على
ما فيه اعذرُ ممن خان أو ظلما

انتهى كلام "محمد كردعلي" .

وفيها نشب خلاف بصعدة بين السيد أحمد بن الحسين المؤيدي الذى سبق أن جاهد مع المطهر وبين الشريف "محمد بن ناصر الشويع" ولجأ الفريقان إلى الحرب فاهتم المطهر بالأمر وأوفد الأمير "علي بن محمد الشويع" للإصلاح وتأييد المؤيدي ، ثم فر الشريف محمد ناصر إلى الجوف وتمكن نفوذ السيد أحمد بن الحسين بصعدة وما إليها من نجران إلى خيوان وطالت أيام ولايته فأحيا مدارس العلم وتكاثر وفود الطلاب إلى المدارس من جميع الجهات حتى بلغت حلقات العلم إلى ثمانين حلقة واستمرت ولايته ١٨ سنة إلى وفاته شهيداً في حربه مع سنان الأخيرة في آل عمار في ذى القعدة سنة ٩٩١ هـ وبعد أن سار إلى المطهر للجهاد وأقام في «حصن الجاهلي بحجة» بأهله وأولاده ١٢ سنة وفي سنة ٩٧٤ هـ رجع بأهله إلى «خولان الشام» وحارب الأتراك وهزمهم وغنم سلاحا ومالاً وخيلا .

الوفيات

موت "علي بن الإمام"
مسموماً بحصن «حَب»

بعد أن غادر "بهرام" تعز ووصل إلى «إب» صعد لمحاصرة "علي بن الإمام" بحصن «حَب» فأحرق متسللون مخزن البارود بالحصن فارتفع في الهوى ثم سقط فأخرب جانباً من الحصن وتزلزل بمن فيه فأمر "علي بن الإمام" بإلقاء الفاعلين من شواهق الحصن، ثم دس "بهرام باشا" إلى "علي بن الإمام" سمًّا على يدي رجل يعرف بـ "ابن عرجلة" كان يختلف إلى «محطة بهرام» وإلى "علي بن الإمام" فجعل السم في سفرجله فلما شمها "علي بن الإمام" ثم رجل من "بني الحشيبري" ثم مملوك تركي فأخذ ثلاثتهم في العُطاس المتواصل فعرفوا الحقيقة فقُتِل "ابن عرجلة" ثم مات الثلاثة واستولى "بهرام" على الحصن فقتل من فيه بعضهم هنالك وبعضهم أخذهم معه فقتلهم في طريقه إلى «ذمار» .

ثم مات الثلاثة واستولى "بهرام" على الحصن فقتل من فيه بعضهم هنالك وبعضهم أخذهم معه فقتلهم في طريقه إلى «ذمار» .

ففي رجب سنه ٩٧٨ هـ (تسعمائة وثمان وسبعين) مات شهيداً مسموماً في حصن «حَب» فوق «إب» السيد العلامة "علي بن الإمام شرف الدين" عن ٥١ سنة من مولده وكان من أكابر العلماء الأعلام والأمراء القادة الكرام وقد كان والده قد جعله خليفته في الإمامة العظمى بعد وفاته ثم لم يتم وقد روى القاضي "أحمد بن صلاح الدواري" عنه الأربعين الحديث سلسلة الإبريز وأشرت إلى ذلك بقولي في منظومة «ذيل أجود المسلسلات»:

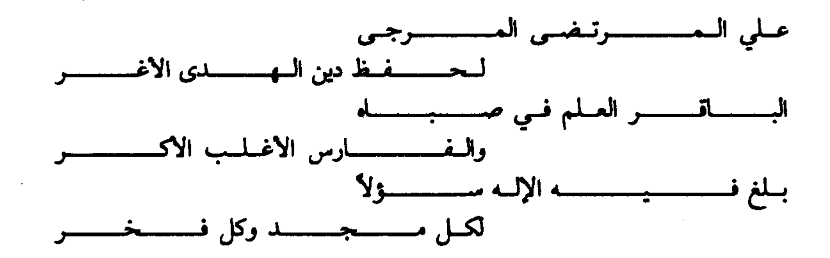
عن ابن الإمام الحبر من دفنُه بحصن
حَب عَلي الكوكبِ المتوقد

وفي شرح الذيل : مولده في رجب سنة ٩٢٧ هـ ولقبه والده بالناصر فقال شاعره "موسى بن يحيى بهران "في تهنئته من قصيدة طويلة:

قصَدَتْ إليك تجول في حلل الهنا
بقدوم من لقبته بالناصر
هو كاسمه للحق يصبح ناصرا
ويعيش بين محابر ومنابر
وافاك أسعد قادم وأعزه
واتتك غرته بأيمن طائر

اسمع على والده في فنون العلم وأجازه،وعن السيد الحافظ "عبد الله بن القاسم بن الهادي إبراهيم العلوي" والشيخ" صالح بن الصديق النمازي الشافعي" وأجازه وغيرهما وممن أخذ عنه ابنه العلامة "إبراهيم بن علي" والسيد "صلاح بن أحمد الوزير" والفقيه "أحمد بن صلاح الدواري القصعه الصعدي" والقاضي "عبد الرحمن بن عبد الله الحيمي" وغيرهم وكان يلقب "بالمرتضى" ومن شعر والده الإمام فيه:

أعظم بدار حوت بحورا
ثلاثةً وهي وسط بَرِ
فبحر جود وبحر علم
وبحر نُزلٍ لو فد بر
شيدت بخير الشباب طرا
الأعلم الخضرم الابر



علي المرتضى المرجى ... لحفظ دين الهدى الأغر

الباقر العلم في صباه ... والفارس الأغلب الأكبر

بلغ فيه الإله سؤلاً ... لكل مجد وكل فخر

وقد جمع شرحاً عجيباً في تخريج أحاديث كتاب « أصول الأحكام من شرح التجريد وشرح الأحكام» وغيرهما من كتب الائمة.

ترجمه صاحب "الطبقات" وصاحب "المواهب السنيه" فقال :

إمام العلوم العقلية والنقلية الفقهية والنحوية، كان قوياً شديد البدن ، إليه تُنسب خزانة الكتب التى بشام. شهد مع صنوه المطهر مشاهد عظيمة. وفي «اللالئ المضيئة» للشرفي أن الإمام "شرف الدين" كتب في سنة ٩٥٢ هـ كتاباً من لفظه :

استخرنا الله سبحانه وتعالى واستخلفنا على البلاد والمدائن والحصون وأهل الطاعة ولدنا السيد الفاضل العالم العامل الصدر الكامل الحلاحل جمال الدين أبا الحسن علياً المرتضى ابن أمير المؤمنين وأقمناه مقامنا في الزعامة وعرفناكم أيها المسلمون أنا قد علمنا كماله في شروط الإمامة وألزمنا أهل الحصون والعهد والإدراك والمقاومة والاجتهاد البيعة له والعمل برأيه والطاعة لله ثم له في الأمر والنهى والتولية والعزل وكل ما يجب للأئمة على الخلق ،وأخوتُه ألاولادُ السادة القادة المجاهدون في سبيل الله سبحانه والعلماء منهم والمتعلمون هم المقدمون في العناية والقصد بهذا البلاغ والمؤملون بالتصدر لنظم هذا النظام فعليهم لله سبحانه ولنا ولصنوهم هدانا الله وإياهم حسنُ الطاعةِ والمؤازرة والمبايعة والمعاونة والمظاهرة على ما كانوا عليه في حقنا وزيادة بعون الله سبحانه وما قد وضعناه لهم من الحصون فقد أوصيناه بسلامته والعمل لهم بمضمونه. إلخ

ولكن لم يتم العمل بذلك لدخول الجميع تحت كنف "المطهر" الابن الأكبر ، بل برح الخفا فى ذلك العام ووقع الاختلاف بين الإمام و"المطهر" كما سبق.

وفي سنة ٩٧٧ هـ (تسعمائة وسبع وسبعين) جهز "المطهر" أخاه "علياً" إلى «حصن حَب» في بلاد «بعدان». إلخ

ومن شعره في حصر أبواب كتاب الأزهار قصيدة طويلة منها :

مــقــدمــة قلدْ هُم فـي طهــارة
نجـاسـات في مـاء لقـاض لحـاجـات
كــذاك وضــوء ثـم غــسـل تيــمم
وحـيض نـفـاس والصـلاة لأوقــات

. . . إلخ

ومن شعره قـصيدة طويلة رثى بها والـده وضمنها من قصيـدة والده «زرناك في سرد الحديد وفي القنا" منها :

ياعــيني القــرحــاء جــودي دائمــا
جــودي على يحــيى بلمع صــيّبِ
مــاذا ســمـعت به وقــد اســمــعتني
ياســمع هـلا غــيـــر هذا فـي أبي
آبى لا تـبـــعــــد علينـا آل يحــيى
خــاتم الـخلـفـــاء والشــهم الأبي
الســاجــد الــمــتــركع المــتـجـهــد
المــتــعــبــد المــتـألّه المــتـأوب
الـكوكـب الوّهـاج صــبــح نهــارهــا
شــمس البــرية بـدرها المــتــغـيب
الـفــــاتــح الأمـــصـــار والأقطـار
والمــدن الـكبــار وكل حــصن أغـلب
صــعب عـــبـــوس في لقــاء عــلوه
حـد حــسـام لـلخـلافـة مـشـقب
كم مـن كـــتــائـب قـــادهـا لكتــائب
فكـأنهـــا من خــوفــه لـم تكتب
وانظـر إلي قــــولٍ له فـي صــعـــدة
بلســان ذلق فـي البـلاغــة مـعــرب
وقــد اصطفـاها بالسـنان مـخـاطبـاً
يحــيـى أباه إمــامنـا في الـمـــذهب
زرناك فــي ســرد الـحــديد وفـي القـنا
والمــشـرفـيــة والخـيــول الـشـزب
انـظر إلـى هذا الـنظـام فـــمـــا تـرى
إلا لآلئ فـي طـراز مـــــــذهـب
هذا هـو الفـــخـــر الـذي لا قــبـله
فــخـر فــقــصـر يـابليغ أو اطـنب

هذا هو الفخر الذي لا بعده
فخر فيالك من فخار طيب
هذا أمير المؤمنين وطبعه
في غير دين المصطفي لم يغضب
هذا أبي من في المعالي شبهه
في آل بيت المصطفي ؟ لا تكذب
هذا أبي لما تولى روحه
للأمر ولى المجد من آل النبي
هذا أبى عجز الزمان بمثله
أبداً فقصر ندبه أو فأندب
لا تعجبن من موته مات النبي
لكن بي وبه ولي وله أعجب
ما كنت أحسب أنني وأبي كذا
هذا بمشرقه وذا في المغرب
والله يحرسنا بحفظ مطهر
الناصر الإسلام ركن المذهب

وقد أجاب عنها بقصيدة أطول منها العلامة البليغ عبد الله بن الإمام من آخرها:

(أعليٍّ) قد ورد القريض وُرُوْد
مُخضلٌ السحائب في الزمان الأشهب
فأبلٌ ذا القلب العليل وبلّ
مضطرم الغليل وطاب منه مشربي
ولقد شجى القلبَ الكليمَ بقوله
(يادهر هلا غير هذا في أبي)
فاصبر وإن عظمت بك اللأواءُ
فالأقدارُ تغلب كلَّ ذمر أغلب
وتعز عنه بابنه ملك الورى
ليث الشرى المتواضع المتحبب
الطاهر الشيم المطهر من بدت
أنوار مفخره ولم تتغيب
لا نقص يخشى الدين وهو مجادل
عنه بكل مثقف ومشطب

... إلخ

«حصن حَبّ» مشـهور من حصون «بلاد بعدان» في «بلاد إب» و«جـبلة» وممن جدد بعض مبانيه "طغطكتين بن أيوب" المتوفي باليمن الأسفل سنة ٥٩٣ هـ.

علي الأملحي

جد الإمام "القاسم"

وفي سنة ٩٧٧ هـ (تسعمائة وسبع وسبـعين) توفى بـ «ثلا» السيد الفاضل "علي بن محمد بن عـلى بن الرشيد الأملحي" جد الإمام "القاسم بن مـحمد بن علي" ووالد عمه السيد "عامر بن علي" وكان سيداً هماماً معتزلاً دولة وقته ونسبته إلى وادي «أملح» من جهات «صعدة شام اليمن».

انفصال الوزير "سنان" عن اليمن

بعد أن اجـتمع "سنان" بخليـفته "بهـرام" في بلاد «بعدان» بعد اسـتفتـاح "بهرام" لحصن «حب»، سار "سـنان" إلى الروم وحارب الإفرنج واستعـاد منهم تونس ، وقد ترجمه صاحب «خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادى عشر " ترجمة حسنة وأرخ وفاته سنة ١٠٠٤ هـ وعد من محاسنه الجوامع والمدارس في مصر ودمشق وغيرهما .

مظالم بهرام

انتقل "بهرام" من بعدان إلى «ذمار» واستتب له الأمر وساءت سيرته في اليمن وجدد رسوم الظلم والجور وقتل الأعيان وحاسبهم على ما سبق منهم في جهاد الأتراك واشتد في مؤاخـذته لهم وجرد الناس من السـلاح وجعل يستـدعي بالرؤساء ويجتـز رؤسهم ويلقيـها في بئر معطـلة ، قال السيد "أحـمد بن أحمد المـطاع " الشهيد بحـجة سنة ١٣٦٧ هـ في نبذة تاريخية:

أن "بهرام" ظلم الناس وأفـرط في القسوة ، وهكذا أمراء المسلمـين وقادتهم إلا من رحم ربك وقليل ما هم ولعمري أنه من العار والخـزي أن تكون أخلاق قادة المسلمين على ما ترى وتسـمع من التهافت على الأطمـاع والهرولة وراء الشهوات وجـعل مدار الحكم إرضاء النفوس والـتشفي من المستـضعفين والاعتـداء على الأموال والإعراض والدماء وذلك من الأسباب التى أودت بهم وأسقطتنا في مهواة لا نعلم متى ننهض منها ويرحم الله القائل:

ملكنا مارنَ الدنيا بوقت
فلم نحسن على الدنيا القياما
جعلنا الأمر توليةً وعزلاً
فلم نك مصلحين ولاكراماً
وسنا الأمر حين خلا إلينا
بأهواء النفوس فما استقاما

وفي سنة ٩٧٩ هـ (تسعمائة وتسع وسبعين) توفي بسجن "المطهر" الراعي "محمد بن الإسماعيلي" وكان "المطهر" قد سجنه لممالأته الأتراك ومناصرتهم.

وفي سنة ٩٨٠ هـ (تسعمائة وثمانين) خالف على "المطهر" عامله على بلاد الأهنوم وظلمه وعذر السيد "علي بن إبراهيم جحاف" وأظهر الانتماء إلى "الباشا بهرام" فكتب "المطهر" إلى "بهرام" في ذلك وأنها من بلاده حسب الصلح فأجاب على "المطهر" جوابا شافيا وأقسم بالله أنه مادار بينه وبين "جحاف" حديث قط وبذل المادة والإعانة للمطهر في محاربة "جحاف" فشكره "المطهر" وعذره عن المادة والإعانة وتابع "المطهر" الغارات على "جحاف" بقيادة "علي بن محمد الشويع" حتى أتى بـ "جحاف" أسيراً إلى "المطهر" وأودعه سجن «ثلا» حتى مات به بعد قليل، وقد كان عاملا للمطهر من أيام "ازدمر".

أنباء ٩٨٠ هـ

(تسعمائة وثمانين)

"المطهر" يودع الحياه كريماً

في سنة ٩٨٠ هـ (تسعمائة وثمانين) بدأت شكوى "المطهر" من علة بول الدم وشدة حرارة أورثته عطشاً إلى أن توفي بمدينة «ثلا» في ثالث من رجب سنة ٩٨٠ هـ (تسعمائة وثمانين) عن ٧٢ سنة من مولده في رجب سنة ٩٠٨ هـ (تسعمائة وثمانية) وعظمت المصيبة بوفاته في عموم بلاده وخرج لتشييع جنازته والصلاة عليه ودفنه جميع أولاده وأمرائه وأجناده بالدروع والرماح وسائر أنواع السلاح وكان "المطهر" شريف النفس ، عالي الهمة ، كثير التلاوة للقرآن غيبا ، يُقال أن راتبه كل يوم من القرآن ثلثه لا يتركه حتى في أيام الحروب ملازماً للتهجد ليلاً مع ما يقاسيه من المشقة بسبب الخلل الذى أصابه في رجله. فأما شجاعته ومواقفه في الحروب فهي كالشمس وأبعد عن اللبس ، أما عن حزمه وعزمه ومهابته وكياسته وسياسته فيعترف بها أهل اليمن وغيرهم قال الشهيد المطاع: كان موت "المطهر" على فراشه وبمدينته «ثلا»

علي الرغم من تعرضه للقتل وسط المعامع والمـواقع ووقوعه على الموت في كثير من المـلاحم والمعـارك وفي ذلك دلالة كافيـة على أن الإقدام والاندفـاع إلى الغمـرات والترامي إلى أحضـان الفتكات لا يجلب حتفاً ولا يملك موتاً كـما أن الجبن والخنوع والتأخر لايدفع سهام المنايا ولا يكافح صوارم الرزايا ،فلا نامت أعين الجبناء

قـــد يـمــوت الجـــبــان فـي اخـــر
الصـف وينجـــو مـــقـــارع الأبـطال

وكان المطهر كما عرفت شريف النفس ، سريع النهضة،بعيد الغارة،صلب العود،لا تلين قناته لغامز، قوى الشكيمة،لايرام من وراء ظهره محبا لمعالي الأمور وللمجد وقد أوقعه ذلك في مآزق حرجة وحمله على المركب الصعب في حياته ودفعه إلى مصاولة كل عظيم والاستـهابة بكل خطر في سبـيل المجد وقـد جمع بين الشجاعـة والإقدام والصبر والمتانة وشدة القسوة في الانتـقام وبهذه الصفات نجا من مذلة الأتراك وتمسك بأذيال مجـده وناصية عـزه،إلى أن فارق الحيـاة غير هيـاب ولا وكل ، وكان إلى هذه الخصال مـتين الدين،قوي الإيمان،واسع الصدر سـباق غايات،دراك أوطار،لايشق له غبار،ولا في فعله عار،ملازما لقيام الليل للتهجد في الأسحار وتلاوة القرآن .

ورثاه الجمـوع ومن مرثاة لابن أخيه السـيد محمـد بن عبد الله بن الإمام نحـو مائة بيت:

آح ولا غـــــــــــــرو إذا قـلـت آح
طرف ســـفـــوح وفــؤاد جـــراح
مـــا لســـمج الـدنيـــا وأبنائـهـــا
من بـعــد ضم الجـــود ليث الـكفــاح
مـطهــــر خـــيـــر مـلوك الـورى
مـــروي الســيـف وســمـــر الرمـــاح

ولما مات "المطهر" ، ثبت كل واحد من أولاده على ماتحت يده من البلاد وكان إلى عين "يحيى بن المطهر" على بلاد «ثلا» و«عمران» و«جبل عيال يزيد» وإعانة ابن عمه "محمـد بن شمس الدين" . وثبت" لطف الله ابن المطهر" على حـصن «ذي مرمر» وبلاده ونصف «بلاد الشرف» ، وثبت "عبد الرحمـن بن المطهر" على بلاد حجة وما إليهـا ، و"غوث الدين بن المطـهر" على «عفـار» ، و"حفظ الله بن المطـهر" على نصف «بلاد الشرف» واستقراره في «حصن مدوم» إلى أن مات .

وكان أول خلل بعد وفاة المطهر إطلاق الأمير "علي يحيى" لمشائخ «بلاد الأهنوم» من سجن والده وكانوا سبعة عشر شيخا قبض عليهم "المطهر" لذنوب منهم وتمردهم مع عامله "علي بن إبراهيم جحاف" فأخذ "علي يحيى" العهود عليهم وأطلقهم ولكن

بعد إطلاقهم أظهروا الخلاف ورجع "غوث الدين" منهزما إلى «حصن عفار» ، وحصلت وحشة بين "علي يحيى" وأخيه "لطف الله بن المطهر" ، فجهز "علي يحيى" لحرب أخيه "لطف الله" الأمير "علي بن محمد الشويع " ، و"لطف الله" جهز السيد "عبد الله بن محمد بن شمس الدين" فالتقيا في« قطوان» من «بلاد الخشب» ووقعت الحرب بينهما فانهزم "علي الشويع" وأصحابه .

وفي خلال ذلك خالف "عبد الرحمن بن المطهر" على أخيه "علي يحيى" فبعث "محمد شمس الدين" إعانة له مبارك شعبان فوقعت حرب كبيرة ثم وقع الصلح على يد "عبد الله بن المطهر" ، ولما اشتغلوا بحروبهم خالف علهيم أكثر البلاد ، و"الباشا" يتربص بهم الدوائر كما سيأتي فيما بعد.

قيام المحتسبين "العابد" و"العالم"

وفي سنه ٩٨٠ هـ (تسعمائة وثمانين) كان قيام السيد الإمام المحتسب "علي بن إبراهيم بن علي بن محمد بن صلاح بن محمد بن أحمد بن القاسم بن يحيى بن الأمير داود بن يحيى بن عبد الله بن القاسم بن سليمان بن على بن محمد بن يحيى بن القاسم الحرازي بن محمد بن الإمام القاسم الرسي" المعروف بـ "العابد" .

وقيام السيد الإمام المحتسب "علي بن إبراهيم بن علي بن المهدي بن صلاح بن علي بن أحمد بن الإمام محمد بن جعفر بن الحسن بن علي بن فليته بن علي بن الحسين بن أبي البركات بن الحسن بن أبي البركات الحسن بن الحسن بن علي بن القاسم بن محمد بن الإمام القاسم الرسي" ، المعروف بالعالم وهو أحد شيوخ الإمام القاسم وكان قيامهما من بلاد «الشرف» بالحسبة بعد تضرر أهل «هجره الشاهل» ومن إليهم من أهل الشرف من جور سيرة الفتى" مرجان شاوش" عامل أولاد المطهر على تلك الجهات فطلب أهلها من السيدين المحتسبين القيام وإزاله الجور والمنكرات ففعلا وعضدتهما القبائل من «بني جل» و«بنى مديخة» و«شَمْر» وغيرها ووعدهم أهل «قاهرة المحابشة» بالنصرة ثم اختلف أهل المحابشة وكان الفتى "مرجان"وبعض أتباعه في جهة منها فقصدوا أصحاب السيدين ووقع القتال فانهزم أصحاب السيدين وتفرقوا ثم أغار" مرجان" على أهل المحل فقتل منهم نحو عشرين رجلاً ثم قصدا «الشاهل» فانهزم أهله فامنهم ورجعوا إلى محلهم وبقى السيد "علي العابد" يتنقل في المساجد ويعبد الرب الواحد.

وأما السيد "العالم" فاحتال عليه جماعة وقبضوه وأرسلوه إلى أولاد "المطهر" فاعتقلوه مدة في «ذي مرمر» وغيره ثم أطلقوه ولزم بيته في «الجاهلي الشرف» وموت

"العـابد" سنة ٩٨٣ هـ وموت "العـالم" سنة ١٠٠٦ هـ وإليهـما أشـرنا في تحـفة المسترشدين:

وعـــام (فظ) النـاس في صُـــقع الشـــرف
٩٨٠
مـــحتـــســبـاً قــد قـام يـا من مـا عـــرف
وقـــصـــدوا مـــرجـــان في أنـصـــار
آبـت إلـى الـفــــــــــــرار والإدبـار
الـعـــــــابـد الأواه فـي ذاك الـزمـن
ومـــعـــه الـعـــالم حـــفـــاظ السـنن
ثـم ثوى الـعـــابـد في عـــفـــار
في (حـــفظ) في شـــيـعـــة أخـيـــار
٩٨٣
وبعــــد أعـــوام مــضـت شنيـــعـــه
قـــد نـقلـوه هجـــرة الـقـــويـعـــة
وبعـــده العـــالم خـــيـــر عـــامل
قـــد مـــات في (ضـــرو) بحـــصن الشـــاهل
١٠٠٦

وقال شيخ الإسـلام "أحمد بن صالح أبو الرجال" في «مطلع البدور»: كـان السيد "العالم" و السيد "العابد" فرسي رهان في الفضائل وذكـرهما ملأ الآفاق وقد ترجمهما السيد "أحمد بن الحسين بن إبراهيم بن علي العالم "حـفيد "العالم" فقال في ترجمة جده علي "العالم": مولده يوم الخميس ١٣ صـفر سنة ٩٣٠ هـ (تسعمائة وثلاثين) ببلدة هجرة «الجـاهلي من الشاهل» ورباه عمـه السيد "صلاح بن علي بن المـهدي" الذي كان مـن أعوان الإمام" شـرف الدين "وتولى له القـضاء والأوقاف بالـشرف ثم ارتحل العالم علي إلى صنعاء لطلب العلم مدة حتى فتح الله عليه بمعرفة تامة لا سيما في قواعد فقه المذهب ثم عاد بلده فهـاجر إليه جماعة من بلاد «صعدة» أهل «علاف» وبعض «بني عقبة» علماء فازداد علما إلى علمه وكان ورداً للطالبين وكعبة للمسترشدين وأبا للضعفاء والمساكين وتخرج على يده جـماعة منهم السيد "الهادي بن الحسن" من هجرة «بنـي أسد» ومنهم "شمس الديـن بن صلاح بن يونس" صاحب هـجرة «أسلم ناشر» من ذرية الإمـام المظلل بالغمـام "المطهر بن يحيى" ومـنهم السيد "أحـمد بن الحسين بن علي" من «الشاهل »الذى تولى القضاء للإمام" القاسم بن محمد" وغيرهم من هجَـر «الشرف» وغيـرها ودرس في «شرح ابـن مفتـاح على الأزهار »و«التـذكرة» و«البيَان»، ولما مـات السيد المجاهد "المطهر بن شـرف الدين" ظهر بالشرف منكرات

فوصل القبائل سنة ٩٨٠ هـ (تسعمائة وثمانين) إلى السيدين "العالم" و"العابد" يستغيثون بهما في رفع الظلم فلم يجدا عذراً عند الله في الترك لظلم "مرجان" فهاجر "العابد" إلى «عفار» للقراءة والإقراء وأما "العالم" فلم يزل يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويدرس العلوم بهجرته ثم هاجر بأهله إلى «حجور سلوم» ووصل السيد "غوث الدين بن المطهر" إلى «قفل مدوم» فأعانه على الاستمرار على التدريس حتى دعا الإمام "الناصر الحسن بن علي بن داو"د فقام بدعوته في الشرف ولما أسر الإمام "الحسن" أعان الإمام "القاسم" على دعوته وجمع له من فضلات الأوقاف والزكوات ونذورا كثيرة وحشد له من بلده ستين مجاهدا بسلاحهم وكان "القاسم" قد قرأ عليه في «الأزهار» وغيره وأعانه على طلب العلم من صغره ومات بعد ظهور دعوة "القاسم" واستجاب الله إلى دعائه ألا يميته إلا بعد ظهور إمام حق. وقبر بهجرة «الجاهلي» وعليه مشهد مزور، وخلف ولدين "محمدا" وكان عالماً مدرساً وهو شيخ "الحسين بن القاسم بن محمد" في الفرائض وغيرها وتولى القضاء للقاسم في الشرف وأرسله إلى "عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن المطهر" في الصلح الأول واستمر على حاله من الاشتغال بأمور المسلمين ويدرس العلم إلى وفاته سنة ١٠٣٢ هـ وعقبه في هجرة الجاهلي نحو ثلاثين عالما سنة ١٠٨١ هـ كالعلامة "أحمد بن صلاح بن محمد بن علي العالم" أخذ العلم عن العلامة "محمد بن عز الدين المفتي" وغيره بصنعاء سبع سنين ثم عاد إلى بلده فأخذ عن جماعة علم الفقه بتحقيق قواعده وتولى القضاء بالشرف الأسفل مع مكارم أخلاق وإكرام للوافد ، والولد الآخر من ولدي السيد "العالم" هو "إبراهيم بن علي" مات مهاجرا بهجرة حوث سنة ١٠١٢ هـ وله العقب الأطيب الأكثر وأولاده ستة منهم "شرف الدين بن إبراهيم" أكبرهم علامة عبادة واسع الصدر تولى القضاء للإمام المؤيد "محمد بن القاسم" وبعده إلى أن مات سنة ١٠٩٤ هـ عن ٨٦ سنة وخلف ١٤ ولدا منهم العلامة "شمس الدين بن إبراهيم بن علي العالم" ، عالما مجاهدا إلى وفاته سنة ١٠٥٤ هـ عن ٦٥ سنة منهم "محمد بن إبراهيم "و"أحمد بن إبراهيم" و"صلاح بن إبراهيم" و"الحسين بن إبراهيم" وكل منهم خلف جماعة علماء على طريق سلفهم .

السيد العلامة "علي العابد"

ثم قال "أبو الرجال" في«مطلع البدور» : وأما (السيد العلامة "علي العابد" فهو صاحب الكرامات، كان يتسوق الأسواق ليصلي في كل مسجد وليقول المأثور في السوق وهو: (لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد ، يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير) ومن كراماته قصة الأسد المشهورة عام أن حج وحده وقد

انقطع عن القافلة حيث لقيه أسد يبصبص له بلسانه وذنبه كالشاكي عليه ودموعه تسيل ، فسار بعده، فإذا أبطأ السير انتظره الأسد حتى بلغا إلى الأجمة وإذا هنالك لبؤة في يدها شظية قد شكتها وورمت يدها، فوثب الأسد على ظهرها ليمسكها ليتمكن السيد من إخراج الشظية فأخذ السيد شفرة حادة وشق يدها واستخرج الصديد ثم الشظية ثم صحبه الأسد حتى قارب القافلة وهو العابد لفظاً ومعنى، غلب عليه اسم "العابد" لكثرة عبادته واعتزاله وتلاوته، لم يسمع أحسن من تلاوته وترتيله وتأمله وكان علامة في كل فن ، ارتحل لطلب العلم، فأخذ القرآن على بعض علماء بيت الفقيه "ابن عجيل" بالقراءات السبع وعلوم العربية وأقام مع السيد "علي العالم" بصنعاء للقراءة والطاعة ثم استفاد عليه خلق وكانت له هيبة وجلالة في القلوب واستمر على آخر عمره على التدريس بهجرة «كحلان تاج الدين» وكان يُحيى الليل عبادة وتلاوة ومات بـ «عفار» بالطاعون سنة ٩٨٣ هـ (تسعمائة وثلاث وثمانين) وأوصى أن يقبر عند قبر القاضي العلامة "عبد الله بن زيد العنسي" عند «بركة رحية يماني كحلان» فحاول أهل «كحلان» ذلك ولكن أهل «عفار» طلبوا قبره لديهم وكادت الفتنة بينهما تثور لولا حضور المتولى السيد "عبد الله بن علي" من آل الامام "المطهر بن محمد الحمزي" وبقى بـ «عفار» إلى ١٢ شوال سنة ٩٨٣ ونقله ولد ولده السيد "على بن الحسين على العابد" وجماعة من قبائل «الشاهل» ليلاً من «عفار» إلى «هجرة القويعة» بالشرف وعمرت عليه قبة عظيمة وعمر حفيده "علي بن الحسين" جامعاً كبيراً وصارت من أحسن هجَر الشرف مأهولة بالقرآن والعلم إلى وقتنا، وخلّف ولدين : السيد "الحَسَن بن علي " والسيد "الحُسين بن علي" الذى أعقب خمسة أولاد أما "الحَسَن" فلم ينجب إلا ولدا واحداً اسمه "عبد الله بن الحسن" انتقل من بلده إلى «ضوران» لملازمة مولانا "سيف الإسلام الحسن بن الامام القاسم" ومات ولم ينجب .

الوفيات

"عبد الله بن القاسم العلوي"

وفي سنة ٩٨٠ هـ (تسعمائة وثمانين) توفى ببلاد «حجة» السيد العلامة المحقق المجتهد "عبد الله بن القاسم بن الهادي بن إبراهيم العلوي" عن ٧١ سنة من مولده. قرأ على عدة من العلماء ، رحل إلى «رداع » و «زبيد» ثم رجع إلى «حجة» ثم انتقل بأهله إلى صنعاء سنة ٩٣٥ هـ ودرس بـ «الجراف» وغيره وانتفع به عالم من الناس في الأصولين والنحو والصرف والمعاني والبيان واللغة والحديث والفقه والمنطق والتاريخ وعلم الأوائل مع الورع الصحيح والزهادة والعبادة والأذكار وهو من أكابر

شيوخ "علي بن الإمام شرف الدين" ترجمته في المستطاب .

وقال" أبو الرجال " في«مطلع البدور» : إنه كان من نوادر الزمان وعجائبه، محققاً حافظا، ترجم له تلميذه "علي بن الإمام شرف الدين" فقال: مولده ليلة عرفة سنة ٨٠٩ هـ (ثمانمائة وتسع) وابتدأ القراءة على الفقيه "عبد الله بن مسعود"، ولم أر أحفظ منه، بحفظ الأشعار والأمثال والتاريخ ،فهو بحر لا ينزف . لازمته خمس سنين ولم أزل أسمع منه فوائد ما طرقت على سمعي ولا يعيد شيئاً، بل كل يوم أسمع العجب من علومه وقد جمعتُ ما أملاه من أدب وحكمة في جزء وجمعت الشواهد والفوائد في مجلد ، وأما ورعه فكلمة إجماع يُمنحَ بالأموال الجليلة بطيبة نفس ما نحها، فلا يأخذ منها مثقال ذرة ، وأما عبادته وحسن معاشرته فيفوق كل إنسان .

ومن شعره في الإمام:

هنّاك ربك ما أولاك من رتب
ونلت ما كنت ترجوه من الأدب
وزادك الله في عمر وفي سعة
في الملك تصلح منا كل مضطرب
أحييت هجرة يحيى بعد ما ظلمت
دهرا طويلا بلا جرم ولا سبب

وجَرَتْ سابقا بينه وبين الإمام وحشة وسببها أنه سابقا مال إلى التصوُّف والتصفيق وطرائق الرموز التى تخالف ظاهر الشريعة وكان الإمام حريصا على حفظ الشريعة فاشتد على المتصوفة قتل الفقيه المسمى "بالجَدر القرشي" وضرب العلامة "ابن عطف الله التركي" وحين مال "العلوي" إلى التصوف مع الشيخ "علي الجبرتي" ودار معه في الأمصار حبسه الإمام بحصن العروس ولما تحقق الخطأ في مذهب الصوفية واطلع على رسالة "ابن عطف الله"تاب وكتب الرسالة الآتي بعضها فأطلقه الإمام :

بسم الله الرحمن الرحيم . وبعد فإن لله حماية يحفظ بها بيضة الإسلام ، وله على عبادة نعم أجلها الأئمة الأعلام ،تعمر بهم المعاهد والمعالم ، وينتصف للمظلوم من الظالم ،بهم يهتدي الجاهل ويستقيم المعوج المائل ومذهبهم الشريف خير المذاهب ومنارهم يلوح لكل سارب ، ومنهلهم العذب يروى كل شارب اللهم فكما رزقتنا اتباع مذهبهم فثبتنا عليه ، حتى لا نميل إلا إليه ، وقد فعلت إذ وليت علينا إمام الزمان ، الذي زدته بسطة في العلم والسلطان ، أذاق أعداءَ الله الحتوف ، وأمن بسعيه كل مخوف ، وآوى إلى ظله كل ملهوف ، كم أحيا من مدارس ، وكم أضاءت به

المحافل والمجالس ، وكم تجلت به المشكلات الحنادس وزالت به الشبهة والوساوس ، فمنهجه هو المنهج القويم ، الذى قال تعالى فيه: أهدنا الصراط المستقيم ، وهو الذي بُعث به ودعا إليه النبى الكريم ي عليه وعلى آله أفضل الصلاة والتسليم ، هذا نعتقده وبه ندين ، ويعلمه الله وهو خير الهادي . وهذا ما سار عليه مولانا أمير المؤمنين ، وخليفة الرسول الأمين ، من الذب عن الدين وحياطة المسلمين ، من دعوته الميمونة التي هي بالصلاح مقرونة،اللهم أجزه أفضل ما جزيت إماما عن رعيته وزد اللهم في حياطته المذهب الشريف وهمته.

ولما ورد عليه سؤال في شأن المتصوفة أجاب برسالة طويلة بين فيها فتح سيرتهم وخبث سريرتهم . وكان قد وصل إلى جهتنا بعض المتصوفة وتوهمنا معرفته في الأسماء . ولم يكن لى اطلاع على كتبهم فآنس قلبي لهم بعض أنس وكنت كما ذكره الإمام في كتابه إليّ كما عرض ذكر ماهم عليه من الضلال لم يصدر مني ما يطيب به خاطر الإمام فأمر بي إلى «حصن العروس» وكتب إلي بخطه : لما علمنا يقينا حال هؤلاء المتصوفين وخروجهم عن الدين بلا شك وخروجٍ من انتسب إليهم بقول أو فعل أوتصويب ولما جرى منك من الأقوال والأفعال المخرّجة من الدين وقع الخوف من الله من المداهنة لك وعدم الشدة. انتهى كلام الإمام وشدتة علي أرجعتني إلى منهج الحق وقد أرسل إلي رسالة القاضي "محمد بن عطف الله "ورسالة الفقيه "حسن بن يحيى الجَدر" فتحققت مقالات المتصوفة التي تهول ، والكفر الصريح الذي لا تقبله العقول مثلَ القول بالحلول وتفضيل الولي بزعمهم على الرسول ،وظلمات بعضها فوق بعض،وضلالات تزلزل منها الأرض ، فحينئذ علمت صدق كلام الإمام بكفرهم ومن انتسب إليهم علما يقينا بلا ارتياب ، كيف لا وقد خالفوا السنة والكتاب.وعلمت أن التسامح في حقهم فيما مضى مني قبيح ، وأن الميل إليهم وقع مني بغيرتحقيق ولا تصحيح وبعد أن تحقق ضلالهم يجب الإظهار للتوبة والإصحار والتبري من المتصوفة آناءَ الليل وأطراف النهار. هذا مع أن الله يعلم أني لم أسمع منهم هذه المقاولات الشنيعة إلى الآن ، إلا ما سمعته من الإمام من قولهم بتفضيل الولي على الرسول وإلا ما سمعته من كلام "إسماعيل المقري" صاحب الإرشاد في قصيدته التى ذم فيها المتصوفة وبعد حكايته لمقالتهم فيها قال:

استغفر الله من ذكرى مقالتهم

فالحَر يلفح من يدنو من اللهب

هذا ولولا الإمام لبقينا على تلك الغفلة ، حتى والعياذ بالله تنقضي المهلة ، وبدا لنا من الله ما لم يكن في حساب ووضع الميزان والكتاب ، ووقعت المناقشة من رب

الأرباب،اللهم زد إمامنا من التوفيق ،وبلغه أمله من الخير، فهو له حقيق ، وأطل عمره حتى يعود الإسلام كالصدر الأول ، ويبطل مارسمه أمراء الظلم ويتحول.

هذا ما كتب بقدر الإمكان ، من مملوك الوداد والإحسان "عبد الله بن قاسم" ، جاد عليه الله بالغفران ، ليُعرض على الحضرة الإمامية فإن جاء مطابقا فببركات المقام المقدس وإن قصر فهو على الركة والفتور مؤسس) .

وقبره في قبة في القرية التى فوق بلد «عجرمة» من جانب القبلة بجهة «حجة» قريب حصن «مبين »من جهة الشرق من بلاد «الجبر».

ولقد تعصب الإمام "شرف الدين" على الصوفية إلى حد التكفير وقسا عليهم إلى حد القتل والحبس لمجرد عقيدة فيما بينهم وبين الله بدون منازعة لهم في ملكه ولا في مذهبه ولهم تأويلات واصطلاحات والله أعلم بهم وكانت العصور الوسطى تنازع في العقيده الآن صارت حرية العقيدة مضمونة وقد سمح الإسلام ببقاء الكفار والمعتقدين على ما هم عليه (لا إكراه في الدين) . كما قسا الإمام "عبد الله بن حمزة" على المطرفية الزيدية القائلين بإمامته .

أنباء ٩٨١ هـ

(تسعمائة وواحد وثمانين)

في سنة ٩٨١ هـ (تسعمائة وواحد وثمانين) حصل الاختلاف بين الأمير "علي يحيى بن المطهر" وبين الأمير "محمد بن ناصر الحمزي الجوفي" أحد خاصة "المطهر" بسعاية الأمير "محمد بن شمس الدين "وكان "محمد ناصر الحمزي" على «بلاد الظاهر» فزحزحه "علي يحيى" إلى« الزاهر بالجوف» ولم يلبث "الحمزي" أن توجه إلى "الباشا بهرام "فأعطاه سنجقاً وولاه على بلاد «رداع »فخلفه على «الزاهر» السيد "أحمد بن الحسين المؤيدي" صاحب «صعدة» فاستولى على بيوت «الحمزي»

أنباء ٩٨٢ هـ

(تسعمائة وإثنين وثمانين)

وفي سنة ٩٨٢ هـ (تسعمائة إثنين وثمانين) جهّز "علي يحيى" وزير أبيه السيد "علي بن أحمد بن صلاح "بعساكر إلى بلاد «الأهنوم» فلم يتهيأ له دخولها وعاد بالفشل . وفيها حدث خلاف بين "علي يحيى" واخيه "عبد الله بن المطهر" وكانت الحرب بينهما فقتل فيه "الناصر بن المطهر" ورجع "عبد الله بن المطهر" إلى حصنه «حقل» فاستقر فيه بأهله وأولاده .

وفيات

وفيها مات السلطان "سليم بن سليمان "وخلفـه السلطان "مراد الثالث" وفيها عبثت عساكر الباشا بهرام باليمن واشتد فسادهم في السر والعلن ، وثاروا على "بهرام" وكان المثير لهم "الدفـتردار" فاضطر "الباشا" إلى الاستقالـه عن ولايه اليمن فأقاله السلطان وعزله بالباشا "مصطفى" .

"عُمَر الناشري" وجمعة رجب والرغائب

في سنة ٩٨٢ هـ (تسعمائة واثنين وثمانين) توفى بزبيـد الفقيه العلامة "سراج الدين عمـر بن عبد الوهاب الناشـري الزبيدي الشافـعي" وكان عالما مـتبحـراً وهو صاحب الجواب المشهور على السؤال عما يعتـاده أهل «زبيد» وغيرهـم من العيد في أول جمعة من رجب فأجاب بقوله :

وسـائل سـال عن قـوم وعـادتهم
عيد الخميس الذي في مبتدا رجب

أسنةٌ هو أو لا ؟ أو ضحوه لنا
وما لتميز هذا اليوم من سبب

فقلت ذا مبتدا الإسلام في يمن
من أجل ذاك نراه بالسرور حُبي

أتى معاذ بأمر الله فيه لنا
بالإتباع إلى منهاج خير نبي

فصار ذلك عيداً عندنا فلذا
نزيده بمزيد الحب في الرتب

ولا نقول بتخصيص الصيام له
ولا صلاة ولا شيء من القرب

نعم لنا فيه تخصيص المحبة إذ
كان النجاة لنا فيه من العطب

فصار إقباله فيه القبول على
قوابل القابلين الأكل عن إرب

ثم الصلاة على المختار ما صدحت
ورقاً وغنت على الأغصان والقُضُب

والآل والصحب ما هبت نسيم صبا
فحركت من قدود الأغصن الرطب

قلت قال "البهاء محمد الجندي الشافعي اليمني المؤرخ" بالقرن الثامن الهجري والشيخ "علي بن الحسن الخزرجي الشافعي" المؤرخ بالقرن التاسع والحافظ المحدث "عبد الرحمن الديبع الزبيدي "المؤرخ بالقرن العاشر، أجمع العلماء أن كافة أهل اليمن أسلموا طوعا على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأنه لما فشا الإسلام باليمن بعث رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - بعوثه إليه زاد "الديبع" فسار "معاذ" إلى صنعاء ثم الجند وكتب إلى «بني الأسود» فاجتمعوا في أول جمعة من رجب ووعظهم "معاذ" فمن ذلك اليوم ألف الناس مسجد الجند في أول جمعة من رجب يأتونه ويصلون فيه الصلاة المشهورة، قلت لعل مراده صلاة الرغائب ولم يصححها "الحافظ" بل قال في «جامع الأصول» " **عن أنس أن رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - ذكر صلاة الرغائب وهى أول ليلة جمعة من رجب تصلى بين المغرب والعشاء اثنتى عشرة ركعة بست تسليمات ، كل ركعة بفاتحة الكتاب مرة و«القدر» ثلاثا و«قل هو الله أحد» اثنتى عشرة مرة، فإذا فرغ من صلاته قال: اللهم صل على محمد النبي الأمي وعلى آله وسلم** .إلخ ثم قال هذا الحديث ما وجدته في كتاب ولا في إحدى الأمهات الست والحديث مطعون فيه.

الناشريون فقهاء تهامة

قال في القاموس : الناشريون فقهاء تهامة بـ «زبيد» ، هم أكبر بيت في العلم والفقه والصلاح وبهم كان ينتفع في أكثر البلاد ، ينتسبون إلى "ناشر بن تيم بن سملقة" بطن من "عك بن عدنان "وإليه نسب حصن «ناشر» باليمن وحفيده "ناشر" الأصغر نزل أسفل «وادى مور» بتهامة وابتنى القرية المعروفة بالناشرية في أوائل المائة الخامسة للهجرة ،ومنهم القاضي "علي بن محمد بن ابى بكر بن عبد الله الناشري" شاعر الأشراف توفى بـ «تعز» سنة ٧٣٩ هـ (سبعمائة وتسع وثلاثين) وحفيده "أحمد بن أبي بكر بن علي" ، انتهت إليه رئاسة العلم بزبيد وأخوه "علي بن أبي بكر" الحاكم بزبيد ووالدهما "أبو بكر" ممن أخذ عنهم "ابن الخياط" حافظ البلاد اليمنية ، توفى بتعز سنة ٧٧٢ هـ (سبعمائة واثنين وسبعين) . إلخ .

قلت ومنهم بالقرن الثاني عشر الفقيه العلامة "إبراهيم بن عبد الرحمن الناشري" صاحب «قرية الغانمية» المتوفي سنة ١١٨٣ هـ ومنهم بالقرن الرابع عشر من ترجمنا لهم بـ «نزهة النظر» .

الناشريون الحسنيون

والسادة الناشريون الحسنيون بصنعاء وبلادها ينسبون إلى السيد "الهادي" الملقب "الناشري بن القاسم بن الهادي بن عز الدين بن القاسم بن فضائل بن محمد بن إبراهيم بن الإمام المظلل بالغمام المطهر بن يحيى" .إلخ ومنهم الأخ العلامة "عبد الكريم بن عبد الخالق بن حسين بن عبد الله بن قاسم بن هاشم بن محمد بن الهادي الناشري" وولداه وأولاد أخيه الفاضل "أحمد بن عبد الخالق" وأولاد قريبهم الفاضل "محمد بن أحمد بن أحمد بن عبد بن قاسم" .. الخ

أنباء ٩٨٣ هـ (تسعمائة وثلاث وثمانين)

وفي سنة ٩٨٣ هـ (تسعمائة وثلاث وثمانين) وصل الباشا "مصطفى" لولاية اليمن فلما دخل «البقعة بندر زبيد» مات ، وكان "بهرام " قد تجهز للسفر إلى الروم فانثنى عزمه وانضم إليه بعض العسكر الواصلين مع مصطفى فقوى بهم جانبه وأوقع بعسكره الأولين ومزقهم كل ممزق وقتل "الدفتردار" ، ولم يلبث أن وصل الباشا "مراد" لولاية اليمن فدخل صنعاء وتوجه "بهرام" إلى الروم .

وفيها وقع فناء في اليمن ، مات منه عوالم منهم "رضي الدين" ، و"عبد التواب" ، و"زكريا" أبناء الإمام "شرف الدين" وغيرهم من أولاد "المطهر" وغيرهم .

الوفيات

" المطهر بن محمد الحمزى "

في سنة ٩٨٣ هـ (تسعمائة وثلاث وثمانين) توفى بالفناء في «كوكبان» السيد العلامة "المطهر بن محمد بن تاج الدين الحمزي "وكان شيخ زمانه في العلوم ، حسن الأخلاق ، صحب الإمام "الحسن بن علي بن داود "وهو شيخه وقبره بعارضة «كوكبان» .

"عبد الله الورد المجلي" و"عبد الله الحوالي"

وفي شوال سنة ٩٨٣ هـ (تسعمائة وثلاث وثمانين) توفى بالطاعون في «الظفير» القاضي العلامة "عبد الله بن أحمد بن محمد الورد المجلي الحجي الظفيري" المعروف بالناصح وكان عالما صالحا فقيها تقيا من مشائخة السيد "عبد الله بن القاسم العلوي " . وبعد يوم توفى تلميذه العلامة "عبد الله بن سعيد بن عبد الله بن مسعود

الحوالي" من هجرة «الظهراوين» بحجة .

"إبراهيم بن احمد الورد"

وفيها توفى القاضي العلامة "إبراهيم بن حمد بن محمد الورد المجلي الظفيري" ، المعروف بالراغب وهو أخو الناصح المذكور قبله ، وكان عالماً محققاً للنحو والصرف والمعاني والبيان والفقه وأصوله والتفسير وعلم الصوفية من أعيان علماء وقته من الجامعين بين فضيلتي العلم والعمل وموته بالطاعون .

"الحسين بن محمد المسوري"

وفيها توفى بالطاعون في «ثلا» القاضي العلامة الأديب "الحسين بن محمد بن علي بن محمد بن غانم السوري" ، نسبة إلى «مسور حجة» ، عالم الشيعة ومحيى علوم الشريعة وكان شاعراً وأديباً كبيراً وَوَلَداه العلامتان المجاهد الكبير "سعد الدين" ، والأديب الكبير "علي" ابني "الحسين" ، وحفيده شيخ الإسلام الشهير "أحمد بن سعد الدين بن الحسين" ، والبيت بيت تشيع ومناصرة للأئمه فالحسين ناصر الإمام "شرف الدين" وولداه وحفيده ناصروا الإمام "القاسم" وأولاده وتراجمهم في الجزء الرابع الذى بعد هذا الجزء .

وكان صاحب الترجمة زاهداً قانعاً لايطمع في زخرف الدنيا ومع ذلك فإن عيشه عيش الملوك ، وله أشعار كثيرة يرتجلها بقريحة منقادة وفصاحة وهى «الإلاهيات ونبويات وعلويات» وفي أهل البيت ومدائح ووقائع الإمام "شرف الدين" وبعد وفاة الإمام "شرف الدين" لازم ابنه "المطهر" . ولما زار الإمام إلى «الظفير» بعد تحول الأحوال ، أمره بزيارة ابنه "شمس الدين" الى «كوكبان» وكتب معه :

جاءكم سلمان بيتي فاعرفن ياشمس حقه

ولرجواه فحقق بيشر فتلقه

فقال "شمس الدين" : **لا أدري بما أكافيه والذي أجده الآن بقشة أداتي بما فيها .**

ومن إلاهيته قصيدة منها :

يارب هل إلا إليه توجهت أماليه

وبباب رحمتك الوسيعة قد حططت رحاليه

وقرعته من تحت أستار الظلام الداجية

بضراعة مشفوعِة بدموع عين باكية

حاشا لجودك أن يُخيّب ياكريم رجائيه
أو أن أعود وراحتى من فيض برك خاليه
من ذا الذى أدعو فيسمعنى ويكشف ما بيه
عجلاً ويغفر لى ذنوباً قد ملأن حباليه
إلاك يا من لا عليه قط تخفى خافيه
فإليك وحدك ياإلهى والدي أوصى بيه
والدهر قد آسى به آساد بغى ضاريه
وغدا على أمر البرية كل خب طاغيه
ومخالب السفهاء من مهج الأفاضل داميه
فتركتهم وقلوبهم يا ذا الجلال كما هيه
وقصدت بابك ابتغى يارب حسن قرائيه
وجعلت دلوي في الدلا ياسيدى ورشائيه
أصلح إلهى أين كنتُ بحق ذاتك شانيه
واجعل من التقوى شعارى دائماً ودثاريه
وافكك بحقك من قيود الموبقات إساريه
فبحق ذاتك لا هتكت بزلتى أستاريه
وبحق من خمدت به نار الضلال الحاميه
خير الأنام صفيك الداعي إليك علانيه

إلخ . . . .

وله أيضاً قصيدة طويلة جدا منها :

إليكم بكم في حبكم أتوسل
إذا عز عني ما به اتوصل
فهل من يدٍ أو نظرةٍ تُحضرونني
بها نحوكم كيما أقول لتفعلوا

أعـــوذ بكم من ليل هجـــر ذيولهُ
على صـبكم من عـمـر لقمـــان أطول
ووليت وجـهي في الهــوى شطر بيـتكم
وبت بمسعى كعبة الحب أرمل
ولمـــا تجلى لي صبـــاح تعلقي
بكم ونأى ليل من الشك أليل
صعدت منار العاشقين ولم أزل
عليه إلى دين الغرام أحيعل
فإن كنت من اهل المحبة آخراً
فلي حالة تقضي بأني أول
فإن ترحموا مثلي فمن شأن مثلكم
وإن بك إهمال فمثلى يهمل
بفقري بإخلاصي بذلي بفاقتي
إليكم وهذا ما به أتعلل
أقيلوا أنيلوا أسعدوا أجملوا
صِلوا أعيدوا أفيدوا طوّلوا وتطوّلوا
ألم تعلموا أني فريد هوكُم
وإني عن قوم سواكم لا ميل
عصيت عليكم من لام فيكُم
وقد كثرت حولي وشاة وعُذَّل
ولم تلهني عنكم بلاد وأسرة
وأهل وجيران ومال ومنزل
ولاعاق قلبى من نشاء عن نزوعه
إليكم غضيضُ الطرف أدعجُ أكحل

ثم بعد عشرين بيتا انتقل إلى مدح رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال :

محمد الهادي البشير ومَن على
مكانته عند الإله المعوَّل
محمد الداعي إلى الله والذي
نُصلّي عليه ثم ندعو فيقبل
نبي زكي لا يوفيه بارع
مدائحه إلا الكتابُ المنزل
نبي هدىً ما زال مذ لاح نوره
به الدين يعلو والظلالة تُسْفل

به جـــاءت البـــشـــرى على ألسُنٍ غـــدت
بهــا عنهُم الأخـــبـــار في الأرض تنـقل
ألم تر ســـيـــفـــا كـــان بـشـــر جـــده (١)
وفـــصَّل مـــا قـــد كـــان تُبَّـع يَجـــهلُ
ومـــا قـــالــه فـــيــه بحـــيـــرا وقـــد رأى
الغـــــمــــــام له دون الــرفــــاق يظــلل
ومــــا صـح من قـــــول ابن نـوفل إذ رأى
مُــحـــيـــاه من نور الهـــدى يـتـهـلل
ومـــا جـــاءت الـتـــوراة من نعـتـــه بمـــا
يقـــهـــقـــر عنه جـــاحِـــدٌ ومـــعـطل
ومـــا شـهـــدتْ إنجـيل عـيـسى له بمـــا
إذا طنّ فـي ســمـع المــعـــابـد يخـــجل

ومنها :

وأهدت لـنا الشـــفّـــا بـمـــولـده شـــفـــا
بـه رحم الـديـن الـحـــــيـنـفي يُـوصَـل
وسل آل سَـعْـد كـيف سَعْـدُ رضـاعــه
أمـا اخـصبوا بالمـصطفي حـين أمْـحلوا
وقـــابلـهم وجـــهٌ من الـيـــمن بـاسم
أراح عـليـــهـم ذودهـم وهي حُـــفّـل
وشق عـليـــه صـــدره ليـــزال من
بـواطنـه عـــابُ الـقـلوب ويُـغـــسَل

إلى ان قال :

وإن امـــــرأ تـمـت عـنـايـة ربـه
به فـــهـــو دون العـــالمـــين المـــفـــضل

ومنها :

يتـــيـم بلا مـــال تظـل لخـــوفـــه
بـأهل الـدنى أرجـــاؤهـا تتـــزلـزل

(١) المراد بالسيف : سيف "بن ذي يزن" ، والمراد بالجد "عبد المطلب"

وفي كل قطر أظهر الله آية
له وهو في حصن الكلاءة يكفل

بتغوير ماء من بُحيرة ساوة
إلى أن غدت في جوفها النار تشعل

وكاصدع من إيوان كسرى ولم يكن
به خلل من قبلها يُتَخيَّل

دعا قومه والشرك في كل بقعة
وشيطانه في كل قطر مجلجل

فلما تولوا ناكصين واعرضوا
ومالوا عن الحق المبين ومَيَّلوا

تحدّاهم بالمُعجز الباهر الذي
يبين له قسراً خطيب ومقول

كلام إله العالمين وحبله المتين
الذي منه الشفاء المعجَّل

فأقحمهم فاستيأسوا من نزاعه
وقالوا اساطير مضت وتمحلوا

على العلم منهم أن أعلاه مُورق
وأسفله مُغدودق إذ تعقلوا

فعادوا سراعا يوفضون ضلالةً
إلى اللات والعزى ولم يتمهلوا

وحين أبوا إلا لزوم ضلالهم
وقالوا به مس وقالوا مخبل

ففارقهم في هجرة طفقت بها
مساكنهم من خوفها تتقلقل

إلى أن قال بعد نحو خمسين بيتاً :

ومن لي بأن أتي على بعض فضله
فتلك التي لم يسطعها محصل

و أي يعدّ الشهب أو يحصر الحصا
قصير لعمري في علاه المطول

هو المقصد الأسني هو النعمة التي
بها الكل من آمالنا تتحصل

الا يارسول الله ياخير من طوت
به البيد فتلاءُ الذراع وافتلُ

مـــــدحــــــتك لا أبـغي لـذاك إجـــارة
مـن العــــاجـل النـائـي به أتـمــــــول
ولكـنـــي في قـــــيــــــد ذنـب يحـل من
عـــــــراي الـقـــــوى انـي بذاك مـكبـل
ومن كنـت ياخـيــــر الأنام شـفـيـعـه
إلى الـله قـل لى ردُّه كـــيف يـجـــــمل
إذا لـم تـقـم بـي يـوم يـنـكـشـف الـغـطـا
فـلسـت علـى حي ســـــواك أعــــول
يمــر بيـــالـى وقت نشــر صـحـيـفـتي
فـــيـــــقـــــتلـني هول هـنالـك أهول
وأذكـــــر منك الـجـــاه والـرحـــمـة الـتي
تعـم جـــمـــيع العـــالمـــين وتشــــمل
فــــتتحـل عنـي عـــقـــدة الكـربة الـتي
بهـــا لم أزل فـي مــضــجـــعي أتملـمل
إذا اللـه حــــاشــــا اللـه رد وســـيلـتي
بـكـم فـــــاهـدنـي مـن ذا به أتـوسـل
وكن لـي وللأخــــوان ياخـــيـــر مــرسل
إليـــه تُشَـد الـيـعـمــلات وتعـــمل
عـــــمـــــاداً وركنـا كلمــــا لـحظـت لن
مــهــــدةً عـــينُ الحـــوادث تحـــجل
وأهــــل ولاء مـــــن ذؤابــــة هـــاشــم
حـــبـــونـي برفع القــــدر فــيكم وجلـلوا
وأولوا ووالـوا كل عــــــارفـــــة بهـــــا
أقـــامــوا قـناتي بعـــد مـــيل وعـــدّلوا
ولاتنـس فـــضـــــــلا والـدي فـــإنـني
عـلى والـدي العـــــاجـــــزين لأوجـل
وأهـلي الـتي مـــــازال خـــوفُ إلـهنا
لأجـفـانهـــا بالـسـهـــر في الليل يـكحل
فـخـــذ بيـــدي ياخـــيـــرَ ضنِ كـــريمـة
وقلَ مــــعنـا دار المــــقـــامـــة تـدخل
وصـلى عـلـيـك اللـه مــــــا ظل بـارع
يحـــبـــر وشي الـمـــدح فــيك ويعـــمل
وآلـك من أعــــيــى الولـى عن الـوفـــا
لهم بـالثناء بـالحق في الـذكـرِ مُـجـــمل

وصـــحـبك من أرضــوك حـــيـا ومــيـتــا
ومـــاتوا وهـــم في ذاك لم يـتــبـــدلوا

وهذا مــــقـــام أنت فــيـــه مـــؤمل
جـــدير لعـــمــــري أن يفـــوز المـــؤمل

وهي عدة مئات أولاً ، تصوف إلاهي مخلص ، ثم سيرة نبوية تستحق شرحه ، فهي من تراث اليمن البديع .

له قصيـدة علوية طويلة أورد منها أبو الرجال في «مطلع البـدور» نـحو خمسـين بيتا أولها :

اِشـــهَـــدْ علي إذا أتـيت المـــشـــعـــرا
ووردت بـيـت الـلـه مـن أم الـقــــــــرى

ونزلـت في ضــــيف الكـريم ملبـيـــا
ومــســبـــحـــا ومـــهللا ومـكبـــرا

ووردت جـــمـــعـــاً والجـــمـــوع كـــأنهــا
بحـــر طمـــا والـعــيسُ تـنفخ في الـثــرى

إلى أن قال :

بل يشـــهـــد الثـقــلان مـهــمـــا يممـوا
لقــضـــاء رب العـــالـمـين المـحـــشـــرا

إنى أقَـــــضّــلُ بعـــــد خــيـــر الـرسل
مـــولانا الـوصى أبا الأئـمـــة حـــيـــدرا

إلى أن قال :

من نفـس خـــيـــرالخـلق فـــيــمـــا قـــاله
رب الســـمـــا يا مـــن درى مـــا قـــد قـــرا

ومن الــذي حُـــصـــرت عليـــه بانـمـــا
أي الولايـة مـــفـــخـــر لـــن يحـــصـــرا

مـــن ذاك زكىّ راكـــــعـــــا يـــا من لـه
عـــقــل يـؤم به الـطـريق الـنـيــــرا

من ذاك يـــسـقي فـي القـيـــامــة كـل مَن
ولاه مـــن هـــذا الأنـــام الـــكـــوثـــرا

أم من دحـــا البـــاب الذى عـــجـــزت
ليـوث الحـرب عنـه حـين أمـوا خـيـبـرا
من قـــال فـــيــه نبــينا يا مـن وعى
مـــا قـــاله : هـذا أخي دون الـورى
أم من فـــداه بـليلـة أمـــسى بهـــا
جـــبــريل يكـلؤه إلى أن أســـفـــرا
من قـــال منـزلةً بـهـــا مـن قـــبلـه
هارون أورد عـن أخـــيـــه وأصـــدرا
من كـــان نجـل المـــصطفى مـن صلبـه
إمـا جـهـلت فـسل شـبـيـر وشـبـرا
من كـــان بـاب مـــدينـة العـلم الـذي
من لـم يفـــز بـدخـــولـه لن يـظفـــرا
من زُوِّج الـزهراءَ في مـــلاء الســـمـــا
هل قـــد عـلمت بمـثل ذلـك مـــفـــخـرا
مـن ذاك بـلغ عـن رســـــول الله يـوم
الحـج مـــمــــتـــثـــلا براءَةَ بالـبـــرا
ولمـن يـــوم "غـــد يـرخم" شـــدّ من
عـــقـــد الـولاية في ولايتـــه العُـــرىَ
من مـــذ نشـــا لـسوى الـذى رفع الســـمـــا
ودحـــا البـســيطـة خَـدَّه مـــاعـــفـــرا
من جـــرع الأعـــــداءَ في بدر وقـــد
حـــمى الوطيس هناك مـــوتا أحـــمـــرا
مـن ذاك للأصـنام حـطمـــهـــا علـى
كـــتف النـبى عـــلاه ثُمَّـــة كـــسّـــرا
من كـــان مـخـتـبـئـــا مع خيـــر الورى
للـجنـب في سن الـطفـــولـة في حـــرا
من قـال لو كُـشِف الغطا مـا ازددت مـعـرفـة
علـى مـــا في مـــواجـــهـــتي أرى

إلى أن قال :

هـذي مـــآثـره التـي لـســـواه مـن
أهـل البـســـيطة عـن يد لـن تؤثـرا
ولـتـلـك عـــنـدي قـطـرة مـن مـطـرة
من ذا يعُـد القطـر مـهـمـا اسـتـعـبـرا
دعنـي وتفـــضـيلي وكـن مـتـيـقـناً
إنـي حـلـبـت مـن الأدلـة أشـطـرا

هو ما سمعت فكن مقرا أو فكن
للشمس في رأد الظهيرة منكرا
فتولنا أو ولّنا منك القفا
مستكراً مستكبراً مُتحيرا
وانظر بفكرك إن أردت خلاف ما
أمليته في أى قولينا هُرا
لولا مكابرة العقول لما جرى
بعد النبى مع علي ما جرى
دعني ومعتقدي وته في حيث لا
مُتقدماً تُلقى ولا متأخرا
وارفض وارفضني إذا لم تدر أن
الصيد كل الصيد في جوف الفرا
نفسي الفداءُ لاحمد ووصيّه
وابنيهما أهل القِراءة والقِرى
شم الأنوف عن الدنايا والأولى
يلقَى منازلهم بهم أسد الشرى
من كل من هَجَم الظلام عليهُم
طردوا عن الأماق طارقة الكرا
وتعاهدوا الذكر المبين بلهجة
لو لاقت الصخَر الأصم تفجرا
يارب وفقني لحفظ حقوقِهم
واجعل مودتهم لديني مظهرا
يسّر بحقهم مسالكي التي
ترك الزمان يسيرها متعسرا
وانظر إلي بعين رحمتك التي
يُمسى بها ذنبى العظيم مكفَّرا
أنا سائل ولقد قطعت بأن من
سأل الكريم نواله لن يُنهرا
واقبل شفاعتهم لعبد لم يزل
متعلقا بولائهم مستهترا
فلهم لديك مكانة يُطفَىء بها
وهَجُ الجحيم إذا الجحيم تسعرا
يارب هذا موردي في حبهم
يارب فاقض بفضل عفوك مصدرا

واقل عـــثــاري فـي جـــرا يرى الـتي
أسلـفت واحـــرسني لـكي لا أعـــثـــرا
واجـــعـل بحـــقـك عَـيْشَ مـن والاهمُ
يارب فـي الدارين عـــيـشـا أخـضـــرا
هـذا الذي أبـديه مـن خـــبـــر ودع
منـي وراء الـســتـــر ذاك المـخـــبـــرا
لا زال قـــلـــبـــي آهـلاً بـــولائـــهـــم
أبدا وقـلبُـك يا عـــدوي مـقـــفـــرا
هـذا وصـل علـى نـبــيـــيـك مـن آلـى
أعلـى مكانٍ دون عـــرشك قـــد سـرى
وعلـى جـــمـــيـع الآل مـن أنزلـتـــهُم
منهـا خـصـصت بـه عـبـادك في الذُرَى

وله جواب على السؤال عن نظم قداح الميسر في الجـاهلية فنظمها ارتجالاً وقد سأله الفقيه "علي بن قاسم السعيدي الشرفي" :

ســـألـتني وُفـــقـتَ ياعـلـي
مـــعـــتـــقـــدا أنـي بهـــا مـلي
ســألـتني نظـم قـــداح المـيـسـر
فـــهـــاكـــه برجـــز مـــبـــشّـــر
الـفَـــــذّ والتـــوأم والرقـــيـــب
والـحـلـس والـنـافـس يـا أديـب
ومـــســـبـل يتـــبـــعـــه المـعـلّى
سـبـعـتـهـا بهـا سـهـام تـملى
وبعـــدهـا ثلاثـة مـــتـــروكـــة
وأهلـهـا عـــصـابة مـــفـــروكـــة
لـيـس لهـا منَ الـجـذور حـــصـــة
ســـوى احـــتـــمـــال منّة وغـــصـــة
وهـي منيحٌ وســـفـــيـح وُغـــدُ
نروح فـي جنبـتـهـا وتـغـدو
فـــهـــاكـــهـــا وفـــقــت إلى الصــواب
مـــســـامـــحـــاً في ركـــة الجــواب
وهـكذا يـكون حـــال المــرتجـل
ومـن بـنـاه ربـه عـلـى عــــجـل

وقبره بـ «ثلا» في «جربة صلاح العريجي» غربي المصلَّى ، ومات ابنه العلامة الأديب "يحيى بن الحسين" عقيب موت أبيه ودُفن أيضاً بـ «ثلا» ، اما ولداه الآخران "سعد الدين" و"علي" فقد عاشا طويلاً كما سيأتي .

أنباء ٩٨٤ هـ (تسعمائة وأربع وثمانين)

وفي سنه ٩٨٤ هـ (تسعمائة وأربع وثمانين) استقر "مراد باشا" في صنعاء وقتل جماعة ممن أثار الفتنة "على "بهرام" مثل "داني سنجق" و"علي كشك" ونحوهما وشرع في بناء قبة «المرادية» ومنارتها بالقصر وقيل فيها :

قبة الباشا مراد لقبت بالعادلية

وبناها أرخوه مستقر الحنفية

٩٨٤

وقيل أنه كان قد أجرى الماء إليها وإلى القصر من عين الباشا التي في أسفل جبل «نقم» وكانت لا تزال آثار السواقي منها إلى القصر ظاهرة في القرن الرابع عشر .

أنباء ٩٨٥ هـ
(تسعمائة وخمس وثمانين)
قتل أمير تعز

فيها قُتِل عامل «تعز» وهو الشيخ "علي" ، كان أميراً كبيراً ، لبث في إمارة تعز كثيراً وعظم شأنه ، حتى أن "مراداً" لم يتمكن من عزله وسبب قتله أن "جعفر أغا" نافسه على إمارته وكان "جعفر" يتولى بعض أعمال لواء «تعز» كيفرس وما إليه ، فعامَلَ على قتل الشيخ "علي" رجلا من أهل حراز كان من جملة عسكره ووعده بمال وكان الشيخ "علي" يركب كثيرا إلى بستان «الشجرة» فخرج على عادته في موكبه إلى «الشجرة» فكمن ذلك العسكري على الطريق فلما رجع رماه فأصابه وهو راكب فأرخى عنان جواده وضربه بالركاب ضربة شديدة لشدة ألم الرمية فمر به الجواد إلى طريق الميدان ثم ألقاه عن ظهره فظن الحاضرون أن سببه التردي عن ظهر الحصان حتى نظروا موضع الرصاصة . وأما الرامي فقصد "جعفر أغا" فاخبره فأنكر عليه وقبضه وسجنه وثارت الفتنة بين العسكر فأظهر أحدهم مرسوما زوره يقضى بأن "الباشا مراد" هو الآمر بقتل

الشيخ "علي" فسكنت الفتنة وقبض "جعفر أغا" جميع ما خلفه الشيخ "علي" وتوجه به إلى الباشا "مراد" وظن أن الباشا وغيره لم يفطنوا لمؤامرته وكان في نفسه إمارة «تعز» فتغافل عنه الباشا حتى تمكن منه ثم قتله ، وهكذا الدنيا تلعب بأهلها .

الوفيات

"أحمد بن عبد الله الوزير"

في ربيع الأول سنة ٩٨٥ هـ (تسعمائة وخمس وثمانين) توفى بصعدة وقبر جوار قبر الإمام الهادي السيد الإمام الحجة العلامة النسابة "أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن الهادي بن إبراهيم بن علي بن المرتضى بن مفضل بن منصور بن الوزير العفيف محمد بن معضل بن الحجاج بن علي بن يحيى بن القاسم بن يحيى بن الناصر أحمد بن الإمام الهادي يحيى بن الحسين" عن ٦٤ سنة من مولده ليلة الأحد ٢١ ذى القعدة سنة ٩٢١ هـ من مشائخه "نسر بن أحمد الطربي" ، وصلاح بن الإمام عز الدين بن الحسن " ، و"محمد بن عبد الله التركي" ، و"شرف الدين بن محمد الحميري " ، و"عبد الله بن الإمام شرف الدين" ، و"عبد الله بن القاسم العلوي" ، و"المطهر بن محمد بن تاج الدين الحمزي" ، و"محمد بن أبى بكر الحرازي" ، و"صالح بن الصديق النمازي" ، و"يحيى بن محمد بن حميد" ، و"إبراهيم بن محمد بن سلامة "، وكان الغرة الشادخة في عصره والثمرة الباذخة في أبناء عصره ، وكان موزعا لأوقاته في الطاعات ومن مؤلفاته «شرح أرجوزه النمازي» في نسب الامام "شرف الدين" وهو مفيد ، ومنها «الأحاديث المستحسنة من المقاصد الحسنة في الأحاديث الدائرة على الألسنة» أخذه من كتاب الحافظ السخاوى وله «تاريخ أجداده» (١) من "الوزير محمد العفيف" إلى زمنه ، وشعره ونثره رائعان

ومن ترجمته بالمستطاب لـ "يحيى بن الحسين بن القاسم" : أنه إمام أهل الطريقة ويعسوب أهل الحقيقة ، جمع بين العلم والعمل ، وفي سنة ٩٨٤ هـ (تسعمائة وأربع وثمانين) سافر للحج والزيارة والمجاورة فتعرض لما منعه عن المجاورة فرجع إلى صعدة ووقف بها للتدريس ولازمه الإمام عبد الله بن الحسن المؤيدي أبو علامة وكان يتمنى أن يقبر بجوار الإمام الهادي فتمت أمنيته . وسأله تلميذه الإمام "عبد الله بن على المؤيدي" عن سبب عدم قيام أحد من آل الوزير بالإمامة العظمى مع كثرة أعلامهم فأجاب : أنهم عرفوا عظمة تحملها فزهدوا عنها .

وفي ترجمته بمطلع البدور رسالته البليغة بعد عودته من الحج إلى شيخه "عبد الله

(١) تحت الطبع . . تحقيق : "زيد بن علي الوزير"

بن الإمام شرف الدين" وجواب عبد الله بن الإمام البليغ عليه وهما طويلان .

تباعد "آل الوزير" عن الإمارة

كتب السيد الإمام "محمد بن إبراهيم الوزير" إلى أخيه الأكبر الإمام "الهادي بن إبراهيم" لما اتصل بالإمام "صلاح الدين محمد بن علي بن محمد" المتوفى سنة ٧٩٣ قصيدة شهيرة منها :

ياسبط إبراهيم لا تنس ما
كان عليه في التحلي أبوك
فإن أباءك لوشاهدوا
بعض الذي تفعله أبوك
مالك لا تسلك نهجا وقد
سن لنا فيه أبوك السلوك
وأهلنا من قبلنا طالما
عاشوا وهم فيه لحرب سلوك
فانهض إلى أوطانهم شاخصا
وارمك بها ما إن أردت الرموك
فوقفة في مسجد ساعة
خيراً لنا من مُلك مَلك الملوك
هذا وإن كنت امرأ عاشقا
للملك لا تجدي لديك الصكوك
وإنما تنفع من قلبه
لا يعتريه في الملوك الشكوك
واعلم بأن العز في الزهد
والفضل وأهل الملك جمعاً هلوك
فابعد عن الملك وأربابه
وإن هُم يوما له أهلوك
ولا تطعهم ياشقيقي ولو
وليتهم في أمرهم أو ولوك
ولا تُضع ياسيدي حُلة
وحلية قد صاغها أولوك
لا تنظرن يوما إلى قائل
وانظر إلى ما قاله ناصحوك
وعاصهم ان كنت ذا همه
لهم وطاوعهم اذا ناصحوك

فأجاب السيد "الهادي" على أخيه "محمد" :

فارق بني الدنيا وإن أكرموك
وارفض بني الملك وإن قربوك

يوما إذا ما أنت أرضيتهم
ملوا وإن أسخطتهم عاتبوك

ومثل خط فوق ماء إذا
عاتبتهم والويل إن عاتبوك

لهم عليك الحق تيها سوى
أعنتهم في الأمر أو أعتبوك

إن قطعوا عنك عطاياهم
أو اقطعوا أملاكهم عذبوك

وإن هم أعلوك في رتبة
فإنما في هوة كبكبوك

ولا يغرنك إن نوبوك
فإنما في ما أرى نيبوك

فابعد عن القوم فلو جئتهم
طفلا وخالطتهم شيبوك

ولا تحمل لهم راية
في الحرب لو أنهم حاربوك

فإنما تحمل في مثلها
أمّ بها المختار غزوة تبوك

فارغب عن الملك وأربابه
وإن هم في شأنه رغبوك

واقنع من الدنيا بمرقوعة
لو أنها مصنوعة من مسوك

وكل حلالاً طيباً واتلم
شكراً وكن للدهر ممن يلوك

وجالس الزهاد وانهض إلى العُبّاد
واقصدهم وإن جانبوك

فإن بعض الفضلا كان في
جزيرة يعبد رب الملوك

وكان لا يأكل في عمره
المحمود إلا من لحوم السموك

وليست الدنيا بمحمودة
هيهات ما فيها لنا من سدوك

والزهد فيها ثوب عز لمن
يلبسه جوّده من يحوك
لكنه عز فتى لا بس
لذلك الثوب الشريف المحوك
وقد أتى يا ولدي منك لي
نظم هو الدر الذي في السلوك
كأنه الشمس ولكنها
طالعة ما إن لها من دلوك
هو اليقين الحق ما خالطت
قلبي فيما قلت فيه الشكوك
ما أوضح النهج الذي قلته
وأوضح المسلك لا فُض فوك
واعلم بأني يا ابن ودي على
النهج الذى نوره سابقوك
وكل حال غير هذا وإن
قيل به لا يرتضيه أخوك
ولست بالراضي لها حجة
أحسن منها رفضها والتروك
تلك التى من وصف أصحابها
حماقة الروم وكِبر التروك

ومع تجنبهم للإمارة فلا يخلو الزمان من علامة مجتهد أو أكثر منهم منذ المائة السادسة إلى عصرنا ، وكذلك مثلهم السادة الكباسية تجنبوا الإمارة مع كثرة الإعلام منهم في كل عصر ، ولما وصل إلى اليمن الوالي الداهية "حسين حلمي باشا" سنة ١٣١٦ هـ ونظر إلى رئيس العلماء السيد "أحمد بن محمد الكبسي" والسيد العلامة "الحسين بن علي غمضان الكبسي" ناظر الأوقاف والسيد العلامة "زيد بن أحمد الكبسي" ناظر الوصايا وما هم عليه من الصور الرصينة الجميلة والهيئة الحسنة والعلم الغزير والوجاهة فسألهم عن سبب عدم قيام واحد من الكباسية بالإمامة فأجابوا بمحبة أسلافهم الخمول .

الإمام " الناصر الحسن بن علي بن داود المؤيدي "

دعوته ٩٨٦ هـ

آسره ٩٩٣ هـ وفاته بالروم ١٠٢٤

هو الإمام الاعظم الناصر للدين "الحسن بن علي بن داود بن الحسن بن الإمام علي بن المؤيد بن جبريل بن المؤيد بن أحمد بن يحيى بن يحيى بن الناصر بن الحسن بن عبد الله بن محمد بن القاسم بن الناصر أحمد بن الإمام الهادي يحيى بن الحسين" ، نشأ بوطنه «صعدة» وبلادها وأخذ عن الفقيه "صلاح بن يحيى قيس" والسيد "الهادي بن أحمد الوشلي" و"ابن علان" وغيرهم وحقق النحو والصرف والمنطق والمعاني والبيان والأصولين والفقه والحديث والتفسير وله رسائل تدل على بلاغته وممن أخذ عنه ولازمه الإمام "القاسم بن محمد" وغيره .

وكان آسره في سنة ٩٩٣ هـ (تسعمائة وثلاث وتسعين) وأما موته فكان في سنة ١٠٢٤ هـ بالروم .

ذكره السيد داود بن الهادي المؤيدي في تتمته للبسامة فقال :

والقائم الناصر الداعي العباد إلى
نهج الرشاد عظيم القدر والحظر
سعَى لنصرة دين الله معتصماً
بعروة الله سعياً غير محتقر
وكان ما كان من أخبار سيرته
فكن لبيباً ولا تسأل عن الخبر

وقال السيد "عبد الله بن علي الوزير" في تتمته للبسامة مشيراً إلى أسر الوزير "حسن" له وإرساله إلى السلطان "مراد" إلى الروم :

ومكنت حسناً ما رام من حَسَنٍ
من بعد حرب شديد الحر مستعر
واستفحل الترك إذ لم يبق في يده
من البلاد سوى الأهنوم أو عذر
فنال منه مراد ما يريد على
يدي سنان ووافى الروم في زمر

وله سيرة خاصة في مجلد جمعها خاصته الفقيه "أحمد بن شايع بن محمد الدعامي اللوزي" وجمع في مجلد أيضاً جوابات الإمام على رسائل وسؤالات .

وكانت دعوته في نصف رمضان سنة ٩٨٦ هـ (تسعمائة وست وثمانين) بأسفل جبل "الأهنوم" وبايعه علماء وفضلاء وقته وانتشر صيته ومجده ونفذت أوامره في اليمن إلا

صنعاء ففيها الترك ووجه القاضي "أحمد بن صالح الدواري الصعدي" والسيد "محمد الأخفش" رسالتين إلى أولاد "المطهر بن شرف الدين" وإلى آل شرف الدين عموما وإلى سائر الجهات فأجاب "علي يحيى بن المطهر" و"محمد بن شمس الدين" بعدم الطاعة وكانت أول حرب بين أصحاب الإمام وأصحاب "علي يحيى" في «جراف خمر» وكانت الدائرة على أصحاب "علي يحيى" ثم تقدم الإمام إلى «سيران الأهنوم» وجهز إلى «السودة وظليمة» ففتحها .

وفيها ظهر رجل في «بلاد آنس» يدعى أنه منصور حمير فتبعه الناس وعظم أمره وطرد عامل الأتراك فمازال الباشا يبذل المال حتى تم له القبض عليه وإيصاله إليه إلى «تعز» فقتله وسلخ جلده .

مخالفة "أحمد بن الحسين المؤيدي" للإمام "الحسن" ثم طاعته له

كانت دعوة الإمام "الحسن "بعد خروجه من «صعدة» مغاضبا للسيد "أحمد بن الحسين المؤيدي" ومنكرا عليه سيرته مع ما بينهما من القرابة ثم تقدم الإمام إلى «جبل ذرى الأهنوم» وفي سنة ٩٨٧ هـ (تسعمائة وسبع وثمانين) نهض السيد" أحمد بن حسين المؤيدي" من «صعدة» إلى مدينة «عيان» في خمسمائة فارس وألفي رجل وكتب إلى "علي يحيى" و"لطف الله "ابني "المطهر" و"محمد بن شمس الدين" في الاجتماع على حرب الإمام فجهز كل واحد منهم عسكره إلى الصّيد فأرسل الإمام جنده فانهزم عسكر "لطف الله" و"محمد بن شمس الدين" وثبتت يد الإمام على بلاد الظاهر وجهز لمحاربة "أحمد بن الحسين" بخيوان وقدم عسكراً إلى «صعدة » ودخل في طاعته السيد "محمد بن أحمد بن الحسين المؤيدي" مخالفاً لأبيه ، ودخل أصحاب الإمام «صعدة »واستولوا على خزائن "أحمد بن الحسين" فكتب إلى الإمام وبَذَل الطاعه للإمام ووصل إليه معتذرا فقرره على بعض جهته .

طاعة أكثر أولاد المطهر للإمام

وفي سنة ٩٨٧ هـ (تسعمائة وسبع وثمانين) وقعت المراسلة بين الإمام و"علي يحيى" حتى انتظم أمرهما وسلم "علي يحيى" إلى الإمام «حصن السودة» وقرره الإمام على بقية حصونه وبلاده ، وكذلك السيد "الحسن بن الإمام شرف الدين" صاحب «حصن كحلان تاج الدين» ، وكذلك السيد "رضي الدين بن الإمام "صاحب «حصن جرع» وقررهم الإمام على ماتحت أيديهم وقنع منهم بالموالاة والطاعة، وأما "لطف

الله بن المطهر" صاحب «حصن ذي مرمر» فكانت الحرب بين أصحابه وأصحاب الإمام وكانت الدائرة على أصحاب "لطف الله" وأسر أميرهم وثلاثون رجلا ، وخلال ذلك وصل "عبد الرحمن بن المطهر" إلى «ثَلا» فأمره أخوه" علي يحيى" بالتوجه إلى الإمام فوصل إليه وبايعه وترك ماتحت يده وجهزه الإمام إلى« بلاد خيوان» ، وجهز الإمام الشيخ "يحيى العذري "إلى «بلاد الشرف» فاستفتحها ووصل إلى الإمام "عبد الله بن المطهر" صاحب «حصن حقل» فبايع الإمام وتعهد وقرره الإمام على ما تحت يده .

وبعد أن تم للإمام تمهيد البلاد الصعدية جهز جنده إلى «بني سليمان» و«ذيبان» من بلاد« أرحب» فقصدهم عسكر الأتراك من صنعاء ووقعت حرب وجهز الإمام جنداً إلى «عيال سريح» فخرج إليهم "سنان باشا" من صنعاء فاستولى عليهم وضرب أعناقهم ووصل السيد "أحمد بن الحسين المؤيدي" إلى الإمام إلى «الروس» من «الأهنوم» فجدد البيعة وأمره الإمام بالتقدم إلى «ثلا» فاعتذر ورجع إلى الشام وكاتب أولاد المطهر وأشراف «الجوف» يحرضهم على حرب الإمام ،وظفر الإمام بكتاب من الأمير "عبد الله بن المطهر" إلى الأتراك بأنه سيأتيهم بالإمام أسيراً فقبض عليه الإمام وسجن "عبد الله" مدة ثم أطلقه وقبض منه حصن «حقل» فكان ذلك عذراً لأولاد المطهر في الخروج على الإمام .

أنباء ٩٨٨ هـ (تسعمائة وثمان وثمانين)

انتقاض الحمزات والمؤيدي

وغيرهما على الإمام

في سنة ٩٨٨ هـ (تسعمائة وثمان وثمانين) انفتحت الحرب على الإمام ورمته الحمزات بقوس واحدة واستولى "أحمد بن الحسين المؤيدي" على «صعدة» وسجن السيد "علي بن عبد الله الغرباني" من أصحاب الإمام ثم قتله وتقدم الإمام إلى «ظليمة» وكانت الحروب في بلاد السودة وبني صريم وغيرهما وسار الإمام إلى «وادي أخرف» و «وادي عصمات» بجهات «السودة» .

إنفصال "الباشا مراد" عن اليمن

ووصول الوزير "حسن باشا "

في سنة ٩٨٨ هـ (تسعمائة وثمان وثمانين) وصل لولاية اليمن الوزير "حسن باشا" وتجهز الباشا "مراد" للسفر إلى الروم وكان أعدل من تولى من الأتراك ولم يفتح حربا

على أشراف اليمن .

وقال إني استحي من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن أحارب ذريته وأزال كثيرا من رسوم الجور التى وضعها من تقدمه ومنها بقاء الجند في بيوت أهل صنعاء غصبا وله ترجمة جميلة في كتاب «خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر» وأن له جامعا بمصر وجامعا بصنعاء وأجرى إليه غيلا من جبل «نقم» وانقطع في أيام "الوزير حسن" وظهر في زمانه سنة ٩٨٦ هـ (تسعمائة وست وثمانين) الإمام "الحسن بن علي" وذكر وفاة الباشا "مراد" سنة ١٠٢٠ هـ .

وفي سنة ٩٨٨ هـ (تسعمائة وثمان وثمانين) وصل سيل عظيم إلى صنعاء وأخرب دوراً كثيرة في «سائلة صنعاء» وشاهدوه من «حصن ثلا» .

الوفيات

" محمد بن علي الضمدي"

قال في الطبقات والجامع الوجيز في سنة ٩٨٨ هـ (تسعمائة وثمان وثمانين) توفى القاضي العلامة "محمد بن على بن عمر الضمدي التهامي " وكان علامة كبيراً قرأ على الإمام "شرف الدين" وشيخ الإسلام "محمد بن يحيى بهران" وهو الذى طلب منه نظم : «الجد في الجد والحرمان في الكسل »

إلخ كما سبق ذكر ذلك .

ورحل إلى مكة واستجاز من الشيخ "أحمد بن على الهيثمي" سنة ٩٦٦ هـ (تسعمائة وست وستين) وله شعر حسن منه قصيدة تزيد على ثمانين بيتاً منها :

إن لم يكن حب آل المصطفى شغلي
فلا بلغت بسعي غاية الأمل

منحتهم صافي الود الذى شهدت
به شواهد أحوالي علىّ ولي

قوم محبتهم فرض وقد جعلت
أجر النبي فقم بالفرض وامتثل

وسادة قوموا ما كان من أود
في الدين بالبيض والهندية الذبل

أثنى عليهم إلهُ العرش مكرمة
في الذكر دعني ودع ما جاء من قبلي

وكان الإمام شرف الدين يعتمده للتصرف في بيت المال لذوي الاستحقاق .

أنباء ٩٨٩ هـ (تسعمائة وتسع وثمانين)

الاضطراب فيما بين الإمام وآل شرف الدين والمؤيدي

في محرم سنة ٩٨٩ هـ (تسعمائة وتسع وثمانين) تسلم "محمد بن شمس الدين" حصن «السودة» من أصحاب الإمام الحسن لما قل عليهم الطعام فخرجوا منه ولحقوا الإمام ورجع "محمد بن شمس الدين" إلى «كوكبان» بعد لبثه سنة في جهة «السودة» وتعقب ذلك الصلح بين الإمام و"علي يحيى "في بلاد «شظب » وأجمع أولاد "المطهر" و"أحمد بن الحسين المؤيدي" على قصد الإمام إلى «جميمة ظليمة» فلم يظفروا بمرادهم وانتهى الحال إلى الصلح على أن يكون للإمام بلاد «ظليمة» وانتقل الإمام إلى «هجرة الروس بالأهنوم» وفتح باب التدريس في العلوم وجمع كثيراً من الكتب النفائس وقرر أحوال أصحابه وبذل الوسع في تأليف القلوب .

وفيها قدم "الباشا حسن" وزيره "الكيخيا سنان" إلى بلاد «ريمة» و«وصاب» فاستفتحهما وقبض على ما بأيدي أهلهما من السلاح وقرر فيهما العمال ورجع صنعاء

وفيها قُتل الأمير "سنان "الذي كان يتولى أعمال صنعاء في أيام "الباشا مراد" بسبب شكايا منه أيام ولايته .

أنباء ٩٩٠ هـ (تسعمائة وتسعين)

فيها تقدم "الكيخيا سنان" إلى «حصن ظفار» وقبض السيد الفاضل "محمد بن علي" من بيت الناصر بعد أن حاصره مدة وأودعه الوزير "حسن "الدار الحمراء بقصر صنعاء حتى مات في شعبان سنة ٩٩٠ هـ (تسعمائة وتسعين)

وفيها هدم سنان سور مدينة عمران .

وفيها حصلت الموالاة من "محمد بن شمس الدين" للأتراك وكان أولاده من جملة أمراء الوزير "حسن باشا" .

وفيها كانت الحرب بين الأتراك و"علي يحيى" انهزم فيها عسكر "علي يحيى" . ثم تقدم "سنان" إلى «حصن مدع» وترك بعض عسكره في «قاع حوشان» وحاصر «مدع» تسعة أشهر حتى هلك أكثر من فيه .

الوفيات

"يحيى حميد" صاحب الفتح

في رجب سنة ٩٩٠ هـ (تسعمائة وتسعين) توفي بصنعاء الفقيه العلامة المحقق "يحيى بن محمد بن الحسن بن حميد بن مسعود بن عبد الله المقرائي الحارثي المذحجي الزيدي" عن ٨٢ سنة.

قرأ على "محمد أحمد مرغم" و"محمد بن يحيى بهران" و"محمد بن أبي بكر

الشافعي" ورحل إلى مكة ولقى "ابن حجر الهيثمي" وسأله بمسائل وكان يسكن السر من أعمال صنعاء وفي ترجمته «بالمستطاب» أنه أحد العلماء الأعلام تعجز عن وصفه الأقلام ، أخذ عن الإمام "شرف الدين" وكان له به الاختصاص الكلي وهو صاحب المؤلفات النافعة منها : «شرح الأثمار» المسمى «بالوابل المغزار» مجلدان ضخمان فيهما من التحقيق والمناقشة بالقواعد مالم يوجد في غيرهما ومنها تعليق عليهما سماه «فتح الأزرار» و«فتح الغفار» و«الشموس والأقمار» و«المصباح الرائض» و«شرحه النور الفائض في علم الفرائض» و«التلخيص» شرح على مقدمة الأزهار و«توضيح المسائل الفعلية والمذاهب الفقهيه في أصول العدلية» و«مشاكل الزيدية» في مجلد و«التنقيح في جُمَل من مسائل أصول الدين» و«نزهة الأقطار في ذكر بعض مؤلفات الزيدية» وبعض طرقهم . وقال صاحب «مطلع البدور» إنه نشأ يتيما في حجر أبى أمه الفقيه عبد الله بن مطهر وهو مؤلف «شرح الفتح» الكتاب المشهور .

أنباء سنة ٩٩١ هـ (تسعمائة وواحد وتسعين)

فيها دخل الأمير "عبد الله بن المطهر" من كوكبان إلى صنعاء ، فجعله الوزير "حسن" من جمله أقرانه ، ولما طالت الحرب علَى "علي يحيى بن المطهر" كتب إلى الأمير "محمد بن شمس الدين" أن يسعى بالصلح بينه وبين الباشا فأصلح بينهما على أن "علي يحيى" يطلق حصن «مدع» وبلاده إلى الباشا ويكون حصن «بكُر» وبلاد «بني الخياط» ونصف بلاد «لاعة» لـ "محمد بن شمس الدين" ولم يذكر "علي يحيى" أخاه "لطف الله" في الصلح فتوجهت عساكر الباشا لمناجزه "لطف الله" في «ذي مرمر» واشتد الحصار عليه ثمانية أشهر حتى ضاق به الحال وهلك أكثر من كان عنده بآلام حتى قيل إن جملة من هلك في حصن «ذي مرمر» ثلاثة آلاف إنسان وقل عليهم الطعام حتى أكل بعضهم السباع والكلاب ولم يبق من العسكر إلا قدر ثلاثين رجلا فسعى "محمد بن شمس الدين" بالصلح على تسليم «ذي مرمر» وخروج "لطف الله" إلى «كوكبان» وخروج الباشا إليه للاجتماع ، ولما اجتمعا عقد الباشا له لواءً وجعله أميراً ودخل الباشا حصن «ذي مرمر» ومعه "محمد بن شمس الدين" و"لطف الله " ثم رجعا إلى «كوكبان» وتقدم "الكيخيا سنان" لمحاربة "أحمد بن الحسين المؤيدي" بصعدة ومع "الكيخيا" أشراف الجوف و"عبد الله بن المطهر" في عسكر كثير حتى وصلوا إلى «بركة مداعس» فالتقاهم "أحمد بن الحسين المؤيدي "وعمه "المهدي بن عز الدين" وأولادهم فوقفوا في سرقة آل عمار وكان "المؤيدي" قد شحنها وحصنها فلم يتهيأ للكيخيا وعساكره المرور من طريقها فتقدم "عبد الله بن المطهر" بطائفة إلى موضع العجلة فتوجه "المؤيدي" ببعض عساكره ووقعت الحرب فقتل "المؤيدي" وابن عمه وثمانون رجلا من أصحابه والتجأ أولاده وعمه "المهدي" إلى «حصن أم ليلى» في جماعة واستعدوا للمحاصرة فيها وكانت مستقرهم ومجتمع أموالهم .

وخرج "محمد بن أحمد بن الحسين المؤيدي" في جماعة من أصحاب أبيه إلى الإمام "الحسن بن علي" وبعضهم سار إلى الأتراك .

أنباء ٩٩٢هـ (تسعمائة وإثنين وتسعين)

فيها استولى "الكيخيا سنان" على جميع بلاد صعدة ثم تقدم لحصار «حصن أم ليلى» أياما حتى خرج من فيها واستولى عليها "سنان" وقبض ما فيها من الأموال .

وفيها قدم "لطف الله بن المطهر" من «بلاد الشرف» إلى صنعاء فأكرمه الوزير "حسن" وعظمه وأرجعه .

وفيها نقض الوزير الصلح بينه وبين "علي يحيى بن المطهر" لغير سبب وكان "علي يحيى" في «الرُغَيل» وأخوه "إبراهيم بن المطهر" وولده أ"حمد بن علي يحيى" في «ثلا» فوجه "الوزير حسن" عساكره إلى بلاد «مسور المنتاب» فكتب "علي يحيى" إلى الإمام «الحسن» يستمد منه الإعانة وجعل للإمام «جبل مسور» فأرسل الإمام "الحسن" السيد "أمير الدين بن عبد الله" في جماعة من أهل«مسور » فمال عسكر الباشا إلى المخادعة وأرسلوا السيد "محمد بن الهادي بن المطهر" وبذلوا له مالا جزيلا فأخرج السيد "أمير الدين" وأصحابه إلى «شرس» منهزمين ودخل أصحاب الباشا إلى «مسور»

وفي هذه الأيام اشتد الحصار على «ثلا» وواجه أهل «حضور» الشيخ للأتراك ونهض "الكيخيا سنان" من «صعدة» إلى «الأهنوم» لمحاربة الإمام فارتفع الإمام من «قرية الهجر» إلى «القدوم بالأهنوم» وواجه أهل بلاد «عذر» للـ "كيخيا سنان" .

الوفيات

قتل "عبد الرحمن بن مطهر"

في رجب سنة ٩٩٢ هـ (تسعمائة وإثنين وتسعين) قُتِل غيلةً في «الحوضين» من بلاد «حجة» الأمير "عبد الرحمن بن المطهر" وقيل إن القاتل له ابنه "عبد الرحيم" ثم ظهر أن القاتل أحد عبيده فقتله ، وبعد مدة جعل الباشا لـ"عبد الرحيم" ولاية «حجة» فاستمر فيها حتى أسره "جعفر باشا" وأرسله إلى السلطنة فقتل بها كما سيأتي في الجزء الذى بعد هذا .

"محمد بن شمس الدين "

في السادس من رمضان سنة ٩٩٢ هـ (تسعمائة وإثنين وتسعين) مات في «كوكبان» الأمير "محمد بن شمس الدين بن الإمام شرف الدين" وكان مرضه الاستسقاء وطال مرضه .

وقال صاحب المواهب السنية : إنه بهجة الأولين وزينة الآخرين ومن مآثره «عارضة كوكبان» ذات الروح والريحان والزهور المتنوعة الأفنان وعمر بها مسجدا وبركة وهي مطلة على مدينة

«شبام» .

ثم لما صارت هذه العارضة بعد انقراض أهلها إلى يد السيد "يحيى بن محمد بن عبد الرحمن بن أحمد" بناها وأشادها . وبعد وفاة "محمد بن شمس" قام بالإمارة بعده ابنه" أحمد بن محمد" .

أنباء ٩٩٣هـ

(تسعمائة وثلاث وتسعين)

في محرم غزا "الكيخيا سنان" إلى محل الإمام "الحسن" بالأهنوم فرده بعض أصحاب الإمام إلى بلاد «عذر» .

وفيها مال إلى موالاة الإمام "الأمير غوث الدين بن المطهر" صاحب «حصن عفار» لوحشة حصلت بينه وبين الأتراك فوجه" الباشا حسن" الأمراء والأجناد وسار "الكيخيا سنان" لتشديد الحصار على «عفار » قبض الأتراك على الأمير "محمد بن الهادي بن المطهر" من حصن «مسور المنتاب» وأرسلوه تحت الحفظ إلى صنعاء فسجنه "الوزير حسن" بالدار الحمراء ووصل "علي يحيى" فأكرمه الوزير وسار إلى «ثلا» فاستقبله الأمير "إبراهيم بن المطهر" والأمير "أحمد بن على يحيى" ورجع "سنان" إلى «الأهنوم» يتعقب الإمام ويخذل الناس عنه واستولى على بلاد «ظليمة» وانتقلت محطته إلى «سيران ». وأرسل القاضي" شرف الدين بن إدريس العيزري" أخاه" صلاح" لاستقبال الأتراك فأكرموه وأرسلوا معه بكسوة لأخيه "شرف الدين" وتبعه الناس في استقبال الأتراك وتقدمت محطتهم إلى «نجد بني حمزة» فلبثوا ثلاثة أيام لتقرير قواعد الصلح بينهم وبين أهل « شهارة » على يد القاضي "شرف الدين " ثم تقدم "سنان" وتقدم "علي باشا" بطائفة من الأتراك إلى الهجرة وتقدم "الأمير بن المطهر" إلى شرقي القدوم وأحاطوا بالقُدم ، إحاطة السوار بالمعصم ، وبلغت جنودهم نحو ثلاثين ألفا .

وكانت الحرب بينهم وبين أصحاب الإمام وضاق الحال بالإمام فدار الكلام بينه وبين "سنان" على خروج الإمام ومن معه بأمان ، وأن يكون سكونه بصنعاء فأمر الإمام السيد "إبراهيم بن المهدي" بالخروج إلى "سنان" لأخذ العهد منه وبعده خرج الإمام إلى يد "سنان" في رمضان سنة ٩٩٣ هـ (تسعمائة وثلاث وتسعين) فسار به سنان إلى حصن عفار وأمره أن يكتب إلى غوث الدين بتسليم حصن عفار فاعتذر الإمام فلم يقبل سنان عذره فكتب الإمام بعد البسملة: أردنا وأراد الله ويأبى الله إلا ما يريد وطوى الكتاب وبعد وصول الإمام مع سنان إلى صنعاء أودعه السجن ومعه القاضي "محمد بن يحيى سلامة" والشيخ "وهان بن صلاح بن وهان العذري" ونقض "سنان" العهود .

أنباء ٩٩٤ هـ (تسعمائة وأربع وتسعين)

أسر "آل المطهر" واحتلال بلادهم

في سنة ٩٩٤ هـ (تسعمائة وأربع وتسعين) اعتزم الأتراك مطاردة آل المطهر والقضاء على إماراتهم واحتلال بلادهم ونفيهم مع الإمام "الحسن بن علي" إلى دار السلطنة تحت الحفظ وتوحيد اليمن تحت راية الدولة التركية وكان أعظم ما أعان الأتراك على ذلك اختلاف أمراء وسادات اليمن وقد نقض "الوزير سنان" وكيخياه "سنان" الصلح مع الأمير "علي يحيى بن المطهر" بدون سبب فوجه الأتراك الأجناد إلى« مسور» لاحتلاله وفيه الأمير "محمد بن الهادي بن المطهر" من لدن عمه "علي يحيى" فاستولوا عليه وطلب الوزير وصول الأمير "لطف الله" من بلاد الشرف فوصل ومعه أخوه "حفظ الله بن المطهر" ووصل "علي يحيى" لزيارة "الوزير الباشا"فاستبقى ثلاثتهم وطلب الأمير "غوث الدين بن المطهر" تأمينه على أن يصل ويكون من جملة إخوانه وينقل أهله وأولاده إلى بلاد الشرف فأسرع الباشا إلى إجابته وعند خروجه من حصن «عفار» في خزائنه الواسعة قبض عليه الأتراك وعلى جميع خزائنه وبعثوه معها إلى الباشا .

وفي ربيع الأول سنة ٩٩٤ هـ (تسعمائة وأربع وتسعين) أظهر الوزير "حسن" أنه يريد المسير إلى «صعدة» وخرج من صنعاء بعساكره وسناجقه وصحبته أولاد المطهر "لطف الله" ، و"علي يحيى " ، و"حفظ الله" ، و"إبراهيم" ، و"عبد الله" وغيرهم من الرؤساء ، ولما وصل إلى مطرح الرقة أول مطرح من صنعاء شمالا طلب "سنان" إلى خيمته كافة الأمراء والأشراف والمشايخ وأظهر عليهم الأوامر السلطانية بالقبض على أولاد المطهر "لطف الله "و"علي يحيى" و"حفظ الله" ، وإرسالهم إلى السلطنة وأرسل الثلاثة إلى سجن قصر صنعاء .

وتعقب ذلك وصول "غوث الدين" فسجنوه مع أخوته وتوجه "سنان" لقبض حصون "لطف الله" وأخرب «حصن حرام بالشرف» ، وكان من أمنع الحصون وفيه ما يزيد على مئة بركة للماء .

وفي جمادى الأولى رجع "سنان" من بلاد الشرف ومعه أولاد" لطف الله بن المطرز" .

المسير بالإمام وأولاد المطهر إلى السلطنة

في شوال سنة ٩٩٤ هـ (تسعمائة وأربع وتسعين) توجه "الكيخيا سنان" من صنعاء بالإمام "الحسن" وأولاد المطهر الأربعة "لطف الله" ، و"علي يحيى" ، و"غوث الدين" ، و"حفظ الله" ، والأمير "محمد بن الهادي بن المطهر" والشيخ

" وهان العذرى الحاشدي" إلى «بندر المخا» ، وكان الإمام "القاسم بن محمد" ملازما للإمام "الحسن" للدراسة وأراد الركوب معه في السفينة إلى السلطنة فمنعه "سنان" وقال (رُوح يا قاسم) لأمر يريده الله وأقلع المركب بهم وقلوبهم مريضة حزينة ودموعهم جارية وأكبادهم تتقطع من الأسف على أهلهم وأولادهم وبلادهم والحيلولة بينهم وبين آمالهم وإبعادهم عن مرابع مجدهم وفخارهم :

يتلفتون مودعين بلادهم والدلحظ ماء والديارضرام

وكان آخر العهد بهم .

وكان أولهم موتاً الأمير "محمد بن الهادي بن المطهر "حيث مات في مصر في الطريق ، ثم مات بالقسطنطينية "غوث الدين" في صفر سنة ٩٩٦ هـ (تسعمائة وست وتسعين) عن ٥٣ سنة ثم مات محبوساً بذي قُلة في رجب سنة ٩٩٩ هـ (تسعمائة وتسع وتسعين) "حفظ الله" ومات بذي قلة أيضا "لطف الله" سنة ١٠١٠هـ (الف وعشرة) ومات "علي يحيى" بذي قُلة أيضاً سنة ١٠١٧هـ (الف وسبعة عشرة) ومات الإمام "الحسن بن علي" بذي قلة أيضاً في شوال سنة ١٠٢٤ هـ (الف وأربعة وعشرين) وقد ظهر وقوى تلميذه الإمام "القاسم" وأنزل بالأتراك في عموم اليمن هزائم فادحة .

قال الشهيد "أحمد بن أحمد المطاوع في نبذته التاريخية عن صاحب «روح الروح» : وقد كان للسلطان مندوحة عن حبسهم في بلاد قاصية بعد نفيهم وإرهاقهم وانتزاع أموالهم ثم علق السيد الشهيد المطاع بقوله : (ولما لاقوه من سلطان آل عثمان فلا عذر لنا إذا لم نسجل ذلك له في صفحة السيئات وسجل الهنات ونمقت هذه القسوة التي دمرت الشرق وقضت على مجد الإسلام وزايلت تعاليم الدين ورشده وقد قدموا جميعاً إلى الله الملك الحق العدل المبين ليحكم بينهم على مثقال الذرة في الحياة الخالدة) .

وقد نقد صاحب «روح الروح» "عيسى بن لطف الله بن المطهر" الموالي للأتراك والمؤرخ لهم وفند رأي الوزير"حسن" ومن حسّن رأيه واستدل على خطئه بما حدث من دعوة الإمام القاسم ونهوضه في المقاطعات التى كانت تحت أيدي آل المطهر المنفيين ولم يقم في وجه الإمام "القاسم" أحد منهم ولو كانوا في بلادهم لما نجحت دعوة الإمام "القاسم" ذلك النجاح الباهر بعد أن اشتد ظلم الأتراك باليمن وجُرّد اليمن من جميع السلاح حتى السلاح الأبيض ولم يبقوا في كل قرية إلا سكاكين للذبائح وأول سلاح للإمام "القاسم" وأصحابه سبع عشرة بندقية سلبوها من الأتراك في أول هجوم عليهم .

وقلت في «تحفة المسترشدين» في ذكر الإمام "الحسن بن علي بن داود" :

ثم الإمـــام الناصـــر الــبـــر الحـــسن
حــفـــيـد داود وذو الــفـــعـل الحـــسن
دعــــوته فـــي رمـــضـــان بالــهَـــجَـــر
في عـــــام ظفظ فــتـلى كـل الغـــيـــر
٩٨٤
ومـــهــــد الشــــام ومـــــا والاها
وقـــد عـــــلا من الـعُلَـى أعـــــلاها
وأَسْـــرهُ في شــــهــــر رمـــضـــان
مـــــــؤَمَّـنـاً عــلـى يــدى ســنـان
في ثــالث التـــســعـــين بعــد التـسع
من جـــبل الأهنـوم يا مـــســـتــــوعِي
وســـــجنـوه في أزال عــــــامـــا
ومـــا رعـــوا عـــهـــداً ولا ذمـــامـــاً
ثـم نفــــــوه نــحـــو أرض الـروم
ويـالــه مــن قـــــائـمٍ مـظـلـوم
وقـــد رووا وفـــــاته في كَـــــغـــد
١٠٢٤
في رومـــــهـم وراء بحـــر مـــزيـد

ثم بعد إقلاع المركب بهم من «المخا» في طريقهم إلى السلطنة رجع "سنان" إلى بلاد «الحجرية» فاستفتحها ودوّخها وقبض سلاح أهلها . وجهّز الوزير "حسن" الأمير "عليًّا الجزائري" إلى بلاد «ريمة» فاستفتح حصونها وقرر أمورها .

قيام الإمام "عبد الله المؤيدي" (أبو علامة)

مولده ٩٣٥ هـ دعوته ٩٩٤ هـ

وفاته ١٠١٧ هـ

هو الإمام المتوكل "عبد الله بن علي بن الحسن بن الإمام عز الدين بن الحسن بن الإمام علي بن المؤيد بن جبريل بن المؤيد بن أحمد بن يحيى بن يحيى" المعروف بأبي علامة ، مولده كان في رمضان سنة ٩٣٥ هـ (تسعمائة وخمس وثلاثين) وأخذ العلم بصعدة وبلادها، ثم بعد استيلاء الأتراك على صعدة هاجر بأهله إلى الإمام "الحسن بن علي" إلى الأهنوم ، ثم بعد أسر الإمام رجع إلى وطنه ، ثم إلى «صبيا» ثم جهات عسير ثم عاد ودعا بجهات «صعدة» بعد نفي الإمام "الحسن" إلى السلطنة

في ربيع الأول سنة ٩٩٤ هـ (تسعمائة وأربع وتسعين) ولم يقع لدعوته أثر ولما كانت دعوة الإمام "القاسم" سنة ١٠٠٦ هـ (الف وستة) وفتحه «شهارة» واستقراره بها قصده إلى «شهارة» متبعاً له فأكرمه الإمام "القاسم" وجعل له ولاية على بلد «خولان» صعدة وبعد مدة حصل إختلاف بين ولده السيد "محمد بن عبد الله "وبين بعض أصحاب الإمام "القاسم " ، فمال السيد "عبد الله بن علي" وابنه "محمد" إلى موالاة الأتراك ولبث السيد "عبد الله" في «يسنم» وعاد إلى «محلة العشة» وندم على مخالفته للإمام القاسم ومات في ذي الحجة سنة ١٠١٧ هـ (الف وسبعة عشر) ، وقد جعله ولده "محمد" في كتابه «التحفة العنبرية في المجددين من أبناء خير البرية» المُجدِّدَ للمئة العاشرة وأطال الثناءَ عليه وابنه السيد "محمد بن عبد الله" هو صاحب «المشجر في الأنساب المشهورة» وكتابه «التحفة العنبرية» في مجلد ضخم شرح لقصيدة له أولها :

يا طالبا للنجا في القول والعمل
وللسلامة من زيغ ومن زلل
ألزم طريقة أهل البيت متبعاً
بني البتول وخير الأوصياء علي

وهي طويلة ، بدأ بالإمام "زيد بن علي" وختم بوالده وبالإمام "القاسم" وتوجد لدينا النسخة الوحيدة من الكتاب التى نسخت سنة ١٠٦٨ هـ (الف وثمانية وستين) بخط "ناصر بن محمد سريع" . وقال السيد عبد الله الوزير في تتمته للبسامة :

ولم تشيع علامات الفضائل في
أبي علامة ذي الأوراد في السحر

وقلت في تحفة المسترشدين :

وقام في ذهبان بالشآم
في ظفد والخلق كالنيام
٩٨٤
أعني المكنّى بأبي علامة
وكان أهلا قيل للإمامة
ثم تنحّى للإمام القاسم
وكان ما كان من الملاحم
وموته في غيهب بفللة
١٠١٧
قال ابنه وكان فخر الكملة

أنباء ٩٩٥ هـ (تسعمائة وخمس وتسعين)

إستفتاح الأتراك لشهارة

في سنة ٩٩٥ هـ (تسعمائة وأربع وتسعين) استفتح الأتراك «شهارة» بالسيف وقتلوا من أهلها عدة وتردى بعضهم من الشواهق ، أخذوا أولا «شهارة الأمير» ثم «شهارة الفيش» وهما من المعاقل اليمنية الشهيرة بمناعتها وقال صاحب أنباء الزمن كان استفتاح الأتراك لشهارة في سنة ٩٩٥ هـ (تسعمائة وخمس وتسعين) على يد "السيد عبد الله الغرباني" ونالت أهلها معرة شديدة وعمَّر الأتراك فيها «الناصرة» و«سعدان» وأصلحوا طريقها وقبضوا على مشائخ «الأهنوم» وأرسلوهم تحت الحفظ إلى صنعاء وتوطد نفوذ الأتراك في اليمن

أنباء ٩٩٦ هـ (تسعمائة وست وتسعين)

وفي سنة ٩٩٦ هـ (تسعمائة وست وتسعين) توجه "الكيخيا سنان" بالأمراء والكبراء العرب والأتراك إلى بلاد «يافع» ووصل من جهة السلطان "مراد بن سليم مصطفى أغا" بتشريفات ومراسم ، وبخبر وصول الإمام "الحسن بن علي" وأولاد المطهر إلى السلطنة

كتاب "لطف الله بن المطهر" إلى أهله

وصل في رمضان سنة ٩٩٦ هـ (تسعمائة وست وتسعين) كتاب طويل من الأمير "لطف الله بن المطهر" من الأستانة إلى أهله ، فيه الشوق والحنين إلى الأهل والأوطان وذكر أحوالهم بالسلطنة ، منه :

(أسأل الله العظيم ، رب العرش الكريم ، أن يمن علي بحفظ سيدتي ومالكة أزمة قيادي "ست اليمن بنت الصديق" حفظها الله وأهدي إليها سلاما ألذ من استرواح نسيم الصبًا ، وأشهى من مغازلة الغزلان ذوات الصبوة والصبًا ، والله المسئول بحق لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يفرج علينا وعليكم كل غمة وأن يجعل لنا ولكم سرعة الاجتماع ويهيىء لنا جميعاً من فضله وكرمه ما نرجوه من حسن التلاق وقطع دابر الفراق ، إنه ولي كل فضل ونعمة .

ثم لا يخفاكم شغفي بكم وولهي بحبكم فقد نحل جسمي ورق جلدي وعظمي ، فيا لله ويا للرسول من ألم البعاد ولا أرجو من الله غير الاجتماع والتملي بقربكم وغير

المغفرة وحسن الخاتمة إن شاء الله تعالى فذلك الغرض المطلوب والحاجة التى في نفس يعقوب.

الا هل أتاها أنني الليل هائم
تَصاعُد أنفاسي كحر السمائم
وأن شعاري ذكرها وحديثها
وذاك لقلبي كالرقي والتمائم
وما كل صب يهجر النوم طرفة
ولا كل صب قلبه قلب هائم
ولا كل مشتاق يهيم ووجده
إلى ألفه ذكرى الهوى المتقادم
لأن نمتُ عن وجدي خليا فإنني
وعيشك من فرط الهوى غير نائم

والرجاء من خالقي ألا يخيب رجائي فيه ، وأسأله جل وعز أن يعاملني بما هو أهله ولا يعاملني بما أنا أهله ،ولا يؤاخذني بما فرطت من الذنوب ، وما تدنست به من درن العيوب ومساوىء العيوب ، إنه هو أهل التقوى وأهل المغفرة ، والله العالم لو تشاهدون حالي وتجدد الشغف لي في كل وقت وأوان وبكل ساعة ومكان لا لذّ لكم الطعام ولا ساغ لكم الشراب ، ولكن حسن ظني بخالقي يكفيني

عَسَى فرج يأتي به الله أنه
له كل يوم في خليقته أمر

يفرج عنى ما قد ضاق به صدرى وعيل معه صبري وقلّت حيلتي وضعفت قوتي وأسأل من هو كاشف كل ضر وبلية ، وعالم كل سر وخفية ، أرحم الراحمين أن يفرج عني ما أنا فيه ، وأن يمن بلمّ شملي "بست اليمن بنت الصديق" حفظها الله ، وحرسها بعينة التي لا تنام وكنفه الذي لا يرام هي ومن تحوطه شفقتها ، أمين اللهم أمين .

ولايخفى عليكم أنها قد تقدمت إليكم كتب من «بندر السويس» قريب مصر بعد وصولنا إليه وأرسلناها إليكم بصحبة شريف من بيت الفقيه يسمى "الشريف عبد القادر" نرجو من الله وقوفكم عليها .

ولما وصلنا إلى حضرة السلطان الأعظم والخاقان المكرم أصلح الله له وبه أحوال

المسلمين رجح بقاءنا في الحبس وجعل لنا من الكفاية قدر خمسة ذهب في الشهر، وكان وصولنا وكل شيء أقرب إلى الرخص ، ولما ضعف الدرهم وبالغ الناس في ضعفه وقصّه ارتفعت الأشياء فلاحول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم ، ولما توفي الصنو "غوث الدين" رحمه الله رحمة الأبرار ووقاه عذاب النار سعى بعض أهل الخير ممن هو مغترب من أهل اليمن إلى "الوزير" في تقرير الموضوع للصنو "غوث الدين" للباقين في الحبس لكل نفر حرف حتى يصير كل شهر لكل نفس ستة حروف ونحن في خير من فضل الله سبحانه وتعالى فوق مانستحقه له الحمد والمن في كل حال ، مالنا مكدرّ إلا فراقكم .

ثم لما وصلنا إلَى الحضرة المباركة عالجنا فيمن يحمل لنا كتاباً إليكم فيه تحقيق وصولنا فلم يتأت ذلك إلى شهر شعبان ووجدنا واحداً من أهل اليمن من «ذي سفال» وصل مع الخزانة التى وصلت من صاحب السعادة ووعَدَنا بحمل الكتب إليكم وشرطنا له فضلكم إن أوصل الكُتُبَ إليكم جميعاً . والكُتُبُ واحدُ إليكم وهو الغرض المقصود وإلى الوالدة حفظها الله واحد . وإلى الولد" إسماعيل" مستقل وإلى الولد "الهادي" كذلك وإلى الأولاد جميعهم كتاب ، وإلى بيت الشيخ "سراج" كتاب وإلى بيت "الرماني" كتاب ، والى "نصرة " كتاب ، فإن وصلت هذه الكتُب جميعها إن شاء الله وفيتم له بما شرطنا له وإن أخر منها شيئاً فماله شيء والذي حققنا لكم في الكتب المباركة هو كيفية وصولنا إلى حضرة السلطان الأعظم وترجيحه وقوفنا في الحبس خلَّصَنا الله تعالى منه إن شاء الله وحققنا لكم وفاة "محمد بن الهادي" في مصر و"علي مولَّد" رحمهما الله، والصنو "غوث الدين" توفي رحمه الله في «استانبول» بعد وصولنا بسنة حسبما عرفناكم وكان ألمه من قبل البطن من الحرارة المعتادة معه ثم ضعف في معدته ومن الأسباب عدم تأتي من يقوم بحاله في أمر القوت على ما يجب . ولا شك أن الخير فيما اختاره الله سبحانه وتعالى ونحن سائر الأخوة طيبون الحال ، ناعمون البال ، منتظرون الفرج من الله وهو قريب إن شاء الله تعالى :

توقّع صنع ربك سوف يأتي
بما تهواه من فرجٍ قريبِ
ولا تيأس إذا ما ناب خطب
فكم في الغيب من فرج قريب
ربما تكره النفوس من الأمر
له فرجة كحل العقال

وأيضاً عرفناكم أن "أحمد سليم" و"مبارك" عبد الصنو "علي" هربوا بعد وصولنا بمدة و"يسرعبد الصنو غوث الدين" هرب من مصر ، ووصل إلينا الفقيه "محمد

الثلاثي" ووقف هنا مدة عاملنا فيها من الأذية والخيانة بما يكافيه الله سبحانه ثم حمل من أداتنا ما حمل ودراهم وعزم إلى غير سلامة الله ، لا قابله الله بخير ، وفي هذه الأيام التقينا بفقيه من «رداع» يسمى الفقيه "أحمد بن أبي حميش" أصله حضرمي ، صار منافعاً لنا وهو الذى سعى في مصير دراهم حي "الصنو غوث الدين" للجماعة جزاه الله خيراً والله يثبته إن شاء الله ويوفقنا جميعاً إلى مايرضيه .

فقد عرفتم أن من صار مثلنا أن الناس يرغبون عنه ولايحبونه ووجود أهل الخير في أهل هذا الزمان كما علمتم ، فأطلب من الله ومنكم شرح أحوالكم الخاصة والعامة وأحوال الأولاد بسلامتكم جميعاً وهل هم محتكمون لكم وبارون بكم ومستمرون على الطاعة والقراءة أو قد صارت أحوالهم أحوال أهل الزمان والعياذ بالله تعالى .

وحققوا لي هل أنتم باقون في صنعاء أو في غيرها ومن قد تزوج من الأولاد والبنات أطلع الله منكم كل سار ، ورفع عن الجميع كل مكروه وضار ، بحق محمد المختار ، وآله الطيبين الأبرار .

ثم إني عرفتكم في الكتاب السابق أنكم ترسلون لي بقميص من قمصانكم أشمه ولعله إن شاء الله تعالى قميص "يوسف" المبشر بالفرج إن شاء الله تعالى واجعلوا فيه مصراً فيه طيب من طيبكم فبالله العظيم أن الريحان المطيب الذى أرسلتم به مع الولد "إسماعيل" حفظه الله إلى القصر حين العزم باق عندي على رباطكم لم يفتح ما يفتحه إلا أنتم إن شاء الله تعالى وأتوسل إلى الله بنبيه محمد صلى الله عليه وآله وسلم بحسن الاجتماع ، والأولاد عرفتهم في الكتاب الذي أرسلته صحبة الولد صاحب «ذي السفال» أن يرسلوا لي بكسوة إن سهل عليهم ذلك وتمكنوا وإلاّ فهم معذورون مشكورون وقليل عود رطب لأنه معدوم غالي ولا يوجد المليح أصلاً ونحن متعجبون من الأولاد لنا هذه المدة ما يرسلون إلينا رسولاً يطّلع على أحوالنا ويوصل إليهم خبرنا ويشارف علينا وهذا يدل على عدم همتهم وعدم رجالتهم فعندنا محابيس من سلاطين تونس من المغرب كانوا مع النصارى وقُبضوا وحُبسوا وصار يصل إليهم كتب من أهلهم ورسالات وغير ذلك والمسافة بين بلادهم واستانبول مثل المسافة بين اليمن واستانبول أو أبعد لأن منهم من هو في بلاد النصارى ولكن يقال في أمثال العامة (من غاب عن الناظر غاب عن الخاطر) فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم فإذا أرسلوا بشيء فلا يرسلون به إلاّ صحبة ثقة مع الذين يصلون بالخزنة من قبل صاحب السعادة أو مع "الأغا حسن" الذى عزم صحبتنا ، لأنه رجل ثقة أمين إذا عرفتم أنه يعزم إلى حضرة السلطان وإلاّ أرسلتم بذلك إلى مكة إلى عند السيد "الولي" حفظه الله يرسل به مع أصحاب الشريف الذين صاروا يختلفون إلى حضرة السلطان الاعظم بهدية كل سنة

وبالورق أيضاً وهو يعتني بها فبالله العظيم ما مـراد محبكم إلا الاشتمام والاسترواح بما يأتي من لديكم ولعل ذلك إن شاء الله يطفيء لوعتي ويسكن وهج نار غربتي .

وأيضاً حققوا لي أحوال الوالدة حفظهـا الله والأولاد والأهل الذين في «محروس كوكبان» وحال أبيكم وأخـوتكم وجميـع من يتعلق بي وبكم تحقـيقا شـافياً ، وأنا أسـألكم بالله وبالقرآن العظيم لاوصل إلي كتابكم الجواب إلا بخط يدكم حتى أشتفي به فقد ربما علمتم أن الكتب التى كنتم ترسلون بها إلى القصر كانت مع "علي مولّد" ثم إن "الكيخيا" أرسل من يفتـشه توهّمـا منه في الطريق وقبض الكتب منه ولم يرجـعها إلـي وما بقى عندي إلاّ كتاب من الولد "إسماعيل" ألحقتم فيه بخطكم صرت أتملىّ به ، ثم إن حي "على مولّد" رحمه الله تعالى سلّمَ إلي عشرة ذهب ذكـر أنكم أرسلتم بها لي وقد كنت عرفتكم أنكم لا تتعبون من جهتي أبداً وأنّ صاحب السـعادة قد أعطانا دراهم وقت العزم ، وذلك محبة مني لا أشق عليكم بحيث إني راجعت صاحب السـعادة بأني أرسل إليكم بالدراهم الذى تفضل بها وذكر أن ذلك لا يمكن وأنه تعين لكم وللأولاد مواساة ووصل إلينا منه كتاب ونحن في الطريق أنه قد عيّن للأولاد جامكيـة ومواساة فتفضلوا حققوا لى ذلـك لأنى مشغول الخاطر من جهتكم وجهة الأولاد ومن اشتغالكم بهم وبالمكلف (١) التى تحت أيديكم أعانكم الله على ذلك وعلى طاعة الله تعالى ورضاه ، وبنت الشيخ "سـراج" حققوا لىِ هل هي باقية في بلادكم أو قد تزوجت إلى أي مكان لأنه بلغني أن الفـقيه "وجيه الدين" محبـته يتأهل بها أو "ابن حميد" ولم أعرف صحة ذلك . وبنت "الـرماني" كذلك وهى متحفة بالسلام وكذلك الوالدة "مريم" و"عيشة" وجمـيع من لديكم مُتحف بالسلام وجميع أهلكم وأهل البيت وكل من سأل عنا والدعاء مستمد من الجميع إن شاء الله تعالى ودمْتم في حفظ الله وحسن رعايته وحمايته وكلايته ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم يا حافظا لا ينسى . ويا من نعمته لا تُحصى ويا من له الأسماء الحسنى ، احفظ هذا الكتاب واحفظ المشار إليه في هذا الكتاب المبـارك ومن تحوطه شفقتها وشـفقتي بما حفظت به الذكر الـمبين فإنك قلت في كتابك المبين ﴿ **إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون** ﴾ ﴿ **الله خير حافظاً وهو أرحم الراحمين** ﴾

ولا حول ولا قوة إلا بالله العليِ العظيم :

ثلاث عـــصي صـــفــفتَ بـعــد خــاتم
على رأســهـــا مـــثل السنان المـــقــوَّم
ومـــــيم طـمــــــيس ابتـــــر ثم سلّم
إلـى كل مــــــامــــــول ولـيس بـسلّـم

(١) المكلف : المرأه

وأربعة مثل الأنامل صُففت
تشير إلى الخيرات من غير معصم
وهاء شقيق ثم واو منكّس
كأنبوب حجام وليس بمحجم
فيا حامل الاسم الذى جل ذكره
توق به كل المكاره تسلم
فذلك اسم الله جل جلاله
إلى كل مخلوق فصيح وأعجم

شعرا

غريب قلبه الظامي جريح
كئيب جفنه الدامي قريح
يذوب قطيعةً ويموت وجدا
ويحيى بالوصال ويستريح
يهيم جَوىً ويهتم اشتياقاً
وناظره إلى يمن طموح
يئن أنين ثكلى ذات شجوٍ
لها من نارها دمع سفوح
أسير مطلق الأجفان ناء
عن الأوطانِ منتزح سفوح
أجَدّ في النواحي من نواحي
وكل مفارقٍ غصناً ينوح
يراعي طرفه الساعي سهيلا (١)
أيغدو فيِ الدجنة أو يروح
إذا طلع النهار عليه يبكي
وفي الديجور مكتئب طريح
يميل إلى الرياض وكل زهر
ويطرب ذاته دل مليح
ونغمة غادة تشكو لوحد
لها لحنٌ وإعراب فصيح
وقَدٌ بذَّ قدَّ الغصنِ لينا
وخدٌ زانه بدرٌ صبيح

(١) سهيل : نجم يماني

وخصر ناحل غورُ رقيق
وردف شامخ عالٍ رجيح
لها عين تغار العين منها
وميم فمٍ لها فينا جروح
اذا ابتسمت تخال وميض برقٍ
سرى في الأفق أونور يلوح
تَزُقك كالحمامة شهْدَ فيها
كأن بريقها مسك يفوح
فدونكها رعاك الله مني
فإن نظامها السامي فتوح
وقانا الله ربي كل سوء
وساعَدَ سَعدَنا الحظ الصريحُ

والولد "محمد الجيني" والفقيه "صلاح الدين صلاح بن علي" وجميع من يخصنا متحف بالسلام .

كَتَبه نهارَ الجمعة التاسع
من شهر رمضان الكريم سنه ٩٩٦ هـ (تسعمائة وست وتسعين)
الفقيرُ إلى الله "لطفُ الله بن المطهر" لطف الله به آمين اللهم آمين

قال في الأم هذا لفظ «الكتاب» من "لطف الله بن المطهر بن الإمام شرف الدين" كتبه من الروم إلى زوجته بصنعاء .

وقال ابن صاحب «الكتاب» السيد "عيسى بن لطف الله بن المطهر" في كتابه «روح الروح» بعد أن ذكر صفة القبض على والده سنة ٩٩٤ هـ (تسعمائة وأربع وتسعين) ثم ذكر وفاة والده أسيراً «بذي قُلَة» من البلاد الرومية في صفر سنة ١٠١٠ هـ (الف وعشرة) وخلّف ولداً على جارية رومية حال رقم هذه الأحرف سنة ١٠٢٩ هـ (الف وتسعة وعشرين) وهو حي يُرزق واسمه "محمد" لاطفه الله بألطافة الخفية .

وقال الفقيه العارف التقي" محمد بن أحمد العفاري الصنعاني" إنه اجتمع بسيد في مدينة بيت الفقيه بتهامة سنة ١٢٧٤ هـ(مأتين وأربع وسبعين والف) وذكر هذا السيد أنه من ذرية "لطف الله بن المطهر" وأنهم قد صاروا عدداً كثيراً وتناسلوا هنالك وتملكوا بلاداً في أحد بلاد سلطان الروم العثماني .

ومن زوجات الأمير "لطف الله بن المطهر" الفاضلات الشريفة الكاملة "أم الغيث بنت علي بن محمد" عمة الامام "القاسم بن محمد بن علي" تزوجها وسكنت معه في حصن «ذي مرمر» حتى فارقها بعد أن أسرته الأتراك فتزوجها بعده السيد المحقق

"إبراهيم بن علي بن الإمام شرف الدين" حتى مات عنها ، وكان الأمراء "آل شرف الدين" يجلونها غاية الإجلال ، ثم انتقلت في دولة الإمام المؤيد "محمد بن الإمام القاسم" إلى «شهارة» .

وهذا الكتاب وثيقة تاريخية دالة على رقة الكاتب وإنسانيته وإيمانه وعلى قسوة الأتراك وعبرة للمعتبر وزجر للمنزجر عن مثل أفعال المطهر الغاشمة الظالمة فإنها أدركت أولاده وعقبه . ويمتحن الله أهل البيت ويطهرهم وينزههم عن الدنيا في كل زمن لما أعد لهم من الخير في الحياة الأخرى الدائمة التى هي عكس الحياة الدنيا .

أنباء ٩٩٧ هـ (تسعمائة وسبع وتسعين)

سنة ٩٩٧هـ (تسعمائة وسبع وتسعين) رجع الأمير "علي الجزائري" من بلاد «ريمة» بعد أن قوّم اعوجاجها وجبىَ خراجها وقرر أعمالها فعينه "الوزير حسن باشا" أميرا على بلاد «صعدة » فسار إليها وبقى بها سنة وفيها عقد "الوزير حسن باشا" لولده الأمير "حسين" بولايه «تعز» ومات بها

وفي سنة ٩٩٩ رجع "الكيخيا سنان" من بلاد «يافع» بعد أن ذلل سطوتها وأوهن قوتها ودمّر معمورها وعمَّر فيها قلعة الحلقة وأصلح بعض طرقها .

أنباء ٩٩٩ هـ (تسعمائة وتسع وتسعين)

ظهور شجرة التتن : التنباك

في سنة ٩٩٩ هـ (تسعمائة وتسع وتسعين) ظهرت شجرة التتن «التنباك» وأرّخ ظهورها بعض الأدباء بقوله :

قائل لي عن الدخان أجبني
هل له في كتابكم إيماء
قلت ما فرط الكتاب بشيء
ثم أرخت (يوم تأتي السماء)
٩٩٩

الوفيات

"شرف الدين العيزري"

في ربيع الأول سنة ٩٩٩ هـ (تسعمائة وتسع وتسعين) توفى بـ«العيازرة» من جبل «سيران الأهنوم» القاضي المحقق "شرف الدين بن إدريس بن جابر بن علي بن عواض بن مسعود بن علي بن حسن العيزري" عن ٦٣ سنة من مولده .

ترجمه "يحيى بن الحسين بن القاسم" في «المستطاب» فقال : كان من العلماء الزيدية ، بايع الإمام" الحسن بن علي بن داود" وشايعه وتولى القضاء عن أمره بصعدة وجهات الأهنوم ، وكان يقبض واجباتها للإمام وقبضه الأتراك رهينةً على قبائل الأهنوم قال مؤلف سيرة الإمام "الحسن بن علي" :أنه مات هو وأخوه وأولاده في دون أسبوع فجأةً واعتقد أهل تلك الجهات أن الذى أصابهم من الفتن والمشاق وموت الفجأة عقوبة على عدم الوفاء بحق الإمام الحسن ولعله السبب في أسر الإمام وسبق ذكر ذلك سنة ٩٩٣ هـ (تسعمائة وثلاث وتسعين) إن الأتراك أعطوه كسوة ومالاً ، وقال صاحب «مطلع البدور» في ترجمته : إنه كان إماماً في فروع الفقه ، مدرساً محققا يزاحم المذاكرين ، درّس التذكرة أكثر من أربعين مرةً ، وكان صدر البلاد متبوعاً مرجوعا إليه وكان من أقوى أعضاد الإمام "الحسن بن علي" ، دعا الناس سرا وجهرا وتم به للإسلام نفع كبير وكان الإمام يكاتبه مكاتبةً حسنةً ويسميه الوالد ثم إنها جاءَت أمور والله أعلم بالحقائق ودخل صنعاء إلى الأروام وخلعوا عليه وكان له أخ يؤثّر فيه برأيه ، نسب إليه التهييج لذلك فكان القاضي يدعو عليه والكامن من تلك الأمور ظاهر إلا أن السيد العلامة "محمد بن عبد الله أبو علامة" لما دنت وفاته بصعدة في حدود سنة ١٠٤٧ هـ (الف وسبع واربعين) ذكر للسيد العلامة "صلاح بن أحمد بن المهدي" ومن حضره حديثاً حاصله أن الأمير "عبد الله المُعافي" برأ ساحة القاضي وأن تلك الكائنات مفعولة بيد غيره والله أعلم ، وجده "جابر" كان فاضلا عالما ، له خزانة كُتب وعمَّر مساجد «الأهنوم » التى تقدر بثلاثمائه مسجد ، وقبره بـ «العيازره» ويقال إن قبره يطلع منه النور .

أنباء عام ١٠٠٠ هـ (ألف هجرية)

وفي شعبان سنة ١٠٠٠ (ألف هجرية) رجع (١) إلى صنعاء الأمير" سنان" قافلاً من بلاد «يافع» بعد أن ذلل صعوباتها وأوهن قوتها وعمَّر فيها قلعة الحلقة وأصلح بعض طرقها فقابله الوزير "حسن" بكل إجلال وإعظام وكرر عليه وعلى من معه من الرؤساء والأمراء الخِلَع النفيسة والأنعام وزاد في مقررات العسكر وأمر أن يجعل دخولهم صنعاء يوما عظيما تزهو به الزينة في المدينة وبعد إخضاع يافع وصعدة وضبط معاقلهما وحصونهما وترتيب جبل «أم ليلى» الشهير شمال صعدة ، وأسر الإمام "الحسن" وأولاد "المطهر" وغيرهم وإرسالهم إلى السلطنة سكنت الحروب في عموم اليمن وأمنت الأتراك عوادي الخطوب فأساءوا سطوتهم في الرعية .

ظلموا في رعية حسبوها
هملاً فهي تزُدرى وتهان

(١) سبق أن ذكر المؤلف رجوعه في عام ٩٩٩هـ ولعل إنفصل عن يافع عام ٩٩٩هـ ووصل صنعاء عام ١٠٠٠ هـ

فأطل عليهم القرن الحادي عشر بدعوة الإمام الذي بلغت علياء السماء أبي الأئمة الحماة الأمجاد "القاسم بن محمد" سنة ١٠٠٦ هـ (ألف وستة)

وسنذكر ذلك في الجزء الرابع من «خلاصة المتون في أنباء ونبلاء اليمن الميمون» وينتهي سنة ١٠٧٥هـ(ألف وخمسة وسبعين)

ثم الجزء الخامس وينتهي سنة ١١٠٠ هـ (ألف ومائة)

ثم الجزء السادس وينتهي سنة ١١٣٩ هـ (ألف ومائة وتسعة وثلاثين)

ثم الجزء السابع وينتهي سنة ١١٨٠ هـ (ألف ومائة وثمانين)

ثم الجزء الثامن وينتهي سنة ١٢٠٠هـ (ألف ومائتين)

ثم الجزء التاسع وينتهي سنة ١٢٢٤ هـ (ألف ومائتين وأربعة وعشرين)

ثم الجزء العاشر أوله سنة ١٢٢٥ هـ (ألف ومائتين وخمسة وعشرين) وآخره سنة ١٣٠٠ هـ (ألف وثلاثمائة)

ثم «نزهة النظر في تراجم أعيان القرن الرابع عشر» في أربعة مجلدات ضخمة وقد اشتمل أيضا على الأنباء خلال التراجم .

أما الجزء الثاني من «خلاصة المتون» فمن دعوة الإمام "الهادي يحيى بن الحسين" سنة ٢٨٠ هـ إلى انقراض الدولة الرسولية وقيام الدولة الطاهرية سنة ٨٥٨ هـ وقبله الجزء الأول من اشراق شمس الإسلام باليمن إلى دعوه الإمام "الهادي" سنة ٢٨٠ هـ

ونختم هذا الجزء بما ختم به نبذته التاريخية السيد الأديب "أحمد بن أحمد المطاع" الشهيد بحجه سنه ١٣٦٧ هـ بقوله : (لقد رحل القرن العاشر واليمن من جراء ما عانت من المتاعب والأحداث تشرئبٌ إلى سلام وهدوء ، وتتشوق إلى طالع يطلع عليها باليمن والهناء كي تستريح من التعب والمحن التى ألمت بها وقد أمنت الأتراك عوادي الخطوب وكوارث الحروب فأساءوا استعمال سلطاتهم في الرعية فأطل القرن الحادي عشر واليمن من سلطة الأتراك منهوكة القوى تتمنى لو ساعدها الحظ ويسرت لها الأقدار التخلص من سوء إدارة الأتراك وظلمهم ودخلت سنة ١٠٠٦ هـ (ألف وست) وفيها ظهرت دعوة الإمام "القاسم " فكانت بداية دور جديد وهو بلا شك أكبر حادث عرفه اليمن نعتبره الدور الثالث من الأدوار المهمة الكبرى التى غيرت سير التاريخ اليمني.

أما الأول : فهو بعثة النبى صلى الله عليه وآله وسلم وإسلام أهل اليمن

والثاني : وصول الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين عليه السلام وتأسيسه الدولة العلوية في اليمن .

الثالث : دعوة الإمام المجدد الكبير القاسم بن محمد عليه السلام ولا نبالغ إذا قلنا إنه لم يتسن لأحد من الأئمة ما تسنى للإمام القاسم وأولاده كما سنرى ذلك موضحاً مفصلاً في الصفحات التى ستمر بك .)

تعزية وتأبين القاضي العلامة الأديب
"عبد الله بن عبد الوهاب الشماحي"
بوفاة السيد المؤرخ "محمد بن محمد زبارة"
وتقريضه لكتبه القيمة سنة ١٣٨٠ هـ (ألف وثلاثمائة وثمانين)
نظماً ونثراً



بسم الله الرحمن الرحيم

للقاضي العلامة الشاعر الخطيب "عبـد الله بن عبد الوهاب المجاهد الشماحي" في آخر شـهر ذي الحجـة سنة ١٣٨٠ هـ (ألف وثلاثمائة وثمـانين) معزياً بوفـاة المؤرخ "زباره" ومقرضاً لكتبه وقد وجدنا النثـر والنظم بنصهما بعد تقلبات الزمان في ربع قرن فأثبتناهما غرة في جبهة كتاب «خلاصة المتون» هذا .

الحمـد لله والصلاة والسلام عـلى رسوله محـمد وآله وصحـبه وبعد فـإن اليمن إذا استمرت تكتب عن فقيدها السيد العلامـة محمد بن محمد زبارة فإنما تتكلم اليمن عن عَلَمَ من أعلام تطورِها ، ولسان مـن ألسنة تاريخها ، ومفكر من رواد النهضـة والتقدم ومثل للقدوة الصالحة والأخلاق السامية التى يجب أن يتحلى بها روَّاد البحث وقادات الفكر وحملة أمـانة التاريخ فإن التـاريخ فرع من الأخلاق وشعـبة من التفكيـر الصادق فعلَى خُلُق المؤرخ يعتـمد تدوين الحوادث ومسرحيـات الوقائع ومواقف الأعلام الذين لهم الأثر في تكوين التاريخ وتقلبات الشـعوب والأمم . ثم إن تاريخ أمة من الأمم أو شعب من الشعـوب أو شخصيـة قوية دفعت عجلة الزمن ودورة الشعـب أو العالم لها ارتباط بالتاريخ العام للـعالم . فالإنسانية كلٌ أجزاؤُه الشعـوب ثم الأفراد فكل مايتصلِ بالكلِ له أثر بالجـزء وكل تطورً يطرأ على الجزء يسـري إلى الكل ، وقد كـانت اليمنُ المهدّ الأولَ للتيارات الحضارية التى اتسعت حتى شملت العالم وأخرجت حضارة يومنا هذا .

وإن اليمن العريقة في حضارتها لفخورة بمـاضيها وتاريخها التى أكسبت العالمَ العلومَ والآدابَ والتقنينَ والتعميرَ أصيبتّ منذ ألفي عام بنكبات فرقت لليمن كلمتها ، وأنضبت معين ثروتهـا وتفكيرها ، ومزقت وحدتها ، وقاست اليـمن من ذلك عنتاً في إدارتها الذاتية وفي موجهاتها الروحية وبرغم الزلازل التي قوضت أعلام الحضارة اليمنية وعفت على أطلالها فقـد بقيت اليمن محتفظـةً بعناصر مقوماتها العـربية وبملامح شخصيـتها الجوهرية متمسكةً بحيثيتها في ضمائر الأجيال بالقصَّاصين لما في قصصهم من أساطير وحقائق وإلى جانب هـؤلاءِ القصَّاصين كان يظهر من حين لآخـر روَّاد حقائق من أبناء اليمن يـذكون العواطف ويمَـدونها بلمـحات من تاريخ مـاضي اليمن وبومـضات من الذكريات والعـبرَ ، وبشذرات رابطة اليمني فـي الشمال بأخيـه اليمني في الجنوب ، واحتـفظت للَتفكير اليـمني ببذور الوحدة الفكرية والأدبيـة مما جـعل الانتاج الفكري متقارب الصيغة متشابه الموضوع ، غـير متأثر كثيراً بالفوارق التى أقامها بين أبناء اليمن

المغيرون والدخلاء والمستغلون ودعمتها السياسة بالمذاهب وإثارة الأوهام الفاصلة القاصمة المشتتة المفرقة وأن تلك السياسة لم تنجح في سحق الطابع اليمني ووحدته الأدبية ، ولكنها انتصرت في تحطيم الوحدة السياسية في اليمن بالتفرقة المذهبية والقبلية نجمت عنها مآسٍ من أمرها وأقساها تلك الحروب الأهلية التي امتدت عبر القرون تلتهم بلهيبها آثار اليمن التاريخية من المباني الأثرية الظاهرة ، ومن المخطوطات التاريخية فقد كان هم المتغلب أن يتناول بالتدمير أول مايتناوله هو تدمير كل ما للمغلوب وفي أرضه من أثار تاريخية وكتب تاريخه وبذلك اختفت لليمن ثروة تاريخية لاتقدر بثمن ولم يبق من المخطوطات التاريخية إلا نزر من المؤلفات لم يكن فيها موسوعة حافلة للتاريخ اليمني العام لا من قبل الإسلام ولا من بعده بل هناك تاريخ موزع مبعثر في عدد من المخطوطات يدور معظمها في سرد وقائع شخص أو إحداث أُسرة بصفة غير قائمة على قاعدة تاريخية ولاعلى سلسلة حوادث متماسكة يمكن للباحث التاريخي من أن يأخذ بطرف خيطه فيتقدم خطوةً خطوةً إلى نهاية يقف معها وبيده نسخة صادقة أو قريبة من الحقيقة للتأريخ اليمني مما يجعل أصداء الحكم التاريخي الذى لامحاباة فيه ولاتحيز في متناول فيلسوف التاريخ .

كان على المؤرخ إذا أراد أن يصدر هذا الحكم التاريخي أن يخترق أعماق الماضي وأن يجوب اليمن من أقصاه إلى أقصاه لتفتح له الخزائن في « حضرموت والشحر وتريم وعدن وتعز وزبيد وصبيا وصعدة ونجران وصنعاء وثلا وكوكبان» وغيرها من الموطن التى يظن أنها موطن لبقايا ماتركه النهب وأنسته الحروب ليضم ذلك المتجول ماتفرق من تاريخ اليمن وتاريخ أعلامه مايُعَد مادة أولية لإقامة بنيان تاريخ يمني عام للعصر اليمني الإسلامي .

أما تاريخ ماقبل الإسلام فإلى الآثار الحجرية والبحث عنها ندع المتطلعين في آمالهم يسبحون ، فحسبنا التاريخ لليمن في العهد الإسلامي فهذا هو مانتطلبه اليوم ، ولقد مضت القرون ولم ينهض لجمع هذه المادة أى علَم من أبناء اليمن وبينما اليمن تتطلع إلى أبنائها لعل شهما من مثقفيها ينهض بهذا الواجب الوطني وقد طال تطلعها وتلفتها ذات الشمال وذات الجنوب وأنها لفي أحلامها تسبح إذ بالقرن الرابع عشر الهجرى يتمخض عن أحداث جلى وحروب طاحنة أغرقت اليمن في حمامات من دماء تلك الحروب اليمنية التركية التى أشعلَهَا المغيرُ التركي واستمرت قريب نصف قرن عجنت التربة اليمنيه بدماء المتحاربين وامتدت يد الهدم والخراب إلى الحواضر والبوادي وعم البوار وكسدت التجارة وتحكمت القسوة وتعقدت الشدة فلم يبق للضعيف في الحياة مجال ولم تُبقِ الظروف إلاّ ذوي القوة والبأس والصرامة والعزم .

وفي هذه الظروف برز في اليمن أفذاذ من أبطال العلم والتاريخ والقيادة والحرب والحماسة والدراية وفي هذه المدرسة الأخلاقية الصارمة عثرت اليمنُ على عدة أعلام أبطال برزوا في نواح عدة من نواحي الصراع والحياة والجهاد والإصلاح .

ومن طلائعهم السيد العلامة المؤرخ الكبير الشاعر الناثر الأصولي الفروعي الرحالة المتجول " **محمد بن زبارة رحمه الله** " وفي هذه الشخصية اللامعة القوية الطلعة وجدت اليمن ضالة التاريخ المنشودة وأنشودة الشعب المُطربة التى طالما حنت إلى مثلها الآداب وفقه السيرة.

ولقد دعته اليمن إلى معمعة الحروب فلم يتردد من اقتحام لهيبها وخوض عبابها في عدة مواقف تقلصت فيها الخصا الى الكلأ فكان الفقيد من القواد اليمنيين الذين ساهموا في تقرير المصير اليمني وشاركوا في هزيمة الأتراك وإخماد الفتن كما كان من قادة الفكر والآداب وعلماً من أعلام الشرع والسياسة . تتحدث عنه منتجاته الشعرية والنثرية وهو إلى جانب هذه الجوانب الحية قوة نشرت المؤلفات العلمية اليمنية وأخرجها من مدافنها وبعثها من لحودها إلى عالم الطباعة فشرّقت المؤلفاتُ اليمنية وغرّبت وشرّق معها اليمن وغرّب مبدداً كثيراً من السحب التى كانت تحجب الحقيقة اليمنية وشخصيتها الفذة .

وإن السيد العلامة" محمد بن محمد زبارة "وهو يقوم بهذه الجهود والذى لايقوم بواحدها إلا القليل من الرواد لم يكن يقف عند حدود هذه المواضيع ولا هى أهم مايعنيه ويشغل باله ، لقد كان التفكير المسيطر على أعصابه يدور حول تحقيق ذلك المطلب الذى طالما تطلعت اليمن إليه عبر القرون وتمنت في حُرقة وحرارة أن ترى من أبنائها من يجمع مواد تأريخها الإسلامي ويقدمها كمادة من الخام الذى يبنى منه أحكام التاريخ العام ولكم زهت ولكم تطاولت وهى تضع أملها في يد عالمنا "زبارة" لينطلق في تحقيق هذه الأمنية الشاقة التى كرسّ لها جل حياته غير واهن ولامقصّر ولامتردد ولامتلعثم حتى أتى بطَلِبة اليمن العزيزة ومادة تاريخه العام الخامة أتى بها مهداة إلى شعب اليمن والأمة العربية . وإليك أيها اليمني أينما كنت وإلى ابني وابنك أهدي هذه المادة الغالية في مؤلفاته التى هي اليوم بين يديك ويَدَىْ كل مؤرخ كنز هو أغلى من كنوز الرأسماليين إنه كنز في أصدافه أباؤنا وأعلام تأريخنا وصانعو التاريخ اليمني فما على ذي المواهب التاريخية وفلاسفة الزمان والسياسه والاجتماع إلاّ أن يقفوا على ماخلّفه بطل التاريخ "زبارة" ويستخرجوا من كنوزه مواد البناء التاريخي الشامخ ليمننا السعيدة الشامخة منذ انبثق فجر الاسلام إلى يومنا ، إنّ بين أيديهم مادة عظيمة فمنها فليشيدوا ذلك الطود الأشم لتاريخ اليمن ويربطوه بتاريخ العالم ليكونوا بذلك مُتممين

للرسالة التاريخية التى حمل مشعلهاَ ابن اليمن البار "زبارة" الذي يُهدي الشعبْ اليمي إلى روحه الخالده باقات الثناء والشكر إنّ فيما كتبه عن أبناء اليمن الذين تنتظر منهم روح الفقيد أن يتمموا مشروعه العظيم ومطلبَ اليمن والعالم العربي حقق الله الآمال ورحم الفقيد وأبقى لنا إلى جانب ثروته العلمية نجله العبقري المحدث الحافظ رئيس الهيئة الشرعية العليا السيد العلامة **"أحمد بن محمد زبارة"** حفظه الله وإلى الفقيد أزف هذه الكلمة مشفوعة بكلمة شعرية أهديها إلى روحه .

فقد كتبت هذه الكلمة على أثر مطالعات متقطعة لمؤلفات الفقيد ونظمت الكلمة الشعرية وأنا سمير أحد تلك المؤلفات وهو تاريخ الذي على دفته وهامشه أزف إلى الفقيد هذه الكلمة الشعرية :

هنا الشعبُ من عهد التبايع يُنسبُ ... فقف لجلالٍ دونه الشمس تغرب

جلال سيبقى خالداً لمحمد ... عليه وَسام بالثناء منهب

جلال على صفحاته وصدوره ... موارد آيات تنير وتُطِرب

أناخ على حافاتها الشعب معلنا ... هنا كنز تاريخي لمن يتطلب

إليه فأُمُّوا واستمدوا حقائقاً ... إلى مثلها تزجَى المطيُّ وتضربَ

حقائِقَ كالإصباح يُسفر وجهها ... بأيامنا أنوارها تتكهرب

أبي هاهنا يشدو وكل مجاهد ... إليهم فَأصغ فالعروبة تخطب

شراة رأينا الدهر دار بأمرهم ... وغالِبهم حينا فلم يتهيبوا

مضوا قدما يجلون للحق شمسَه ... وصالوا بنور الحقِ والحقُ أغلبُ

ولم يَثْنهم عن مقول الحق ظالم ... عقائدهم فوق الطغاة تَوَثّب

لهم هاهنا تصوير أصدق عالمَ ... بهمته سِرًّ الحقيقة يكتب

لسان جرى التاريخ في كلماته ... جداولَ فَيها مشهد الأمس مخصب

مــشــاهد يــشــدو هــاشمُ وفــروعــه
لهـم في ذراهـا مـوكـب ثم مـوكب

أئمــة هدي في الســعيــدة أشــرقــوا
نجــومــا على صــرح القــلال تُصــوِب

أبا أحــمــدٍ هــذي جــهــودك بيننا
لأجــيــالنا فــيــهــا التــراثُ المــرجَّبُ

حــفظت لــهم مــجــد الجــدود ومــا بنوا
ومــا شــيــدوه في الزمــان وانــجــبــوا

تراث له اســتــخــرجتَ من كل مــوطن
وجــمــعــتــه والجــمع مــضنٍ ومُــتــعب

ولــكــنــك الــكــرار لــم تُــلــفَ واهــنًــا
فــعــزمُك للــصــخــر الأَصم مُــنــوّب

ســريــتَ بأعـــمـــاق الزمـــان بفــكرة
لهــا كــشفُ الســرِّ المــصــونٌ المــحــجَّبُ

ولان لــهـــا الصـــعبٌ الأبـي وهكـذا
يلـين لأرباب الــعــزيمــة مُــصْــعِبُ

فــجــئتَ بتــأريخ الســعــيــدة تحــفــةً
بــهـــا كلُ أبــنــاءِ البـــلاد يُرحّــب

فــكلُ فــتّــى يلــقــى أباه وجـــدَّه
وقــد برزوا فــيـــمــا كــتــبَت وصــوبوا

فــحــقك ياربّ الــبــيــان كــمــا ترى
يديــن به الــتــالــي بنا والــمـــعِــقّب

فــفــي كل قــلــب أنــت نــبض أبــاتــه
وشــخــصُك حي بيــنــنا يتــقِــلب

تردده أفــواهُنا فــي حــديــثــهــا
وأفــكارُنــا مــن حــولــه تَــتَّــوثَّــبُ

تقــول هــنا يغــدو ويمــضــي مــحــمــدُ
له مــســتــقــر في الــقلوب ومَــنــذهب

أبا أحــمــد مــامُتَ فــالشــعبُ زاخــرُ
بمــا خــطهُ مــنك اليـــراعُ المــذرّبُ

براع يــرى في حلبــة البــحث ســابقــاً
لشــتّى الــقــضــايا قــانصُ مــتــعــقّب

بعــث به المــاضى من عــهــد حــمــيــر
مــواكبَ منهــا يخطــب الركب يعــرُبُ

ويظهـــر منهـــا الـصــيــدُ أبنـاءٌ حــاشــد
وكـلٍّ ابي بـّالـبـــيـــان يُرحِـبُ
فـــوارس همـــدان بن زيـد ومَـــذحج
غطارف مـــافــيــهم جـبـيسُ مـــثلب
أولئـك أنصــــارُ النبى مُــحــمَّــد
ومن قــبِلْه شـــادوا الصـــروحَ وطنبـــوا
ومن بـعــدِه أنـصــارُ حــيــدرةَ الـرضى
ســراة إذا قــال اركبــوا الهــولَ يركـبـوا
حــفـظت لأعــصــار الأئمـــة صــورةً
ســيـبـقى بهــا التــاريـخ دومــاً يشـبّب
ترانـيم فـــخـــر تـمـــلأ الدهـر عــزة
إليـــهــــا تـرد المكـرمـــات وتنـسب
ترانـيم فـــخـــر أنـت واضع لـحنهـــا
ونحـن بهـــا نـزهو ونشـــدو ونـشـــربُ
ســتـذكــرها الأجـيــالُ مــاذرَّ شــارقُ
ومــالاح إشــعـــاع ومــا درَّ صَــيِّبُ
أبا أحـــمـــدِ خـلفتَ أضــخـم ثروة
فـلا الموت يفـنيهـا ولا المــوت يسلب
تراث عـليـــه الشَــعبُ ضَم جناحَــه
وفي فـكره يـنمـــو جناه ويُـخـــصب
فـمـــا المـــال والجـاهُ العـريض بخــالدٍ
فـــســرعـــان مـــايَفنَــى ويُنسَى ويَـقطِبُ
ولكـنّ بمـــا خلـفـــتـــه أنت خـــالدُ
يتـيـه به في الشــعب شــرقُ ومـغـــرب
فنَـم في جـــوار اللـه نومـــة مـــصـلح
إلى روحـــه يســري الثناءُ الـمـحـــبَّب

شهر ذى الحجه سنة ١٣٨٠
عبد الله عبد الوهاب المجاهد الشماحي

الفهرس

رقم الصفحة

رقم الصفحة

رقم الصفحة

رقم الصفحة

رقم الصفحة

رقم الصفحة

رقم الصفحة

رقم الصفحة

رقم الصفحة